

إذاعة و تليفزيون فى نصف قرن

رحلة ذاتية من عبد الناصر إلى أوباما



عباس متولي



متولى، عباس.

إذاعة وتليفزيون فى نصف قرن: رحلة ذاتية من عبد الناصر إلى أوباما/ عباس متولى. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٦.

٢٥٦ص: ٢٤ سم.

تدمك ٢ ٠٦٩٢ ٩١ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ الإذاعة ـ مصر.

٢ ـ التليفزيون ـ مصر.

أ ـ العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٨٣٧/ ٢٠١٦

I. S. B. N 978 - 977 -91 - 0692- 2

ديوى ٣٨٤،٥٤

إذاعة وتليفزيون فى نصف قرن

رحلة ذاتية من عبد الناصر إلى أوباما

عباس متولى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٦

وزارة الثقافة

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. هيثم الحاج على

اسم الكتاب : إذاعة وتليفزيون فى نصف قرن

رحلة ذاتية من عبد الناصر إلى أوباما

تأليف : عباس متولى

الإخراج الفنى : إيناس الدكرورى

تصميم الغلاف : عزيزة أبو العلا

الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص.ب: ٢٣٥ الرقم البريدى: ١١٧٩٤ رمسيس

www.gebo.gov.eg

e-mail: info@gebo.gov.eg

إهـــداء

إلى قارئتى وناقدتى الأولى،

زوجتى الحبيبة فاطمة عمارة



المقدمة

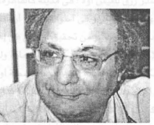
بقلم عمر بطيشة
رئيس الإذاعة السابق

لو كان برنامج "شاهد على العصر" موجودا الآن لاستضفت الإعلامى الكبير عباس متولى فيه؛ ليعيد سرد شهادته التى ضمَّنها كتابه القيم هذا، وشملت عصرا كاملا بالفعل بدأ بمشهد الزهو القومى فى الستينيات مروراً بحرب اليمن ثم الانكسار الكبير عقب هزيمة يونيو ورحيل عبد الناصر، ثم عبور أكتوبر بقيادة السادات، ومعاهدة السلام التى أدت لاغتياله، ومبارك وعهده الطويل، والعلاقة مع الولايات المتحدة من وجهة نظره كمراقب معاين للأحداث أثناء عمله فى "صوت أمريكا" وما تلى ذلك من أحداث ١١ سبتمبر وحرب الخليج وذهاب "بوش" وتولى "أوباما"..والمشهد المعاصر مصريا وعربيا وعالميا..كل ذلك فى شهادة إعلامى كان بحق شاهد عيان على كل تلك الأحداث. ورغم أننا فى العمر نفسه تقريبا، إلا أننى ظللت طوال حياتى أعتبر "عباس"أخى الكبير، منذ عرفته عن قرب فى "شركة الملح والصودا "بالإسكندرية، حينما اختارتنا الشركة من بين أفراد دفعتنا فى قسم "اللغة الإنجليزية وآدابها"جامعة الإسكندرية عام ١٩٦٤ باعتبارنا من أوائل الدفعة. وسبقنى هو فى التعيين بأيام؛ مما جعل مديرنا يعين

(عباس) مراقبا على فى امتحان صورى لقبولى فى الشركة! وقد (اتزنقت) فى ترجمة كلمة "يلحق" إلى الإنجليزية فأسعفنى ال"مراقب" الكريم بالكلمة : ! "catch up" ونجحت، وعملنا معًا فى إدارة واحدة، وكنا نجلس على مكتب واحد لمدة ٨ شهور، اندمجنا خلالها فى كيان واحد، حتى أن عباس كان يقضى وقت فراغه بالمكتب فى نسخ أشعارى على الآلة الكاتبة التى كانت الكتابة عليها إحدى مهاراته العديدة! وبعد شهور أعلنت الإذاعة المصرية عن امتحان مذيعين، فتقدمنا لتحقيق حلم العمر ونجحنا! جاء ترتيب عباس الأول على الدفعة وظل يذلنا بهذا الترتيب إلى الآن! وتأخر ترتيبى بعض الشىء بعد أن ضللت الطريق ووصلت إلى السيدة زينب قبل أن أعود جريا من السيدة إلى باب اللوق، ووصلت إلى إذاعة الشريفين ومثلت أمام الميكروفون ـ أول ميكروفون أراه فى حياتى ـ وأنا ألهث ! الحمد لله على أى حال. وظللت فى "كفالة" عباس طوال سنوات الشقاء و"التلطم" بين لوكاندات الدرجة الخامسة و"الأوض" المفروشة فى القلعة وصحراء الهرم وأمام سينما على بابا، إلى أن عثر عباس بشطارته ومهاراته المتعددة على شقة بمشروع ناصر فى ساحل روض الفرج وأخذنى معه فيها. وبعد شهور ترك لى الشقة واستقل بشقة أخرى.وبدأت أواجه مصيرى وحدى، ويومها أحسست بمدى المسئولية التى كان يحملها عنى "أخى الكبير". وأذكر أننا وقفنا أمام باب إذاعة الشريفين فى أول أيامنا فيها وقلت لعباس: "فى الملح والصودا لم يكن يحق لنا أن نحلم برئاسة الشركة؛ لأن رئيسها لابد أن يكون مهندسا كيماويا، أما هنا فمن حقنا أن نحلم برئاسة الإذاعة. وهو ما تحقق بالفعل فيما بعد! وأزعم أن عباس وأنا لحقنا بالعصر الذهبى للراديو واستمتعنا بالنجاح والانتشار والنجومية التى كان يمنحها لقب مذيع أو إذاعى لصاحبه. كنت أكتب الشعر وأرتاد أمسياته وندواته، أما عباس الذى كان نجم المسرح الجامعى فقد ركز مواهبه فى فنون الراديو إذاعيا متوهجا يتميز بالابتكار والجرأة الفنية والإعلامية. وأزعم كذلك أننا لحقنا بعصر الازدهار المهنى للمذيعين الكبار الذين ذكر عباس معظمهم فى كتابه الطلى، وتعلمنا منهم الكثير.. وعشنا عصرا كان يهتم بعلامات الترقيم، ويحاسب المحرر على الفرق بين الفاصلة والفاصلة المنقوطة! عشنا عصرا كان

المذيع إذا أخطأ خطأ لغويا فى النشرة أو الربط تحاصره عيون زملائه وزميلاته بالازدراء لأنه ضعيف فى مهنته ويجلب لهم العار!.. وكان ذلك المخطئ يتوارى "كالكلب الجربان"(آسف)، وكان الحصار يضيق عليه تدريجيا إلى أن يتم نقله بعيدا عن الهواء. كانت استراحة المذيعين منتدى لتدارس اللغة والأدب... ولها شيوخها مثل صبرى سلامة، وكان المذيعون ـ أدباء ومفكرين وفنانين ـ يحسبون ضمن الشخصيات العامة المرموقة! وكذلك لمع الإعلامى الكبير عباس متولى فى "صوت العرب" التى كانت حينها أهم وأنجح الإذاعات، وانضم لرواد صوت العرب العظام الذين أورد أسماءهم فى كتابه، وكان سابقا لعصره، خاصة ببرنامجه الشهير "من غير مونتاج" الذى سبق به "برامج التوك شو" بسنوات طويلة وتخطى حواجز رقابة الستينيات والسبعينيات وقدمه على الهواء مباشرة ونجح فى ذلك..كما نجح فى كل موقع إعلامى انتقل إليه بعد ذلك..حتى حط به الرحال فى "صوت أمريكا" فأصبح بيته فى فرجينيا ملتقى المصريين. وإذا كان عباس قد منحنى كفالة وحب الأخ الكبير، فقد منحته فى المقابل هدية أغلى، وهى زوجته العظيمة الفنانة الكبيرة فاطمة عمارة التى تعرف عليها فى مكتبى بمنوعات البرنامج العام (إن لم تخنى الذاكرة)!

سيداتى سادتى: استمتعوا بكتاب صديقى عباس فقد استمتعت به، واعتبروا كما اعتبرت!


عمر بطيشة



(١) تبادل الأدوار!

يربطني بزميل العمر عمر بطيشة وثاق لا ينفصم، رغم أننا لم نتقابل منذ فترة طويلة. فقد تخرجنا من قسم اللغة الإنجليزية عام ١٩٦٤ معا، وعملنا معا فى شركة الملح والصودا بالإسكندرية. وحاول كلٌ منا الخروج من الأفق الفنى الضيق بالإسكندرية إلى ساحة الفنون الكبرى فى القاهرة. كان عمر يحلم بأن يصبح مذيع نشرة أخبار، بينما كنت أحلم بدخول معهد السينما لأصبح مخرجا. ولم يكن هناك مخرج سوى العمل بنصيحته، وهو أن يتقدم كلانا إلى امتحان المذيعين الذى عُقد عام ١٩٦٥، ونستقيل من الشركة حال نجاحنا. فلكى أتمكن أنا من دخول معهد السينما - وفق نظريته - فالأفضل أن أخوض معه الامتحان حتى يكون لدى مصدر رزق للعيش أولاً: فى مدينة كالقاهرة، والقدرة المادية ثانيًا: على الالتحاق بمعهد السينما، أو فى أسوأ الأحوال أن أصبح مقدم برامج فى الإذاعة، التى تقترب إلى حد كبير من تحقيق أمنيتى فى إخراج وتقديم البرامج الإذاعية كبديل للإخراج السينمائى. ودخلنا الامتحان، ولم يكن لدينا أمل فى اجتيازه بسبب الفكرة المتأصلة بأنه ليس لدينا واسطة أو "ظهر" فى القاهرة. ومضت الأيام دون أن يصلنا شىء من الإذاعة، وفكرنا بدل السفر والسؤال بما ينطوى عليه من تكاليف أن نتصل تليفونيا بالإذاعة لنسأل عن النتيجة. وطبعا كان الاتصال الهاتفى بالقاهرة فى تلك الأيام تحول دونه صعاب كثيرة، وكان منقذنا هو زميلنا المشترك سعيد عمر فهمى الذى كان يدير مكتب رئيس شركة

النحاس وكان لديه ياللعجب خط تليفون مباشر مع القاهرة. وأبلغناه الرقم. ولم تمض سوى دقائق إلا ويبلغنا بأننا نجحنا، وأن ترتيبى أنا جاء الأول على الدفعة. وطبعا تصورت أنها نكتة. ولكنها كانت الحقيقة المبهجة لكلينا. وقد درجت العادة فى الإذاعة آنذاك على تعيين أول مجموعة من الناجحين كقارئى نشرة والمجموعة الثانية كمقدمى برامج والمجموعة الثالثة كمترجمين. وعلى فكرة كان عدد المتقدين على مستوى الجمهورية ٧٧٠ شخصا نجح منهم ٣٣ فقط، مقارنة بعشرات الآلاف الذين يتقدمون هذه الأيام لمثل هذه الوظائف. فصرت أنا مذيع نشرة بإذاعة صوت العرب، وأصبح عمر بطيشة مقدم برامج منوعات بالبرنامج العام. أى بمعنى آخر تبادلنا الأدوار. وقد أنسانى عملى الإذاعى بالفعل حلم الإخراج السينمائى حين أُتيحت لى فرصة لقاء المشاهير من ممثلين ومطربات وأدباء وفنانين وإجراء المقابلات معهم، وإخراج بعض التمثيليات لهم. ورغم تبادلنا للأدوار فقد نجح كلانا فى موقعه، فكنت أقرأ النشرات وأقدم برامج من عينة "ساعة مع خمسين إذاعة"، و"من غير مونتاج"، و"حديث الذكريات"، و"واحد زائد واحد"، وكانت كلها ـ بفضل الله ـ علامات مميزة لإذاعة صوت العرب، التى تركتها عام ١٩٧٥ وأنا كبير للمذيعين. أما زميلى العزيز عمر فقد أبدع فيما قدم من برامج متنوعة بالبرنامج العام لعل أهمها " شاهد على العصر" الذى سرق الإخوانى أحمد منصور فكرته فى قناة الجزيرة، مثل محاولة جماعته سرقة وطن بأسره، وفشل فشلاً ذريعًا فى الوصول إلى مستوى إبداع برنامج عمر، من حيث عمق الحوار وسلاسة الموضوع ومكانة الضيوف. والبقاء دائما للأصلح!

صوت جديد تسمعه



عباس متولى

أصوات جديدة تسمعها هذه الايام .. أصوات لمذيعين جدد .. يخوضون لاول مرة تجربة الميكروفون . ان الاذاعة تخوض بهم تجربة جديدة . تضعهم فى التجربة لينصهروا معها .. وتتبلور علاقاتهم بالميكروفون . وفى كل اسبوع نقدم لك « صوتا » منهم ..

● « عباس متولى » صوت جديد فى صوت العرب ..

● وحكاية « عباس متولى » مع اكثر من فن من الفنون التى تلتقى حول « الميكروفون » هى التى جعلته يتقدم لامتحان المذيعين .. ثم هى التى اهلته ليكون « اول » الدفعة ..

● « عباس » يهوى التمثيل .. مثل واخرج مسرحيات باللغة العربية .. وايضا بالانجليزية .. فى جامعة الاسكندرية .. حيث نال منها ليسانس الاداب .. من قسم اللغة الانجليزية . حيث كان رئيسا لفريق التمثيل بالانجليزية فى الكلية .. وعضوا فى فريق التمثيل بالجامعة ..

● الموسيقى ايضا .. هواية من هوايات « عباس متولى » وفى فريق الجامعة للموسيقى .. كان عازفا للايقاع .. وعضوا فى فريق السمر

● وخلال أسابيع الشباب التى أقيمت فى القاهرة والاسكندرية ودمشق « ايام الوحدة » حصل على عدد من الميداليات الفضيه والذهبية ..

● كما حصل على كاس الدكتورة « نور شريف » عن اخراجه مسرحية « بجماليون » لبرنارد شو .. باللغة الانجليزية ..

● « عباس متولى » يشغل وقت الفراغ الضئيل الذى يتركه له العمل الاذاعى .. فى ترجمة المسرحيات والقصص القصيرة .. والمقالات الادبية .. التى تنتظر « الفرصة » النشر ..

● العمل الاذاعى الذى يعتز به فى عمره الاذاعى القصير برنامج « ليالى الشرق » الذى يقوم بتقديمه أسبوعيا مع زميله « حلمى البلك » .. بالاضافة الى عمله فى تنفيذ البرنامج المذاع ..

● اما الامنية التى يتمنى تحقيقها فهى .. اخراج تمثيليات طويلة .. وبرامج غنائية .. مثل تلك التى خلدت ذكرى « عبد الوهاب يوسف »

(٢) صوت العرب....مدرسة المبدعين

لم أندم يومًا على أننى عُينت مذيعا فى صوت العرب، رغم أننى كنت أول دفعتى عام ١٩٦٥. فقد جرى العرف آنذاك أن يُعين أول الدفعة فى البرنامج العام الذى كان يتصدر قائمة المراتب الإذاعية، يليه صوت العرب ثم إذاعة الشرق الأوسط تليها إذاعة الشعب ثم الإذاعات الموجهة التى لا تُسمع داخل الجمهورية. سبب ذلك أننى اخترت، أثناء الامتحان الشفهى اللغة الإنجليزية لغة أولى، وكان الممتحنون محمد محمود شعبان "بابا شارو" وعبد الحميد الحديدى والدكتور مهدى علام على وشك إحالتى إلى البرنامج الأوروبى، لولا حاجة صوت العرب الماسة إلى مذيعى نشرات، فقال رئيس الإذاعة عبد الحميد الحديدى لكبير مذيعى صوت العرب آنذاك أحمد حمزه :" خذوا أول الدفعة وترجموه"! والحقيقة أننى لم أكن فى حاجة إلى ترجمة. فقد عكفت فى الفندق الذى كنت أقيم فيه على مراجعة اللغة العربية صرفا ونحوًا حتى أكون على مستوى أول الدفعة. غير أن التلقين الحقيقى تلقيته على أيدى باقة من أفضل الإعلاميين فى الوطن العربى فى ذلك الوقت. فلا أنسى المذيع المثالى العظيم رشاد أدهم الذى تعلمت على يديه كيف أضبط الوقت بالدقيقة والثانية داخل أستديو الهواء، أو الإذاعى المحنك محمد مرعى الذى عُينت رفيقا فى نوباته "لأتشرب" منه أسرار المهنة وفنونها، بينما كان كبير المذيعين أحمد حمزة بنبراته الرصينة ودقته اللغوية وبراعته الحرفية خير معين فى تعليمى كيف يحقق المذيع الأُلفة بينه وبين

الميكروفون. كما أننى مدين للراحل حلمى البُلك صاحب الصوت الرخيم المميز الذى أتاح لصوتى أن ينطلق لأول مرة على الهواء حين سمح لى أن أقدم أغنية "التليفون" للمطربة التونسية أمينة إدريس فى إذاعة المغرب العربى، التى كانت، مثلها مثل إذاعة فلسطين، جزءا من إرسال صوت العرب. أما خارج نطاق الأستديو فكان عالم صوت العرب أرحب، لا سيما فى مراقبة البرامج الثقافية ومراقبة المنوعات. فهناك رأيت كيف يعمل مذيعون محترفون عظام من أمثال: عبد الوهاب قتايه، ومحمد الخولى، وصلاح عويس، وسعد زغلول نصار، وفؤاد فهمى، فى كتابة وتقديم البرامج الثقافية. وكنت شاهدا على سعد زغلول نصار وهو يكسب رهانا بأن يكتب ملخصا لكتاب لم يقرأه من قبل لبرنامج "قرأت لك" الذى كان يقدمه أحمد حمزة. وقد فعل ذلك فى نصف ساعة فقط، حيث أخذ يقلب صفحات الكتاب بسرعة فائقة ليخرج إلينا بنص كامل الأركان للبرنامج بلغة عربية لا تضاهى. أما فى قسم المنوعات، الذى ارتبطت به بعد ذلك، فكانت المنافسة على أشدها بين وجدى الحكيم صاحب البرامج الحوارية الفنية مثل "منتهى الصراحة"، وعادل جلال صاحب "سهرة الأحد" وكامل البيطار صاحب " ما يطلبه العمال"، وحلمى البُلك صاحب "ليالى الشرق"، وعبد الله قاسم صاحب "تاكسى السهرة" مع رفيقه جمال السنهورى. أتاح لى كامل تقديم حلقة على الهواء من برنامج" ما يطلبه العمال"، وكان على أن أقرأ قائمة طويلة من الأسماء الواردة من أنحاء البلاد كافة. ونظرا لحداثة وجودى فى القاهرة كاسكندرانى أصيل، أثرت موجة من الضحك حين قرأت "شبرا" على أنها "شُربة" و"ميت عُقبة" على أنها "ميت عقبة" بفتح العين ناهيك عن أسماء المستمعين أنفسهم التى كان بعضها ما أنزل الله بها من سلطان لغرابتها. غير أن الموقف الذى لا يزال كامل البيطار يذكره جيدا، حدث حين رأيته ذات مرة فى حيرة من أمره فى تسمية برنامج منوعات فسألته عن مضمونه، فقال إنه يستضيف شخصا عاديا، بعيدا عن المشاهير ليقدم للمستمعين أغنيات من اختياراته الخاصة. فقلت له مداعبا فلنسمه "أغانى وعجبانى"، فإذا بكامل يقفز من على كرسى المكتب وكأنه نيوتن

حين سقطت امامه التفاحة، قائلا" هو ده..هو ده". وبات ذلك البرنامج من العلامات المميزة لصوت العرب. ومثلما شاركت فى البرامج الثقافية ببرنامج " واحد+واحد" القائم على اختيار شخصية فنية تقابل شخصية تاريخية فى قالب درامى، قدمت " ساعة مع خمسين إذاعة" الذى استعنت فيه بفقرات من جميع الإذاعة المصرية المحلية والموجهة، مما كان سببا فى توثيق علاقتى مع زملاء المهنة فى تلك الإذاعات، مثل محمود سلطان ومحمد الشناوى ومحمد سناء الذين استعنت بهم فيما بعد، إضافة إلى مصطفى لبيب من إذاعة الشعب، حين كان صوت العرب على وشك الإفلاس فى أعقاب ثورة السادات التصحيحية عام ١٩٧١، التى كان من نتيجتها نقل عدد كبير من مذيعى صوت العرب إلى دوائر حكومية أخرى بحجة اشتراكهم فى مؤامرة لقلب نظام الحكم. كما قدمت مع الزميلة أمانى كامل" من غير مونتاج"، أول برنامج حوارى على الهواء، قبل ظهور برامج "التوك شو" الفضائية بعشرين سنة على الأقل. كان صوت العرب بحق مدرسة إعلامية ثقافية فنية جامعة، أُتيحت لى فيها فرص لم تكن لتتوفر لى فى أية محطة أخرى. وحتى حين انتقلت إلى صوت أمريكا فى اليونان ثم فى واشنطن كمذيع ومترجم ومراسل إذاعى وتلفزيونى، فإن حصيلة ما تعلمته فى هذه المدرسة كانت هى سندى وظهيرى فى عملى الإعلامى. ولا أنسى المرة الأولى التى سُمح لى فيها بإعلان اسمى على نشرة أخبار رئيسية بصوت العرب، وكنت قد أبلغت جميع أفراد أسرتى بألا تفوتهم هذه الفرصة. فبعد أن قرأتها، إذ بالإذاعى القدير إبراهيم مصباح بقامته الطويلة يدخل غرفة المذيعين مهرولا ويتساءل بصوته الجهورى: " فين المذيع الجديد ده اللى اسمه على آية قرآنية"، وكان يقصد "عبس وتولى"!



حلمى البلك



سعد زغلول نصار





عبد الوهاب قتاية



محمود سلطان



كامل البيطار

محمد سناء



محمد الشناوى



مصطفى لبيب

(٣) كلام فى الهواء!

مثلها مثل الحياة، علمتنى الإذاعة الشىء الكثير.. علمتنى الحرص على كل كلمة تخرج إلى الأثير.. فهى تخرج بلا رجعة غير قابلة للتصحيح، مثلما تصحح خبرا فى صحيفة قبل طباعتها، إلا بالاعتذار الواجب. وإن كان الخطأ جسيما فى وقت كانت الرقابة فيه مطبقة على كل ما يقال على الهواء، وفى عصر كانت الإذاعة هى الملكة المتوجة، قبل أن تترك الساحة للتلفزيون، عليك أن تتجاهل الخطأ وتمضى لعل السامع يكذّب ما التقطته أذناه، ويا حبذا لو كان السامع رقيبا "أطرش". كان للزميل الإذاعى الراحل عبد الرزاق قنديل مقولة شهيرة بأن حياة المذيعين هى نفحة هواء، فكلامهم فى الهواء، ويحاسبون على ما يقولونه على الهواء، وحين يرحلون عن هذه الحياة لن يبقى من ذكراهم سوى سيرة فى الهواء... بعد ساعات من قوله هذه الجملة أمام جمع من الزملاء فى استراحة المذيعين بماسبيرو، دهسه مترو مصر الجديدة وهو فى عز شبابه أثناء عودته إلى بيته. لذلك، وبعد أن أصبحت كبيرا للمذيعين، كنت أنصح المذيعين والمذيعات بالتعامل مع الأخطاء العفوية بحرص شديد. فالخطأ الصغير يجب إهماله والمضى قدما فيما تقرأ، والخطأ المتوسط يجب الاعتذار عنه وتصحيحه، أما الخطأ الجسيم فأمام المذيع خياران كلاهما مُرّ، أن يعتذر عنه بشدة أو يهمله تماما على نحو يوحى للمستمع أنه لا يصدق ما سمع. بالنسبة للخيار الأخير كانت هناك فى إذاعة فلسطين، التى كانت جزءا من إذاعة صوت العرب، أغنية

وطنية للفنان محمد سلمان بعنوان " على راسك يا إسرائيل". وكان مذيع الأستديو هو الزميل الراحل على سعفان. كان من المفروض أن يقدم الأغنية على النحو التالى: " إذاعة فلسطين من القاهرة..إليكم محمد سلمان فى أغنية على راسك يا إسرائيل". ولكنه لسبب ما، ربما كان يفكر فى هم من هموم الحياة، قلب الآية فقدمها على النحو التالى: "إذاعة إسرائيل من القاهرة." وكان على وشك أن يقول "إليكم محمد سلمان فى أغنية على راسك يا فلسطين" ! ولكنه أدرك المصيبة وحاول تصحيحها فأخذ يصرخ ويقول : " لا...لا...لا إذاعة فلسطين من القاهرة". وطبعا كان السيف قد سبق العذل ولم يُجد التصحيح شيئا، وكلفه الخطأ الفادح حرمانا من الإذاعة على الهواء لمدة شهر على ما أذكر. وما حدث معى كان النوع الثانى: " التطنيش عن الخطأ لو كان جسيما، لعدم لفت الانتباه". ففى نشرة أخبار الفجر فى الخامسة صباحًا كنت أقرأ خبرا عن مؤتمرات القمة العربية، ولشىء ما فى نفس المذيع، قرأتها "مؤامرات" القمة"، ومضيت فى تكملة النشرة دون تصحيحها اعتمادا على أن الناس نايمة وربما يكون الرقيب من بينهم. وأنا حتى الآن، وبعد مضى أكثر من أربعين عامًا لا زلت فى انتظار من يستدعينى للتحقيق!



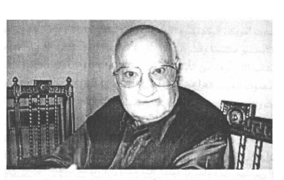


مؤتمرات القمة العربية

(٤) أحمد سعيد...المفترَى عليه!

لماذا حقق صوت العرب هذا النجاح الكاسح فى ستينيات القرن الماضى متفوقا على جميع الإذاعات المحلية والعربية؟ الابتكار، وحسن الاختيار، والحرفية والمتابعة. كانت هذه الإذاعة الوليدة بقيادة أحمد سعيد تسعى دوما وراء ما هو جديد ومختلف عما تبثه المحطات الأخرى، وكانت إدارة أحمد سعيد تنتقى الموهوبين المثقفين من أبنائها ليتصدروا المشهد بغض النظر عن أقدمياتهم الوظيفية، ثم تتابع عن كثب كل ما يبثونه على الهواء. وقد اكتشفت بعد كل هذه السنين أن العنصر الرابع، المتابعة، هو ما يحقق للإذاعة الاستمرار فى الانتقال من نجاح إلى نجاح. كان إرسال صوت العرب لا يغيب لحظة عن أذن أحمد سعيد. وكان لديه فى مكتبه سماعة يتابع من خلالها كل ما يصدر عن محطته. وعُرف عنه أنه حين كان يذهب إلى دورة المياه يطلب رفع صوت السماعة حتى لا يفقد ثانية مما تبثه محطته؛ لذلك كنا جميعا ونحن نسجل أو نذيع على الهواء نضع نصب أعيننا أن هناك آذانا مهنية تتابع وتراقب ما نقول. أذكر أثناء زيارة أحمد سعيد لصنعاء باليمن برفقة وزير الإعلام محمد فايق أن رفعه اليمنيون فى المطار فوق الأكتاف، دون أن يحس أحد حتى بوجود وزير الإعلام أو التعرف عليه. ورغم شهرة هذا الرجل التى كانت تعليقاته النارية ترفع وتسقط حكومات عربية، فقد كان متواضعا فى حرفيته، ويعطى كل ذى حق حقه، ويمنح فرص التقدم والترقى للصغير قبل الكبير. أذكر أنه ـ ولم يكن قد مضى على كمذيع

هواء سوى فترة قصيرة ـ أن أُعلن نبأ مصرع رئيس العراق عبد السلام عارف، صديق عبد الناصر، إثر سقوط مروحية فى ظروف غامضة كان يستقلها هو وبعض وزرائه ومرافقيه بين القرنة والبصرة مساء يوم ١٣ أبريل عام ١٩٦٦ خلال زيارة تفقدية لمحافظات الجنوب للوقوف على خطط الإعمار وحل مشكلة المتسللين الإيرانيين. وإذا بأحمد سعيد شخصيا يدخل على أستديو الهواء حاملاً معه أوراقًا، فعرفت على الفور أنه يريد أن يلقى بيانا بنفسه. وحين هممت بالوقوف لأتيح له مجالاً وراء الميكروفون، أشار إلىَّ أن أبقى مكانى. ثم جلس إلى جوارى وأخذ يكتب بيانات بخط يده ويسلمها إلىَّ واحدا تلو الآخر لألقيه بنفسى تعليقا على وفاة الزعيم العراقى. كان يمكن أن يلقى البيانات بنفسه، وهو المذيع الشهير الذى ينتظر العالم العربى برامجه السياسية الحماسية. ولكنه آثر أن يترك مهمة الإلقاء لى لأننى مذيع الأستديو ولا يصح أن يجور أحد على مهمتى، حتى لو كان مدير صوت العرب. صحيح أنه بعد هزيمة ١٩٦٧ انزوى أحمد سعيد عن الصورة، بعد كيل الاتهامات له بأنه المسئول عن إعطاء صورة غير حقيقية عن انتصاراتنا الزائفة فى الحرب وإسقاط مئات الطائرات الإسرائيلية كالذباب، ووصول القوات المصرية إلى مشارف تل أبيب. لم يشأ الرجل أن يدافع عن نفسه، وكثيرًا ما حاول العقيد معمّر القذافى، الذى كان يريد أن يستعيد أمجاد عبد الناصر، أن يجنّد أحمد سعيد لعله يتوّج نفسه خليفة لنظام عبد الناصر بجهازه الإعلامى وينقله إلى طرابلس. لكن الرجل رفض وأبى، بل إنه لم يشأ أن يعلن بنفسه الحقيقة التى كنا نعرفها جميعا داخل ماسبيرو، وهى أن كل المعلومات التى أوردها فى بياناته العسكرية عن الاشتباكات لم يخط فيها كلمة واحدة بقلمه، بل كانت تأتيه تباعا من إدارة الشئون المعنوية للقوات المسلحة!



أحمد سعيد



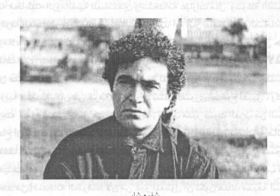
الرئيس العراقى عبد السلام عارف مع عبد الناصر

(٥)....نوادر على الهواء

كثيرة هى تلك المواقف التى تفاجئ مذيع أستديو الهواء وتقتضى منه أن يكون سريع البديهة للتغلب عليها، كأن يقدم مثلا أغنية ثم يفاجأ بأن مهندس الصوت يذيع أغنية أخرى أو أن يقرأ نشرة أخبار بها بعض الأخطاء المطبعية أو النحوية وعليه بفراسته أن يصححها فورا. بيد أن موقفا معينا كان أكبر من تلك الوقفات القصيرة. اعتدنا فى صوت العرب فى الفترة الصباحية قراءة مقتطفات من أقوال صحف اليوم. وكانت غرفة الأخبار ترسل مع الساعى "لوحة" ملصق بها قصاصات من بعض المقتطفات المختارة من صحف ذلك اليوم، ويتولى المذيع قراءتها، وهى مسألة روتينية تحدث كل صباح. وصباح يوم ما جاءنى الساعى باللوحة وكان المفروض أن يحضر بعد قراءتها لإعادتها إلى غرفة الأخبار. ولسبب ما جاء الساعى مبكرا واستعاد اللوحة قبل موعد قراءتها، دون أن أفطن لذلك. ربما كنت مشغولا وقتها بمتابعة المواد المذاعة على الهواء أو بالحديث مع مهندس الصوت. المهم جاء موعد أقوال الصحف ولم أجد لدى ما أقرأه. وكان علىَّ أن أتصرف، فاعتمدت على الذاكرة مما قرأته فى صحف ذلك اليوم، وأخذت أسرد مقتطفات الصحف من الذاكرة! ومرت العملية بسلام. أما الموقف الأصعب فحدث فى إذاعة صوت أمريكا. كان لدينا رئيس تحرير مخضرم هو الأستاذ "أنور حديد". ولسبب ما أيضا قرر فى ذلك اليوم أن يقرأ نشرة الأخبار بنفسه، ولم يكن قد فعلها من قبل. فذهب إلى زميلنا "سمير كتاب" ليسأله كيف يقدم

لقراءة النشرة. فقال له سمير إنه شخصيا، أى سمير، يستهل النشرة بالقول:" إذاعة صوت أمريكا. إليكم نشرة الأخبار يقرؤها سمير كتاب". ودخل الأستاذ أنور حديد الأستديو منتفخا وقدم النشرة بكل ثقة قائلا "إليكم نشرة الأخبار يقرأها سمير كتاب"!!! وعُرف عن الأستاذ سعد زغلول نصار أنه أثناء نوبته فى أستديو الهواء بصوت العرب التى تمتد أربع ساعات كان يشغل نفسه بترجمة بعض الروايات والمسرحيات، ربما أهمها كتاب "مسرح الكابوكى اليابانى". وحدث أن جاء دوره لتقديم أغنية شادية "آه بحبه" وكان منغمسا فى الترجمة فإذا به يقول " إليكم شادية فى أغنية "٥١ بحبه"!!. أما زميلنا السورى مازن النقيب فقد أُشتهر عنه مخاطبته الرومانسية للمستمعين واستخدامه عبارات مثل "وشوشة النسمات وزقزقة العصافير ورفرفات أوراق الشجر"، بيد أنه أثار عاصفة من الضحك بين الزملاء حين قدم أغنية فريد الأطرش " بقى عايز تنسانى" بالتشديد على حرف القاف الذى ينطقه المصريون كألف، بل وهكذا ينطقه فريد الأطرش فى الأغنية! كان صوت العرب، بصفته الإذاعة القومية للعرب، يضم بين مذيعيه جنسيات عربية متعددة. كان فى غرفة الأخبار الأستاذ السورى "صفوح أقبيق"، وكانت زوجته "نجاح النعنى" تعمل فى نفس الغرفة. وطلب مدير صوت العرب من السيدة نجاح أن تستضيف الأستاذ أنيس منصور لتجرى معه حوارا. فاتصلت به هاتفيا، واتفقا على الموعد. ولكن الأستاذ أنيس، على غير عادته، لم يحضر التسجيل. وحينما اتصل به الأستاذ سعد زغلول قال له أنيس إنه ظن أن هذا مقلب دبره واحد من أصدقائه الظرفاء، لأن من غير المعقول أن تكون هناك مذيعة اسمها "نجاح النعنى أقبيق"! قد تكون هذه مواقف ظريفة يمكن قبولها عن طيب خاطر. أما الذى لم أقبله حين كنت كبيرا للمذيعين فهو أن يخرج قارئ نشرة الأخبار عن الخط التقليدى المحافظ المتبع فى صوت العرب. كان الزميل "شفيع شلبى" قد انتقل حديثا إلى صوت العرب، أعتقد من إذاعة الشرق الأوسط. وقد عُرف عنه أنه كثير التنقل بين الإذاعات لسبب أو لآخر. وكانت أول نشرة يقرؤها فى صوت العرب هى نشرة العاشرة والنصف مساء. وكنت وقتها فى البيت أتابع كالعادة

إرسال الإذاعة بحكم وظيفتى. فإذا به يقدم النشرة على النحو التالى:" صوت العرب من القاهرة. نشرة الأخبار يقرؤها شفيع"! لم أصدق أذنى، ولم أظن لحظة أنه نسى بقية اسمه. وفى اليوم التالى توجهت إلى مدير صوت العرب الأستاذ سعد زغلول نصار وأبلغته بما حدث، فسألنى وما وجه الاستغراب فى ذلك؟ فقلت له إن نشرة الأخبار لها قدسيتها، ويجب التعريف باسم قارئ النشرة كاملا، حتى لا يتحول الأمر إلى: يقرؤها محمود، أو عباس، أو مرفت على غرار بطلات السينما "شادية" و"ماجدة" و"نيللى" و"يسرا"! وكان ذلك إيذانا بانتقال "شفيع" إلى إذاعة أخرى!



شفيع شلبى

(٦) عناق السماء والأرض فى تعز!

فى عام ١٩٦٧ كنت مبعوثا إلى اليمن للإشراف على إذاعة تعز لتدريب المذيعين والمذيعات وتحرير النشرات الإخبارية وكتابة التعليقات التى كانت تستهدف الاحتلال البريطانى لليمن الجنوبى ونشر رسالة القومية العربية التى حملها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر على عاتقه. كنت أعيش وزملائى من الهندسة الإذاعية فى بيت واحد يضم الأستديو وعنبرا للنوم. ورغم تواضع البيت فقد كان يقبع على تلة صغيرة تجابه جبلا عملاقا اسمه جبل "صبر" تقطع السحب ثلثه العلوى فى مشهد سويسرى خالص. مدينة تعز تقبع عند سفح هذا الجبل الشامخ الكثير الخيرات والعيون والمناهل، الذى تغطى جوانبه الزراعات المختلفة خاصة أشجار القات والبن والحبوب والفواكه المختلفة. وتتخلل الجبل القرى الجميلة المعلقة التى تؤلف منظراً غاية فى السحر، حيث تشكل أكواخ المزارعين فى المساء مزهرية من مصابيح الكهرباء تحيلها إلى نجوم متلألئة سابحة فى السماء. وكان المزارعون ينزلون إلى ما تحت السحب لزراعة محاصيلهم فوق المصاطب الجبلية والاستفادة بالأمطار، ثم يعودون إلى أعلاه حيث الشمس الدائمة. ووقت الحصاد تنزل الفتيات الجبليات إلى الوادى لبيع المنتجات الزراعية من الفواكه والخضروات. وعلى عكس فتيات المدينة المنتقبات، كن سافرات بمسحة من جمال فطرى وعيون واسعة تخلب الألباب. وبالليل كانت أضواء الأكواخ تتلألأ بأنحاء الجبل كبقع ضوئية صغيرة، وفى الليالى غير المقمرة يختلط عليك الأمر فلا تستطيع أن تميز بين نقاط الأكواخ الضوئية وبين النجوم، فترى السماء وكأنها قد مالت لتحتضن سفح

الجبل أمام عينيك. مشهد رومانسى رائع طالما كنت أظل بالساعات أتأمل فيه من خارج غرفتى، ولا يقطع على هذا التأمل سوى أصوات قذائف الهاون التى كان يطلقها الملكيون من أنصار السعودية المعارضون للوجود العسكرى المصرى فى اليمن، باتجاه ثكنات الجيش المصرى. ونظرا لقلة الإمكانيات كنا نسجل برامجنا ونشراتنا فى هذا الأستديو المتواضع ثم يحمل السائق الأشرطة إلى محطة الإرسال التى تبعد نحو ثلاثين كيلومترا فى الصحراء القاحلة لبثها. وفى يوم ما تمخضت لدى أحد مهندسى الصوت المصريين فكرة أن يركّب لنا ميكروفونا فى محطة الإرسال حتى نستطيع الإذاعة على الهواء بدلا من التسجيل. وكنا نقطع كل يوم الثلاثين كيلومترا للبث الإذاعى المباشر الذى كان يُختتم بموجز للأنباء فى العاشرة مساء. وفى واحدة من تلك الليالى شاهدنا قذائف الهاون وهى تقترب من محطة الإرسال شيئا فشيئا قبل انتهاء البث، ودب الخوف فى أوصال الجميع حين تأكدنا أننا مستهدفون حقا، حيث لا يوجد سوى مبنى هذه المحطة وسط تلك الصحراء الشاسعة. وهنا طلبت من المذيع اليمنى أن يقرأ موجز الأنباء قبل موعده بعشر دقائق. ولكنه نبأنى بأن موعد الموجز هو العاشرة. فقلت له ببساطة قل إن الساعة الآن العاشرة وإليكم الموجز، فالموت دونه تقديم الساعة عشر دقائق، ولتكن كذبة بيضاء منقذة للحياة. وبعد آخر سطر قرأه المذيع كنا جميعا داخل السيارة التى انطلقت بنا نحو المدينة، ومبررنا الوحيد هو أن "العمر مش بعزقة"!

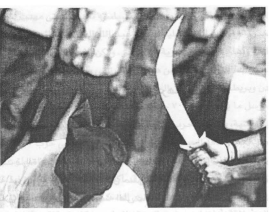


مع الزميلين محمد مرعى وعلى موسى فى صنعاء عام ١٩٦٧

(٧) عدالة قطع الرأس!

تتردد هذه الأيام كثيرًا عبارة العدالة الناجزة فى الحديث عن محاكمة كل من أفسد الحياة السياسية فى مصر، دون أن يشرح لنا أحد ماهية تلك العدالة وكيفية تطبيقها وعلى من نطبقها. أما أنا فقد رأيت العدالة الناجزة رأى العين. كنا فى اليمن، كغيرنا من أهل البلد، نسهر كثيرًا ونصحو متأخرين. غير أننى صحوت فى أحد تلك الأيام مبكرا على صوت جلبة صادرة عن ملعب كرة قدم ملاصق لأستديو الإذاعة، فتعجبت أن تقام مباراة فى مثل هذا الوقت المبكر من الصباح. امتلأت مدرجات ساحة الملعب بجمهور غفير. لكنه لم يحضر لمشاهدة مباراة رياضية، وإنما جاء ليشاهد إعدام رجل بقطع الرأس. كان ذلك الرجل فى الليلة السابقة قد قتل شخصا آخر بالرصاص فى سوق المدينة، فصدر الحكم بإعدامه صباح اليوم التالى. أليست هذه عدالة ناجزة؟ رغم كل رعبى من المشهد قررت أن أتحامل على أعصابى لأرى تفاصيله، فلربما لن تتاح لى فرصة أخرى لمشاهدة حدث كهذا فى المستقبل. تم اقتياد المتهم وإرغامه على أن يجثو على ركبتيه وسط الساحة. ساد الملعب صمت رهيب فيما رفع السياف سيفه وهوى به على رقبة المتهم ففصلها بضربة واحدة تدحرجت كالكرة وسقط جسده فوقها. كتمت صرختى من المشهد المريع، غير أننى أُصبت بغثيان أفظع وأنا أرى رد فعل عملية الإعدام على وجوه الجماهير وهى تغادر المكان. كانوا يتجادلون ويتناقشون كما تتجادل جماهير كرة القدم حول تفاصيل المباراة بعد انتهائها، فمنهم الناقد

ومنهم المشجع ومنهم اللاعن للعبة السيئة. بيد أن محور أحاديثهم انصب على ما إذا كان أهل القتيل قد قدموا رشوة للسياف ليفصل رأسه بضربة واحدة حتى لا يتعذب، أم لا. أما موت الرجل بهذه الطريقة البشعة فقد كان بالنسبة لهم مجرد لاعب فى مباراة لقطع الرءوس! الفرق شتان بين هذه العدالة الناجزة وبين محاكمات الدول الديمقراطية والتى تستمر شهورا وربما يخرج منها القاتل بريئا مثل محاكمة لاعب كرة القدم والممثل الأمريكى الأسود أوه جيه سمبسون الذى أُتهم بقتل زوجته نيكول وصديقها رونالد جولدمان فى ١٢ يونيو عام ١٩٩٤. وهى محاكمة وُصفت بأنها محاكمة العصر، حيث استحوذت على نشرات الأخبار على مدار ٢٤ ساعة لفترة طويلة وشهدت ولادة تلفزيون الواقع. كان الشعب الأمريكى يتسمر يوميا أمام التلفزيون لا ليشاهد المحكمة وحسب وإنما لينصّب من نفسه هيئة محلفين كبرى، تيقنت من واقع الأدلة والشهود أن سمبسون هو القاتل. بيد أن المحلفين الحقيقيين برأوا ساحته بسبب براعة طاقم المحامين الذين أخرجوه كالشعرة من العجين! كان الموت فى بلد فقير كاليمن أسلوب حياة. بل إن بعض اليائسين من الحياة بسبب الفقر أو الظلم قد يتمنون الموت ويلاقونه على الطريقة اليمنية. كنا نقود السيارة يومًا فى طريقنا إلى محطة الإرسال النائية للبث على الهواء. ولمحت وأنا فى السيارة رجلا هائما على وجه فى الصحراء وقد طال شعره ولحيته وأمسك بعصاه بأسماله البالية وبدا لى صورة ذهنية لشخصية روبنسون كروزو. سألت السائق اليمنى: ماذا يفعل هذا الرجل فى الصحراء الموحشة؟ فأجاب بتلقائية وقد بدا أنه معتاد على هذا المشهد، "هذا رايح للوحش". فسألت بسذاجة: هل ينوى صيد الوحش وهو فى هذه الحالة البائسة؟ فاستدرك ضاحكا من سذاجتى:" لا هذا رايح يعطى نفسه للوحش"، أى بلغة هذا العصر هذا الرجل بسبب بؤسه وفقره ويأسه من الحياة قرر الانتحار بأن يقدم نفسه لقمة سائغة لوحوش البرارى!



عدالة قطع الرأس فى اليمن



محاكمة أوه جى سمبسون

(٨) ثورة اليمن.. وشاعرها العظيم

كانت قراءة نشرة الأخبار من إذاعة صنعاء عام ١٩٦٧ أول تجربة لى مع إذاعة عربية غير إذاعة صوت العرب. كان حسن العزى، كبير مذيعيها آنذاك، سعيدا بانطلاق صوت مصرى من إذاعته التى عادت ملكيتها الحقيقية إلى الشعب اليمنى. والحكاية، كما رواها لى، أن هذ المبنى العتيق كان ملكًا خالصًا للإمام محمد البدر حميد الدين. ولم تكن للإذاعة مواعيد محددة فى الافتتاح والختام كبقية الإذاعات فيفتح الإمام الإذاعة كيفما يشاء وفى أى وقت يحب، وعند نهاية الإرسال كان يغلقها ويأخذ معه مفتاحها إلى قصره، إلى أن يأتيه "مزاجه" ويفتحها مرة أخرى! كان ذلك الإمام ملما، على ما يبدو، بأهمية دور الإذاعة وسطوتها الإعلامية فى التحكم فى شعبه. وكان يعرف أيضا أن أى ثورة أو انقلاب يبدأ من دار الإذاعة، وكانت تجربة الثورة المصرية عام ١٩٥٢ ماثلة أمام عينيه، فيما يبدو، ولم يشأ أن يخرج من عنده أنور سادات يمنى ليقرأ البيان الأول للثورة! وحسب ما رواه لى حسن العزى فإن الإمام كان يعمل على تغييب شعبه تماما عن الوعى السياسى، ناهيك عن الوعى الذهنى. فرغم شهرة اليمن فى زراعة أفضل أنواع البن فى العالم، رفع الضريبة على زراعة البن وخفضها كثيرًا على زراعة القات، ذلك المخدر الذى زاد الشعب اليمنى العريق تخلفا. لاحظت ذلك وأنا أطوف بالمدينة أوقات القيلولة فأجد أصحاب المتاجر وقد انتفخ صدغ كل منهم بالقات وهم فى حالة "تخزين"، ويا ويلك لو حاولت إخراجهم من

هذه الحالة لشراء غرض ما! وربما كانت سياسته تلك هى التى مهدت لثورة ٢٦ سبتمبر١٩٦٢ حين انقلب عليه المشير عبد الله السلال القائد العام للقوات المسلحة وأعلن قيام الجمهورية فى اليمن. ولكن الإمام البدر، بعد هروبه إلى السعودية، بدأ الثورة المضادة من هناك، حيث تلقى وأنصاره الدعم من السعودية والأردن وبريطانيا، بينما تلقى الجمهوريون الدعم من مصر جمال عبد الناصر، الذى أرسل ما يقارب ٧٠,٠٠٠ جندى مصرى. وعلى الرغم من الجهود العسكرية والدبلوماسية، وصلت الحرب إلى طريق مسدودة واستنزفت السعودية بدعمها المتواصل للإمام طاقة الجيش المصرى وأثرت على مستواه فى حرب ١٩٦٧ وأدرك جمال صعوبة إبقاء الجيش المصرى فى اليمن، فسحبه من هناك واضطرت بعثتنا إلى العودة أيضا لمصر رغم أنها لم تكن قد أكملت مدة السنتين المقررة لها. كانت بعثتنا إلى اليمن فى إطار الدعم المصرى العسكرى والثقافى لثورة السلال. ومن ثم كانت علاقة بعثتنا جيدة مع الجيش المصرى، وكانت علاقتى أنا شخصيا وزميلى على موسى، رحمه الله، أوثق مع الملازم أول أحمد عبد الحليم (هو الآن اللواء متقاعد والخبير الاستراتيجى الدكتور أحمد عبد الحليم). كنا نمضى معه فى معسكره أوقات الظهيرة التى تُغلق فيها المتاجر أو تتوقف عن العمل بسبب "القات". وكانت فترة إقامتنا فى المعسكر تنتهى دائما بإصرار من الملازم أول الكريم على تزويدنا بحصة لا بأس بها من "تعيين" الجيش (جبنة وحلاوة ومعلبات وخلافه)! أما أمسياتنا فى صنعاء فكنا نقضيها، بعد نهاية فترة الإشراف بالإذاعة، إما فى لعب الكونكان أو الكناستا مع رئيس البعثة الأستاذ صلاح عويس وزوجته الزميلة سهير الحارتى والزملاء عصمت إبراهيم ومحمد مرعى وزوجته الزميلة سعاد خليل، أو الانضمام إلى تجمع ثقافى. كنت قد اكتشفت قبلها كنزا ثقافيا بعد أن أجريت مقابلة للإذاعة مع الشاعر اليمنى الكبير عبد الله البردونى. فلم يكن هذا المثقف الكفيف الذى ولد عام ١٩٢٩ وتوفى فى ٣٠ أغسطس ١٩٩٩، شاعرا وحسب، وإنما كان أيضا ناقدا أدبيا ومؤرخا ومدرسا تناولت مؤلفاته تاريخ الشعر القديم والحديث فى اليمن ومواضيع سياسية متعلقة

بذلك البلد وكان مؤيدا للحكم الجمهورى على الملكية، وداعما قويا للتوجه العروبى لمصر وزعيمها جمال عبد الناصر. غلبت على قصائده النزعة الرومانسية والقومية والميل إلى السخرية والرثاء. وكان أسلوب ونمطية شعره يميل إلى الحداثة عكس الشعراء القبليين فى اليمن. وكانت قصيدته "أبو تمام وعروبة اليوم" هى بوابة عبوره إلى عالم الشهرة، وفى بعض أبياتها يقول الشاعر الراحل:

حبيبٌ وافيتُ من صنعاءَ يحملنى

نسرٌ وخلف ضلوعى تلهثُ العربُ

ماذا أحدثُ عن صنعاءَ يا أبتى

مليحةٌ عاشقاها السلُ والجربُ

ومن أروع قصائده التى تكشف عن حال صنعاء واليمن بشكل عام وكيف حل بها الدمار وكيف وصل الدمار حتى إلى المساجد، تأتى قصيدته "سفاح العمران" لتطابق الواقع اليمنى، وفيها يخاطب البردونى شخصية القاتل والمدمر للعمران والمبانى والمنازل:

يا قاتل العمران.. أخجلت	المعاول.. والمكينة
ألأنّ فمك النفوذ	وفى يديك دم الخزينة ؟
جرّحت مجتمع الأسى	وخنقت فى فمه.. أنينه
وأحلت مزدحم الحياة	خرائبا، ثكلى، طعينه
ومضيت من هدم إلى	هدم، كعاصفة هجينه
وتنهّد الأنقاض فى	كفيك، أوراق ثمينه
وبشاعة التّجميل فى	شفتيك، كأس أو دخينه

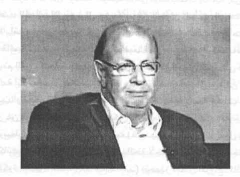
عاش البردونى، داعيا إلى قيم الحرية والعدالة والتحديث، معتدا بنفسه، معتزا بآرائه، معلنا حربا بلا هوادة على كل أشكال القبح، عصيا على التدجين

والاحتواء، وبسبب ذلك عاش فقيرا معدما، لا يجد كفاف يومه، وقد مات على ذلك دون أن يعلم به أحد!



الشاعر اليمنى عبد الله البردونى

الإمام البدر



اللواء الدكتور أحمد عبد الحليم

(٩) ماريا تيريزا فوق حمار!

كانت المهمة الإذاعية فى اليمن التى كلفنى صوت العرب بها مطلع عام ١٩٦٧، أول تجربة لى مع "تنمية الموارد" وبث الحياة فى المرتب الهزيل. كانت فرصة العمل فى الخارج لزيادة الدخل شبه معدومة فى تلك الفترة. بيد أن صوت العرب تفرد بأنه كان الإذاعة الوحيدة التى توفد بعثات إذاعية إلى اليمن بعد ثورة عبد الله السلال وإرسال جزء كبير من الجيش المصرى إلى هناك لحماية الثورة بأمر من الوحدوى الكبير جمال عبد الناصر. كانت إدارة صوت العرب تضع قائمة مصنفة حسب الأقدمية لبعثة من سبعة أفراد لقضاء سنتين فى اليمن ثم العودة لتحل محلها بعثة أخرى. ورغم أنه لم يكن قد مضى على وجودى بالإذاعة آنذاك سوى عامين، تلقفت هذه الفرصة حين أُتيحت لى من حيث لا أحتسب. والحكاية أن الدور كان على زميل المسيرة الإذاعية عاطف كامل، الذى اعتذر عن الذهاب إلى اليمن حيث كان يعد العدة لدخول عش الزوجية. وسألته أن يتوسط لى لدى الأستاذ أحمد سعيد مدير صوت العرب لأحل محله. وقد كان. كانت بعثة اليمن هى فرصتى السانحة لأجمع قرشين لسداد خلو شقة (لم تكن فكرة الشقق التمليك قد سادت بعد) وتجهيز نفسى للزواج. كانت مرتباتنا بالجنيه المصرى مستمرة فى الصرف ويتم تحويلها إلى حساب بنكى، فى الوقت الذى نقبض فيه مرتبات طوال فترة البعثة بالريالات اليمنية. ورغم أن بعثتى، التى كانت برئاسة الزميل صلاح عويس وعضوية زوجته سهير الحارتى والزميل محمد مرعى وزوجته سعاد خليل والزميلين على موسى وعصمت إبراهيم والعبد لله،

لم تستمر سوى سبعة أشهر فقط بسبب اندلاع حرب ٥ يونيو ١٩٦٧، فقد كانت فاتحة خير بالنسبة لى. فلأول مرة تجرى بين يدى عملة صعبة وكنت سعيدا وأنا أتسلم مرتبى من البنك أول كل شهر وأستمر فى عد الأوراق النقدية أكثر من مرة قبل أن أغادر شباك الصراف. غير أن البعثات التى سبقتنا كانت أكثر حظا لأن أفرادها كانوا يقبضون مرتباتهم بالريال الفضة قبل أن تبدأ الحكومة المصرية فى طبع الأوراق النقدية كأول عملة يمنية محلية بعد الثورة. غير أن بعض أفراد البعثات السابقة اعتبروا أننا أفضل حالا، لأن الريال الفضى الذى كان يسمى الريال النمساوى "ماريا تيريزا" كان من ثقل الوزن بحيث لا يمكن أن تحمل مرتبك من البنك إلى البيت. وكان الحمار، أعزكم الله، هو الوسيلة العملية لحمل زكيبة المرتب إلى البيت ! ففى أول كل شهر تجد البنوك اليمنية وقد أحاطت بها قطعان من الحمير لحمل مرتبات الموظفين فى أجولة وبعض الجمال لحمل مرتبات كبار الموظفين! ومنذ وفاة الإمبراطورة النمساوية ماريا تيريزا طُبع من العملة الفضية التى تحمل صورتها وتاريخ سكها ١٨٧٠ أكثر من ٤٠٠ مليون قطعة موزعة فى أشتات العالم العربى، خاصة جنوب الجزيرة العربية وشرق أفريقيا وحتى الغرب الإفريقى وإلى بلاد الهند والصين. وارتبط انتشار هذه العملة بتراجع العملة العثمانية التى لم تكن تصل فى موعدها لتجار اليمن وحضرموت بسبب ضعف إدارات الدولة وتراجع سيطرتها على أطرافها البعيدة. ووجد التجار ضالتهم للتبادل التجارى فى هذه القطعة الفضية، وارتبطت، من ثم، بتجارة البن الذى كان يُزرع فى مرتفعات اليمن مما دفع تجار الشرق أو المشرق الأوروبيين إلى سك كميات كبيرة من العملة النمساوية لكى تصبح وسيلة للتداول فى عدن وحضرموت ومدينة جدة. وفى إثيوبيا كان يُطلق على الريال النمساوى "سيدة الفضة" حيث اعتبرت التقاليد المحلية صورة ماريا تيريزا صورة للسيدة العذراء. ويقال إن تحويل العملة اليمنية من الريال النمساوى الخالص الفضة إلى العملة الورقية كان وراءه رغبة مصرية فى الحصول على هذه العملة الثمينة كتعويض عن الأموال الطائلة التى تكبدتها الحكومة المصرية لتغطية تكاليف قواتها المتمركزة فى اليمن. وثمة روايات سمعتها عن هذا الموضوع، وإن كانت لم تتأكد

لى من مصدر محايد لأنه لم يُعلن شىء عنها فى حينها، بأن طائرة الأنتينوف الضخمة التى حملت زكائب ريالات ماريا تيريزا فى طريقها إلى القاهرة لم تتحمل الوزن الهائل لتلك العملة فسقطت بكل هذه الثروة فى مياه البحر الأحمر! وثمة حكايات كثيرة عن الخزائن المليئة بريالات ماريا تيريزا المخبأة فى رمال الجزيرة أو تلال إثيوبيا، ومصدرها أن حكام تلك البلاد كانوا يجبرون على حمل خزائنهم معهم على ظهور الجمال كما كان يفعل الملك عبد العزيز بن سعود فى بداية إنشاء المملكة العربية السعودية الحديثة، أو كما فعل أحد ملوك الحبشة بإخفاء أطنان من تلك الريالات فى تلة مرتفعة حيث وضع كميات منها فى ٣٠٠ جرة فخارية وقام بصهرها فى موقد حيث كان يريد استخدام سائل الفضة فى سك عملة تحمل اسمه وصورته! وفى خمسينيات القرن الماضى كان تجار خان الخليلى بالقاهرة يستوردون الريال النمساوى أسبوعيا من اليمن لاستخدامه فى الزخارف والصناعات الفضية التى تشتهر بها السوق السياحية. ومع تقدم الأيام، دخل ريال ماريا تيريزا النمساوى الفضى أيضا فى تقاليد الزينة عند رجال القبائل فى عُمان واليمن، حيث كانوا يزينون خناجرهم التقليدية بالزخارف الفضية. كما صار قطعة من المجوهرات، وهذا وجه آخر من تواصل الريال بعد وفاة الإمبراطورة التى رعت ولادته، حيث أصبح الآن يُستخدم كأدوات زينة للنساء مثل العقود، والخواتم، والأقراط، والأساور...إلخ. بل إن بعض النساء المحليات يتبركن بتعليق هذا الريال فى صدورهن لاعتقادهن أنه يساعد على الإنجاب!



ريال ماريا تيريزا

(١٠) لا تسوّد أرض الله

كان أمامى خياران بعد أن قرر رئيس بعثة صوت العرب الزميل صلاح عويس لدى وصولنا إلى صنعاء فى فبراير عام ١٩٦٧ إيفادى إلى تعز لأتولى الإشراف على الإذاعة المحلية هناك: إما أن أركب الطائرة أو أن تقطع بى السيارة ٢٥٦ كيلومترا إلى تعز. ونظرا لأننى لم أكن أبدا أرتاح لفكرة ركوب الطائرة وأحاول أن أتفاداها بقدر الإمكان، فضّلت أن أستخدم الطريق البرى، وفى ذهنى طريق مصر-الإسكندرية الصحراوى الذى طالما استخدمته لأصل إلى موطنى الأثير إلى نفسى. وما حدث بعد ذلك كانت الأهوال بعينها. فقد انطلق السائق اليمنى بسرعة لم أتعود عليها، بحجة أن يهوّن على المسافة. لم يكن الطريق مستويا أو ممتدا كطريق مصر الاسكندرية، ولكن كان عليه أن يخترق سلسلة من الجبال الموحشة، ليس من خلال أنفاق كتلك التى تخترق الجبال فى بلاد مثل سويسرا، وإنما بالالتفات الدائرى الصاعد والهابط حول كل منها. العجيب فى الأمر أن الطريق فى أعلى نقاطه كان يضيق بشكل يكاد يكفى مقاس عرض السيارة، وإذا حاولت النظر من النافذة أصابك الدوار ليس بسبب الارتفاع وحسب، وإنما لكثرة ما تشاهده من سيارات وشاحنات محطمة وهياكل عظمية على جانب الجبل بسبب حوادث سقوط سابقة فى طريق الموت هذا. حاولت أن أستمد هدوء أعصابى من برودة أعصاب السائق الذى بدا معتادا على ما يفعله. وحينما أحاول أن أسأله أن يخفف السرعة يقول إنه يسابق الزمن حتى نتفادى انهيارات صخرية

قد تعطل السيارة، وأنا لا يهمنى طبعا تعطّل السيارة بقدر ما كان يهمنى ألا تقع مثل هذه الانهيارات فوق رءوسنا! لا أدرى إن كان قد تم إصلاح الطريق اليوم فأنا أتحدث عن حاله عام ١٩٦٧. وإن كنت أسمع هذه الأيام أنه إذا أرادت جماعة متمردة أو منشقة شل حركة التجارة فى اليمن فما عليها إلا أن تقطع طريق صنعاء-تعز. كانت هذه هى المرة الأولى والأخيرة التى أستخدم فيها ذلك الطريق، وكنت أشتاق طوال الرحلة إلى مقعد وثير فى طائرة، وربما هذا الذى خفف عنى فيما بعد الرهبة من ركوب الطائرات. وهذا ما فعلته حين عدت إلى صنعاء بعد ثلاثة أشهر فى أول إجازة سُمح لنا فيها بزيارة الأهل فى مصر. فحين حط بى الرحال فى صنعاء أخذت كغيرى من المصريين أطوف بمتاجر العاصمة اليمنية لتنفيذ قائمة الطلبات الطويلة التى حمّلنى بها الأهل والأصدقاء، ومحاولة المواءمة بينها وبين العشرين كيلوجرامًا المسموح لنا بحملها فقط فى شركة الخطوط الجوية اليمنية. وحينما التقيت بصديقى الملازم أول أحمد عبد الحليم (الآن اللواء الدكتور احمد عبد الحليم الخبير الاستراتيجى المعروف)، هونّ على قائلا " ما تسيبك من الطائرة المدنية وأحجز لك مكانا فى الطائرة العسكرية التى كانت ستقلع فى اليوم التالى وفى هذه الحالة لايهمك موضوع الوزن". ما كاد يلفظ بهذه الجملة إلا وكنت قد هرولت إلى المتاجر لا لأبحث عن سلعة معينة، وإنما لأسأل عن أثقل السلع وزنا، على طريقة " شيل.شيل..عبى.. عبى..أحمدك يا رب" فى تمثيلة على بابا الإذاعية! وكانت الحصيلة طقم صينى ومروحة وجهاز ريكورد صوت "تقليعة تلك الأيام" قبل ظهور الفيديو، وطقم ملاعق وسكاكين علاوة على تنفيذ القائمة العائلية بحذافيرها. كنت فى حالة من الخجل وأنا أجر ورائى ما يزيد عن الخمسين أو الستين كيلوجراما إلى الطائرة الأنتينوف. وهى لمن لا يعرفها طائرة شحن سوفيتية استراتيجية تعتبر أثقل طائرة فى العالم، صُمّمت لحمل أى شحنة عملاقة من دبابات وعربات مدرعة وناقلات جنود ومدافع ثقيلة، وذلك لكبر مساحة سطح الشحن داخلها ولأن لديها ١٦ عجلة مزدوجة فى كل جهة من الخلف ومن الأمام. لم تكن بها صفوف مقاعد للركاب،

وإنما دكتان خشبيتان بطول الطائرة يجلس المسافرون عليها جنبا إلى جنب ويمسك كل منهم بحزام يتدلى من السقف كتلك التى تتدلى للركاب الواقفين فى الترام أو الأوتوبيس، وذلك لإفساح المجال أمام الشحنة التى تتوسطها، لم تكن هذه المرة دبابات أو مدافع، وإنما كانت حصيلة لا بأس بها من الأجهزة المنزلية من ثلاجات وغسالات وتلفزيونيات وبوتجازات وسخانات وكأنك نقلت مقتنيات شارع الشواربى فى عصر حظر السلع المستوردة! لم أكن أتصور أن مثل هذه الطائرة العملاقة يمكن أن تقلع، ولكنها فعلت ذلك فى رحلة أخرى لا تقل هولا عن رحلة طريق صنعاء تعز البرى. كان المطب الهوائى الواحد فيها الذى يقطع الأنفاس بعشر مطبات هوائية لأى طائرة تجارية. وحينما عدت إلى صنعاء من الإجازة كنت فى حيرة من أمرى هل أعود إلى تعز برا أو جوا. وأخذ بعض أصدقائى اليمنيين يهونون على ويبشرون بخطة إصلاحات طريق الأهوال هذا. وتعبيرا عن تفاؤلهم رافقونى لأرى بنفسى كيف بنت الصين طريقا أسفلتيا رائعا يربط صنعاء بميناء الحديدة على البحر الأحمر. علمت أن هذا الطريق الذى يبلغ طوله الإجمالى ٢٣١ كم، وبدء تنفيذ المشروع عام ١٩٥٩، تم إنجازه فى ثلاثة أعوام فقط وبالتحديد عام ١٩٦٢، فى وقت كانت الصين تعانى فيه الفقر والجوع والكوارث الطبيعية ولم تكن القوة الاقتصادية العملاقة التى هى عليها اليوم. كان الطريق من أهم المشاريع الضخمة وشريان الحياة الرئيسى لنقل البضائع والاستيراد والتصدير لربط اليمن بالعالم الخارجى. سمعت قصصا عدة فى إطار المشروع عن جوانب الوعد والإنجاز، والتضحية وحب العمل، والتحدى والمخاطرة، وصولاً إلى النجاحات المنشودة التى امتزجت فيها آمال وطموحات الأجيال من الآباء اليمنيين الذين شاركوا فى تنفيذ هذا المشروع مع أصدقائهم الصينيين، الذين عملوا معاً ليلاً نهاراً وبذلوا التضحيات الجسيمة وخاطروا بحياتهم فى المرتفعات وقمم الجبال التى تتراوح ارتفاعها ٢٠٠٠- ٣٠٠٠ متر فوق سطح البحر، باستخدام أدوات بدائية وأبسط معدات المسح والشق والسفلتة، فى سبيل إنجاز هذا المشروع الحيوى المهم. كنا نقف أمام ما يشبه النصب التذكارى

المبنى على الطراز الصينى، وعلمت أنه يُدفن فيه المهندس العام للمشروع "تشانج تسى شيوا" الذى توفى أثناء عمله فى المشروع وهو فى سن ٣٩ عامًا، إلى جوار أكثر من ٦٠ صينياً وافاهم الأجل وهم يؤدون العمل فى مشروع طريق صنعاء الحديدة. كانت هذه هى الرواية الرسمية، أما الرواية الشعبية التى يتداولها أبناء اليمن فتقول إن الإمام البدر هو الذى قتل المهندس الصينى بعد أن رأى لأول مرة فى حياته هذا الكم الهائل من أسفلت الطريق، بزعم أنه، أى تشانج، قد سوّد أرض الله!



مع زملاء الهندسة الاذاعية
عند النصب الصينى لضحايا العاملين فى شق طريق صنعاء الحديدة

(١١) ٥ يونيو فى عيون أهل اليمن!

تعز.. أو سويسرا الفقيرة كما أسميها.. تلك المدينة اليمنية الجميلة ببيوتها المنحوتة فى الجبال وشوارعها الشديدة الانحدار وهدوئها القاتل وأضوائها المتلألئة بالليل.. عشت فيها شهورا من عام ١٩٦٧ أدير إذاعتها المتواضعة موفدا من إذاعة صوت العرب. فى واحدة من تلك الليالى غير المقمرة، كنت بالبيت الذى استأجرته لنا الحكومة فى بطن أحد تلك الجبال برفقة زملائى عصمت إبراهيم ومحمد مرعى وزوجته. وإذا بصوت انفجار رهيب يقطع سكون الليل ويبدو قريبا منا على نحو أيقنا أننا المقصودون به، ثم أتبعه انفجار آخر دفعنا جميعا إلى الاختباء تحت الأسرَّة طلبا للحماية. مضينا فى هذا الوضع نحو نصف ساعة مرّت علينا كالدهر. لم يخرجنا من هذا الرعب الأزلى سوى طرقات عنيفة على الباب وأصوات زملائنا من الهندسة الإذاعية، الذين أبلغونا بأن الانفجار القريب منا كان مقصودا به ضرب مخزن نابالم تابع للجيش المصرى فوق رأس الجبل الذى يقبع بيتنا أسفله. اتضحت الصورة أكثر فى صباح اليوم التالى حين استدعتنا قيادة الجيش المصرى لنعمل كمترجمين لأمريكيين انتشلتهما الكلاب البوليسية من مجمع النقطة الرابعة الأمريكية التى كانت تتخذ سفح الجبل مقرا لمساكن أفرادها، وناديهم وملاعبهم ومسبحهم المحفور فى تلة عند طرف المجمع. أراد الأمريكيَّان Stephen Liapis، ٣٣سنة، من جراند فوركس، نورث داكوتا وHarold Hartman، ٣٦ سنة، من بالتيمور، ميريلاند، تفجير المخزن بهدف إثارة

توتر بين سكان المدينة والجيش المصرى حين يلحق بالمدينة دمار وحريق شامل. ولكن يشاء الله أن يهمل الجنود المشرفون على المخزن فى إعادة براميل النابالم إلى مكانها بعد عملية التنظيف الروتينية اليومية فسقطت قذيفتا البازوكا بعيدا عنها. أثار القبض على الأمريكيين أزمة دبلوماسية بين اليمن ومصر وأمريكا لم يحلها سوى تدخل الرئيس جمال عبد الناصر الذى أمر بالإفراج عنهما، فى وقت كان يحاول فيه تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة. بيد أن الواقعة لم تنته عند هذا الحد. ففى اليوم التالى وبعد انتشار الخبر، خرج اليمنيون عن بكرة أبيهم فى مظاهرات حاشدة وهاجموا المجمع الأمريكى، واعتدوا فى الشوارع على كل من كانوا يشتبهون فى أنه أمريكى، لدرجة أننى بسحنتى الشقراء وعيونى الخضراء اضطررت إلى اللجوء إلى أحد المخابز وافتعال حوار بصوت عال باللهجة المصرية حتى لا أصبح من ضحايا الانتفاضة! بعد رحيل أفراد النقطة الرابعة دخلت القوات المصرية المجمع وصادرت محتوياته لصالح الحكومة اليمنية التى حولته فيما بعد إلى نواة لجامعة تعز. كان مما عُثر عليه فى المجمع جهاز استقبال إذاعى أهدته لنا القيادة المصرية. وقد استخدمناه بالفعل فى التقاط موجة الإذاعة المصرية وضم إرسالها إلى إرسال إذاعة تعز المحلى أثناء عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧. فى صباح ذلك اليوم المشئوم صحونا على صوت الزميل فاروق شوشة وهو ينقل إلينا الخبر الحزين. أُصبنا جميعًا بالوجوم ونحن نستمع إلى صوت جمال عبد الناصر وهو يعلن التنحى. لم نفق من حالة الذهول هذه إلا على صوت هادر فى الشارع، وإذا بسكان تعز قد خرجوا جميعا من بيوتهم متوجهين إلى مقر القيادة المصرية فى صفوف متراصة وقد تشابكت أيديهم رجالا ونساء. كان الهتاف الهادر واحدا.. ناصر.. ناصر.. ناصر. والمطلب واحدا.. التطوع فى الحرب ضد إسرائيل. لم نتمالك نحن مشاعرنا وسارعنا إلى نقل هذه الصورة الحية إذاعيا إلى الشعبين اليمنى والمصرى. وللتاريخ فإن هذه الانتفاضة الشعبية اليمنية، سبقت انتفاضة الشعب المصرى فى ٩ و١٠ يونيو التى طالبت بعودة عبد الناصر وإثنائه عن التنحى. تكرر نفس المشهد فى كل العواصم

العربية. لقد كنت بنفسى شاهداً على الحدث، وهو أبلغ رد على المتشككين الذين يروجون لأكذوبة أن خروج الشعب المصرى فى هذين اليومين كان مدبراً. فما بالكم بكل شعوب الأمة العربية من المحيط إلى الخليج؟!



(وثيقة الخارجية الأمريكية حول حادث إطلاق البازوكا على مخزن أسلحة مصرى فى تعز)

Foreign Relations of the United States, 1964- 1968

Volume XXI, Near East Region; Arabian Peninsula, Document 441

Washington, April 28, 1967, 6:07 p.m.

184507. 1. Following is background current crisis US-Yemen relations for addressee's information and use with diplomatic colleagues and host government officials as appropriate.

2. Mob violence April 26 against US Embassy Branch Office and AID compound Taiz apparently sparked by shooting and explosions of undetermined origin evening April 25. Yemeni and UAR security authorities entered AID "campsite" compound shortly thereafter and took into custody for questioning seven American AID employees

including AID Director. Director and four others were subsequently released. Gradually became clear local UAR and Yemen authorities were alleging that two remaining personnel, Stephen Liapis and Harold Hartman, were responsible for a bazooka attack on ammunition dump Taiz in which a UAR soldier and a Yemeni were reportedly killed.

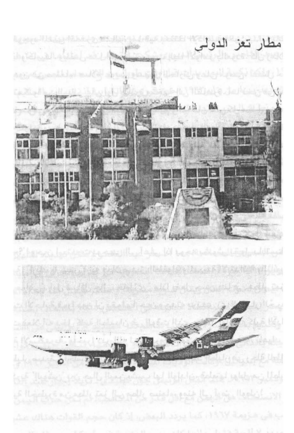
(١٢) الانسحاب الإذاعى من اليمن

حين توجهت إلى اليمن، فى أول سفرية لى خارج مصر فى شهر فبراير عام ١٩٦٧، بعد سفرية سورية أيام الوحدة القصيرة العمر ضمن فرقة موسيقى ومنوعات جامعة الإسكندرية فيما كان يُعرف بأسبوع شباب الجامعات، كان الأمر مختلفا. فالسفر إلى سوريا كان بغرض تشديد الأواصر الفنية والثقافية بين شباب الإقليم الشمالى(سوريا) والإقليم الجنوبى (مصر) فى إطار الجمهورية العربية المتحدة. أما السفر إلى اليمن ضمن بعثة صوت العرب للإشراف على إذاعتى تعز وصنعاء، فكان أول فرصة لى "لتحويش" مرتب كان يُنفق بالكامل قبل منتصف الشهر. راودتنى أحلام كثيرة بالمبلغ الضخم الذى سأوفره على مدى سنتين هى مدة البعثة. ولكن ليس كل ما يتمناه المذيع يدركه! وإنما الذى أدركتنا هى حرب، أو هزيمة أو ما يحلو للبعض تسميتها نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧، التى دفعت بالقيادة العسكرية المصرية إلى سحب قواتها من اليمن السعيد، الذى أصبح تعيسا بهذه الخطوة، بقدر تعاستى الشخصية لعدم إتمام مدة البعثة وتحقيق حلم دفع خلو شقة إيجار وإعدادها للزواج، قبل ظاهرة الشقق التمليك. فقد كان مصير بعثة صوت العرب من نفس مصير القوات المصرية فى اليمن وهو الانسحاب. فحينما دفع عبد الناصر بقوات إلى اليمن لمناصرة ثورة عبد الله السلال ضد الإمام أحمد، كان يهدف إلى تعزيز المد الثورى فى ربوع الأمة العربية أملا فى إحياء دولة الوحدة التى انتكست من قبل بانفصال سوريا. ففى ٢٨

سبتمبر ١٩٦١، أنهى انقلاب عسكرى فى دمشق الوحدة المصرية السورية التى كان عبد الناصر والرئيس السورى شكرى القوتلى قد أعلناها فى ٢٢ فبراير ١٩٥٨. ولكن نكسة اليمن بدأت قبل وقت طويل من الانسحاب المصرى من هناك، وبالتحديد بدءا من يناير١٩٦٣، حين قرر وزير الحربية آنذاك عبد الحكيم عامر توسيع نطاق الحرب لتبسط السيطرة على كامل جغرافية اليمن وصولا إلى الحدود مع السعودية ومع الجنوب، متخليا بذلك عن سياسة عبد الناصر التى انتهجها فى مطلع ١٩٦٦ المتمثلة فى تأمين مثلث صنعاء - الحديدة - تعز، ثم بناء جيش جمهورى تدريجيا يكفل مع الوقت تأمين أطراف البلاد مع القبائل الجمهورية. وكانت هذه السياسة مبنية على النفس الطويل ومكّنت من خفض حجم قوات اليمن من ذروة وصلها عام ١٩٦٥ بلغت ٧٠ ألف جندى إلى نصف ذلك الحجم فى ربيع ١٩٦٦. وبذل عبد الناصر محاولات عدة لوقف نزيف حرب اليمن، حتى لا تتحول إلى فيتنام عربية، ولكنها باءت جميعها بالفشل بسبب الرفض السعودى للمصالحة، مما اضطر عبد الناصر لإعلان تهديده الشهير يوم ٢٢ يوليو ١٩٦٥ ملوحاً بقصف القواعد السعودية فى جيزان ونجران إن لم ينصت الملك فيصل لصوت العقل ويقبل تسوية مشرّفة. واضطر فيصل هنا لإبداء المرونة مما يسّر لعبد الناصر اتخاذ مبادرته فى أغسطس ١٩٦٥ بالذهاب بنفسه إلى جدة وتقديم بعض التنازلات بسبب تعاظم نذر التهديد الإسرائيلى فى الشمال، وحاجته بالتالى إلى سحب قوات اليمن، أو معظمها، لتكون جاهزة لمواجهة محتملة مع إسرائيل. وكانت الولايات المتحدة طيلة الفترة من أكتوبر ١٩٦٢ وحتى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ - عند مقتل الرئيس جون كينيدى - تريد إجبار عبد الناصر على الانسحاب من اليمن مع أقل قدر من المكاسب! لم تكن حرب اليمن هى السبب فى هزيمة ١٩٦٧، كما يردد البعض، إذ كان حجم القوات هناك عشيتها فى حدود ٧ ألوية فقط. وإنما كان سبب الهزيمة فى رأى كثير من المحللين - هو القيادة العسكرية الفاشلة لعبد الحكيم عامر، التى تسببت من قبل فى انهيار الوحدة مع سوريا. وكان لانسحاب القوات المصرية المتعجل من اليمن أثر سلبى

على الوجود المدنى المصرى هناك، بما فيه بعثتنا الإذاعية، حيث بدأنا نفقد ظهيرنا وحامينا. وبنفس هذا التعجل صدرت إلينا الأوامر بالعودة. كان زملائى الموجودون فى صنعاء، صلاح عويس وسهير الحارتى وعلى موسى، أفضل حالا لأنهم تمكنوا من السفر على أول طائرة متجهة إلى القاهرة. أما نحن فى تعز، محمد مرعى وسعاد خليل وعصمت إبراهيم وأنا، كان على كل منا أن يبحث لنفسه عن مقعد فى طائرة تقله أولا إلى صنعاء ومن هناك إلى القاهرة. ولم تكن بالمهمة السهلة. كنا نتوجه إلى المطار يوميا ونفشل فى الحصول على مقعد بسبب تزاحم المدنيين المصريين الآخرين على المطار وعدم وجود أماكن كافية. استطاع زملائى السفر ولم يبق غيرى. فقررت أن أبيت فى المطار إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا. ثلاث ليال كاملة مرت دون أن يحالفنى الحظ فى الحصول على مقعد. وفى صبيحة اليوم الرابع وأنا جالس على أرضية المطار فى حالة نفسية سيئة فى انتظار الفرج، إذ بصوت يناديني من الخلف" إنت بتعمل إيه هنا يافالح؟"! وحين استدرت بوجهى إلى أعلى إذا بوجه بشوش يقول بابتسامة عريضة: "ازيك يا عبس"! إنه فعلا صديق الطفولة والمدرسة الابتدائية والثانوية " حسن موافى". أول تساؤل جال بخاطرى " ماذا يفعل حسن هنا فى مطار تعز؟"، وعرفت الإجابة فورا دون أن يقولها حين وجدته يرتدى زى الطيار الحربى! تذكرت فعلا أنه دخل كلية الطيران فى الوقت الذى دخلت أنا فيه كلية الآداب، جامعة الإسكندرية. وأخيرا دبّر الله لى الخروج الآمن من هذه المحنة، ناهيك عن أن الطيار صديقى أجلسنى إلى جواره فى مقعد مساعد الطيار فى رحلة للطائرة العسكرية "إليوشن" بين جبال اليمن يشيب لها الولدان، قطعتها بوابل من المطبات الهوائية الخطيرة من مطار تعز إلى مطار صنعاء، ومنه إلى أرض الوطن!

مطار تعز الدولي



الطائرة إليوشن الروسية

(١٣) عمار الشريعى يرى الموسيقى!

علاقة وثيقة نشأت بينى وبين الموسيقار الراحل عمار الشريعى، بدأت صدفة حين قابلته لأول مرة فى مطار دمشق الدولى عام ١٩٧١. كان معروفا آنذاك بأنه عازف أورج، وكان ضمن الفرقة الموسيقية التى رافقتها من القاهرة إلى العاصمة السورية للمشاركة فى الاحتفال بثورة التصحيح السورية بقيادة حافظ الأسد. وكنت مندوبا عن إذاعة صوت العرب التى ضمت إرسالها إلى إرسال إذاعة دمشق لنقل الاحتفال. وجدته يجلس وحيدا بعيدا عن "دوشة" الموسيقيين الذين تجمعوا حول وزير الثقافة السورى الذى كان فى استقبالنا بالمطار. اقتربت منه وألقيت عليه السلام، وعرفته بنفسى: أنا عباس متولى، "إزيك يا عمّار"، فإذا به يرفع رأسه قليلا ويقول بعد ثوان: "ساعة مع خمسين إذاعة"، وكان هذا عنوان برنامجى الأسبوعى الذى كنت أقدمه على موجة صوت العرب، وأستعرض فيه فقرات مختارة مما تبثه محطات الإذاعة المصرية المحلية والموجهة. قالها بنفس الطريقة اللحنية التى أؤديها فى تقديم البرنامج، فربطت ذاكرته الصوتية فورا بين صوتى وعنوان البرنامج. كانت له، رحمه الله، أذن موسيقية لا تخطئ وذاكرة حديدية لا تلين. فقد البصر ولم يفقد البصيرة وكانت متابعته لكل ما يصدر عن الإذاعة مبهرا. واكتشفنا قاسما مشتركا بيننا. فهو خريج قسم اللغة الإنجليزية جامعة عين شمس وأنا خريج نفس القسم من جامعة الإسكندرية. وحينما زرته فى منزله بعد سنوات من الغربة، وكانت شهرته قد جابت الآفاق بألحانه التى

تغنى بها معظم مطربى ومطربات جيله، وبموسيقاه التصويرية للمسلسلات التلفزيونية (من منا ينسى موسيقى رأفت الهجان أو زيزنيا أو ريا وسكينة؟)، كان هو نفس الإنسان الرقيق المثقف المتواضع. وجدت عنده خبراء من شركة "ياماها" اليابانية الذين ساعدوه فى استنباط ثلاثة أرباع النوت الموسيقية من الآلات الموسيقية، مثلما ساعد هو من قبل مؤسسة "دانسينج دوتس" الأمريكية فى إنتاج برنامج "جود فيل" الذى يوفر نوتة موسيقية بطريقة برايل للمكفوفين. وجدت أيضا فى ضيافته لفيفا من أصدقائه الذين حُرموا جميعا من نعمة البصر. كانت سهرة لا تنسى، كنت المبصر الوحيد فيها. اكتشفت أنهم جميعا، مثلهم مثل عمّار، على قدر عال من خفة الظل، أبناء نكتة بجد، ومتابعون جيدون لما تبثه جميع الإذاعات المحلية والعالمية، لدرجة أن أحدهم تابع مسيرتى فى إذاعة صوت العرب وإذاعة صوت أمريكا بكل ما قدمته فيهما من برامج، وكان يحفظ تلك البرامج والكثير من مواضيعها، بل ويتابع رسائلى لتلفزيون القاهرة من واشنطن ويذكرنى ببعض تفاصيلها. فالإذاعة بالنسبة له ولكل كفيف هى المعين الثقافى الذى ينهلون منه فى حياتهم. وفى نهاية السهرة أهدانى عمّار بعضا من شرائط برنامجه الرائع " غواص فى بحر النغم"، ذلك البرنامج الموسيقى التحليلى الذى يفتح لك آفاقا فى هذا العالم الموسيقى الساحر، يستخرج منه لآلئ ودرر الألحان الشرقية الأصيلة، ويحببك فى أغنيات ربما مررت عليها مر الكرام، ليبرز فيها حلاوة وطلاوة تأخذ الألباب. وكان آخر ما تابعته له من نشاط وأنا بعيد عن أرض الوطن، برنامج تلفزيونى خلاب كان اسمه، وللمفارقة، "كيف ترى الموسيقى"!



عمار الشريعي

(١٤)..حين فقدت الأمة أباها

لم أعاصر عبد الناصر إذاعيا إلا فى آخر خمس سنوات من عمره، لعلها كانت أبرز وأهم سنوات فى تاريخه وتاريخ هذه الأمة. فالستينيات بمجملها هى الخطة الخمسية الأولى والثانية، هى السد العالى، هى مصانع الألمنيوم والحديد والصلب، هى إعادة بناء جيش قوى، هى نهضة الثقافة والتعليم والفنون، هى مصر قائدة التحرر الوطنى فى المنطقة والعالم. وهى أيضا نكسة ٦٧ الذى قد لا يعترف جاهل بأنها كانت مدبرة لسلب مصر من كل هذه الإنجازات. لم تكن هناك داخل " مبنى الشريفين وبعدها فى "ماسبيرو" أى تحزبات مع أو ضد. كنا جميع بحق على قلب رجل واحد فى الإيمان بقدرة عبد الناصر على دفع هذا الوطن إلى مصاف الكبار. لم تكن هناك قوائم بمن يُسمح أولا يُسمح لهم بالحديث فى الإذاعة، فقد احتضن عبد الناصر الجميع، بل إن اليساريين الذين عادوه أخرجهم من السجن وصاروا حلفاء له حتى قبل أن يخرجوا من المعتقل. كنا كمذيعين، نتشوق الفرصة للخروج فى إذاعات خارجية لتغطية مواكب عبد الناصر المكشوفة، كنا نتخطف خطب عبد الناصر لقراءتها على الهواء أو مقالات هيكل عن عبد الناصر. وحين مات فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، تيتمت مصر كلها وسارت وراءه ملايين فاقت ملايين ٣٠ يونيو ٢٠١٣، ناهيك على ملايين البشر من الشعوب العربية من المحيط إلى الخليج التى كنت شاهدا على واحدة منها فى اليمن. وداخل مبنى ماسبيرو انهار الجميع بلا استثناء لدرجة أن بعض المذيعين

لم يتحملوا الجلوس وراء الميكروفون، مما اضطر "البرنامج العام" إلى الاستعانة بمذيعين من محطات أخرى، كنت أحدهم، حين جلست وراء ميكروفون البرنامج العام وأنا مذيع صوت العرب، فى سابقة، لأشارك فى تأبين الراحل العظيم.
ومهما قلنا فى ذلك اليوم فلن نضاهى ما قاله شعراء عظام مثل نزار قبانى:

قتلناكَ.. يا آخر الأنبياءْ
قتلناكَ..
ليس جديدا علينا
اغتيال الصحابة والأولياء
فكم من رسول قتلنا..
وكم من إمام ذبحناه وهو يصلى صلاة العشاء..
فتاريخنا كله محنة..
وأيامنا كلها كربلاء!

أو صلاح جاهين:

حتى الرسول مات وأمر الله لابد أن يكون
بس الفراق صعب واحنا شعب قلبه حنون
وحشتنا نظرة عيونك للبلد ياجمال
والحزم والعزم فيها وحبنا المكنون
وحشتنا عبثة جبينك وأنت بتفكر
ونبرتك وانت بتعلمنا وتفسر
وبسمة الود لما تواجه الملايين
وقبضة اليد لما تدق ع المنبر
وقبضة اليد لما تلاطم الجرانيت
وترفع السد عالى المجد عالى الصيت
وتأدب النيل وتحكم مية الفيضان
ما تعدى نقطة سوى بالخطة والتوقيت!

نعيش معك
نسير معك
نجوع معك
وحين تموت
نحاول ألا نموت معك !

أو عبد الرحمن الأبنودى:

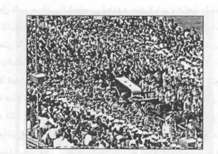
وألْف رحمة على اللى لِسّه "قلنا وقال"
اللى مَضَى وذمّته.. مَثَل جميل.. يتقال
ما هى نادْرة فى مصر حاكم.. يطلع ابن حلال
حاكم.. يِدادى الجميع.. ويبوسْ رقيق الحال.
وده عِشْقتُه: فلاحين.. طلَبة.. جنود.. عُمّال.
وخاض معارك جِسام.. مين طلّع الاحتلال..؟
مين اللى صحّى الشعوب.. تكسّر الأغلال؟
ويْبُخُوا أكاذيب فى سيرتُه يسمّموا الأجيال.
من بعد ما شفنا غيرُه.. فهمنا عهد جمال

وحين أُتيحت لى فرصة تقديم برامج حوارية فى إذاعة وتلفزيون الشبكة العربية الأمريكية ANA فى واشنطن، كنت محايدا فى كل شىء إلا فى انحيازى لعبد الناصر وما يمثله. وهو موقف لم يعجب الكثيرين وكنت أدافع عنه باستماته، وهو دفاع لم ينبع عن إيمانى، حين تعمقت فى العمل السياسى، "بأجندته" الوطنية وحسب، ولكنى تربيت عليه منذ الصغر ورأيته فى عيون الكبار. أليس عبد الناصر هو من خفض إيجارات المساكن وأنا صبى صغير وخرجنا نغنى له ونهتف فى الشوارع بعد أن أزاح عن كاهل أبى عبئا ثقيلا، وحين دخلت الجامعة واضطر أبى إلى بيع جزء من معاشه لتسديد مصروفاتى الدراسية فى العام

الأول، أليس عبد الناصر هو من أعلن مجانية التعليم الجامعى ليحقق حلم طه حسين بأن يكون العلم كالماء الهواء، أليس هو من دفع رجلا مثاليا كزوج أختى الراحل "مصطفى الحرازى" ليقول بكل صدق لأصغر أولاده "مجدى" : " يابنى يجب أن تفخر دائما بأنك وُلدت فى عصر عبد الناصر"!



جمال عبد الناصر



جنازة جمال عبد الناصر

(١٥) عبد الحليم....وموقف الرجال!

لم أكن فى شبابى مغرما كثيرًا بعبد الحليم حافظ. كنت لا أميل إلى "نعومته" مقارنة بخشونة أصوات عشقتها مثل فريد الأطرش ومحمد قنديل ومحمد عبد المطلب. كنت أستاء كثيرًا من التفاف المعجبات حوله واعتبر أن الطرفين من طينة واحدة. حتى قبل أن تلحق به الشهرة، كنت أرى صوره على جدران العمارت وأنا أركب الدور الثانى من ترام الرمل بالإسكندرية حين كان اسمه فى أوائل حياته الفنية" عبد الحليم شبانة"، وأتعجب من هذا الشاب الذى يريد أن يناطح عمالقة الجيل. لم يختلف الأمر حين دخلت الإذاعة عام ١٩٦٤ وبدأت أذيع أغنياته بنفسى. بل ظهر موقفى الشخصى تجاهه حين قطعت إذاعة واحدة من حفلاته الليلية. كانت إذاعة صوت العرب تغلق إرسالها بعد موجز الواحدة والنصف صباحًا حتى لا تجهد محطات الإرسال، بالنظر إلى أن صوت العرب يسبق جميع المحطات بالبث فى الخامسة صباحًا، والإغلاق فى الثانية صباحًا، أى أن محطات الإرسال لا تهدأ سوى ثلاث ساعات فقط. وكان لدينا أوامر بألا تتجاوز الحفلات الخارجية هذا الموعد. ورغم أن العرف جرى فى البرنامج العام أن يمتد الإرسال مع امتداد تلك السهرات، فقد آثرت فى ليلة كان بطلها عبد الحليم أن أقطع عليه الإرسال وأذيع الموجز وأغلق الإرسال. ولم يتمكن أى مسئول من مجازاتى لأننى طبقت التعليمات. وقد أثلج هذا صدرى. ثم تغير موقفى من عبد الحليم ١٨٠ درجة. كيف؟ فى عام ١٩٧١ أُوفدت إلى دمشق لأشارك مع مذيعين من مختلف

الدول العربية فى إذاعة حفل بمناسبة ثورة التصحيح التى قادها الرئيس حافظ الأسد، بعد بضعة أشهر من وفاة الرئيس جمال عبد الناصر. وقبل أن يصعد عبد الحليم إلى المسرح، صعد مذيع سورى اسمه "خلدون المالح" ليلقى كلمة، لا أعرف مناسبتها، ولكنه أخذ يكيل بالشتائم والانتقادات لجمال عبد الناصر ونظامه وبدا أنه "شارب حبتين". ولم أستطع أن أفعل شيئا من موقعى كمذيع مشارك بالحفل. وما أن انتهى هذا المالح من كلمته السوداء ظهر عبد الحليم على المسرح، لكنه لم يبدأ الغناء. وأخذ الميكروفون وراح يرد على هذا المأفون بمديح غير عادى لجمال عبد الناصر وزعامته للعالم العربى قائلا، إن العرب باتوا أشبه باليتامى بعد رحيله. وأرغم جمهور الحاضرين على الوقوف دقيقة حدادا على جمال عبد الناصر. وبعد أن جلسوا استهل باقته الغنائية بأغنية "أحلف بسماها" فألهب مشاعر الجمهور الذى استقبل بقية باقته استقبالا رائعا. وقد قرر عبد الحليم منذ تلك الواقعة أن يستهل كل حفلاته بأغنية الأبنودى الرائعة "أحلف بسماها"، حتى وفاته. ومنذ ذلك الحين أقسمت أنا أيضا بسماها أن يكون عبد الحليم هو مطربى المفضل، ليس لصوته الرخيم وحسب، وإنما أيضا لأن الرجال مواقف!



عبد الحليم حافظ

(١٦) صباح فخرى وغلطة الشهرة!

من منا لا يعرف صباح فخرى؟ هذا المطرب السورى الفذ صاحب الصوت الجميل القوى السالك بقدوده الحلبية الشهيرة؟ أعترف بأننى لم أكن قد سمعت به قبل عام ١٩٧١، وربما لم تكن أغانيه معروفة لدى مستمعى صوت العرب قبل هذا التاريخ. حينما دُعيت باسم صوت العرب للمشاركة فى نقل حفل غنائى كبير فى دمشق أحياه لفيف كبير من المطربين والمطربات العرب، وشارك فى إذاعته مذيعون من مختلف الدول العربية، كنت سعيدا وسط هذه الباقة من أبناء المهنة، وقد جلسنا جميعا فى الصف الأول من قاعة الاحتفال نتبادل تقديم الفقرات. كنا على راحتنا نطلق القفشات ونأكل السندوتشات دون أن أدرى أن الإعلام فى سوريا، على خلاف الإعلام المصرى ينقل الحفلات إذاعيا وتلفزيونيا فى آن واحد وليس منفصلين كما نفعل فى القاهرة. كان من نتيجة ذلك أن شقاوتنا ودعاباتنا كانت منقولة صوتا وصورة على الهواء، ولم أنتبه إلى ذلك إلا فى اليوم التالى حيث كنت أسير فى شوارع العاصمة السورية، فإذا بكثيرين من الدمشقيين يشيرون نحوى على أساس أن هذا هو المذيع المصرى المشاغب الذى كان ينقل سهرة الأمس. غير أن الأمر لم يكن يتعلق بشقاوة الليلة الماضية، وإنما بكارثة فنية ارتكبتها بكل هدوء وأثبتت جهلى بمجتمع الفن السورى. كنا نتبادل الميكروفون من مذيع سودانى إلى مغربى إلى لبنانى ثم إلى حضرتى. وكان من نصيبى أن أقدم فى الفقرة التالية" صباح فخرى". ونظرا لأننى لم أكن أعرف

صباحًا أخرى سوى صباح اللبنانية الجنسية المتمصرة فنيا، قدمت الفقرة على النحو التالى: مع الفن الشعبى الأصيل.. مع الفنانة صباح فخرى. كانت الفضيحة بجلاجل إذاعة وتلفزيون، رغم أننى لم أعرف بالخطأ إلا بعد وقوعه وخروج صباح فخرى بشحمه ولحمه وفحولته على المسرح وهو ينطلق بتواشيحه ومواويله. بيد أننى قمت بتصحيح الخطأ الأكبر، وهو أن إذاعة صوت العرب لم يكن لديها أى شرائط لهذا الفنان السورى الأصيل. فالتقيت به واعتذرت له وبعد إلحاحى زودنى بشرائط لمعظم أغانية هدية منه إلى صوت العرب. وكانت هذه هى المرة الأولى التى يشدو فيها صوت صباح فخرى من خلال إذاعة مصرية، ولم يعد هناك مستمع لا يعرف " يامال الشام ياللا يا مالى". ويبدو أن وجودى فى سوريا لم يتوقف عند إثارة الجدل بسبب صباح فخرى. فأثناء زيارتى لإذاعة دمشق، ألح علىَّ زملاء المهنة أن أقرأ واحدة من نشرات الأخبار. وما أن انتهيت من قراءتها، انهالت التليفونات على المحطة، وكانت كلها تسأل ماذا جرى لإذاعة دمشق، هل وقع إرسالها؟ ولماذا نسمع إذاعة صوت العرب على موجة إذاعة دمشق؟ وكانت هذه إضافة أخرى لشهرتى المثيرة للجدل بين أهل المدينة الكرام!



صباح فخرى

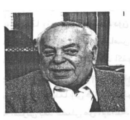
(١٧) من غير مونتاج والوزير!

فى وقت كانت الرقابة تطبق بتلابيبها على كل ما يذاع عبر الأثير فى أوائل السبعينيات، طرأت لى فكرة برنامج جديد استوحيتها من كتاب أنيس منصور "يسقط الحائط الرابع". ففكرت فى برنامج يسقط الحاجز بين المذيع والمتلقى، بأن يكون المستمع جزءا من هذا البرنامج يشارك فيه بالرأى والاقتراح والنقد. وكان برنامج " من غير مونتاج" هو النواة الأولى لكل ما عُرف بعدها بأكثر من عشرين سنة بالبرامج الحوارية الإذاعية والتلفزيونية. كان البرنامج على الهواء ويطرح موضوعا واحدا من كافة الزوايا. كانت المشكلة الرئيسية كيف يشارك المستمع على الهواء فى وقت يخشى فيه المسئولون من أن يدلى بآراء مناهضة للحكم أو حتى ببذاءات تجرح قيم المجتمع. وكان الحل الوسط الذى قبلت به مع المسئولين هو أن يستقبل مهندس الصوت (وكان هو المهندس البارع شوقى الهليلى) مكالمات الجمهور خارج الهواء ويبلغنى أنا وزميلتى فى الحوار أمانى كامل بفحوى المكالمة ونبدأ نحن فى الرد والحوار من خلال هذه الوسيط. ونظرا لحداثة الفكرة، فقد أهالت علينا كيلا من المديح والانتقاد لا سيما من زملاء المهنة الذين وجدوا فيها تهديدا لبرامجهم التقليدية المسجلة. وفى اليوم التالى لإذاعة حلقة عن "الحب" تناولت حب الأم وحب الوطن وحب الطعام وحب الزواج، وحب السلطة إلخ. استدعانى مدير صوت العرب آنذاك سعد زغلول نصار وطلب منى" سكريبت" حلقة الليلة الماضية وهو فى حالة من الغضب. لم يكن الإسكريبت

يحوى سوى بعض المعلومات التى نستقيها من الكتب لخدمة موضوع الحلقة. وطلب منى أنا وزميلتى أن نتبعاه دون أن يلوى عن شيء. وركبنا أسانسير الدور الثالث لينضم إلينا فى الدور الخامس رئيس الإذاعة بابا شارو الذى بادر بسؤال سعد زغول عن "السكريبت" وقد اكفهر وجهه. وفى الدور التاسع نزلنا جميعا متوجهين إلى مكتب الوزير عبد القادر حاتم، فأيقنت ساعتها أننا أمام مصيبة سوف تلقى بنا قطعا إلى قارعة الطريق. ولم يشغلنى سوى التفكير فى كيفية إعالة أسرتى بعد فصلى من الإذاعة. ولم أفق من هذه الوساوس إلا على صوت مدير مكتب الوزير الذى أبلغنا بأن سيادة الوزير فى انتظارنا. دخلنا جميعا وجلسنا إلى طاولة الاجتماعات وكان الوزير بعيدا مشغولا بمكالمة هاتفية. جلست أنا وأمانى على ناحية وسعد زغلول وبابا شارو على الناحية المقابلة وهما منهمكان فى التحديق فى الإسكريبت وقد علت وجههما كآبة غير عادية. وأسلمت أمرى لله. جاء الوزير وجلس على رأس المائدة بوجه جامد خال من أى تعبير. وفجأة انطلق قائلا: " لقد تعمدت أن أجمع بكم هنا فى مكتبى بعد أن استمعت إلى حلقة الليلة الماضية من برنامج " من غير مونتاج". ثم انفجر فى قصيدة من المديح والثناء على فكرة البرنامج ومحتواه وحرفية المذيع والمذيعة، وقال إن هذا يجب أن يكون نموذجا لما يجب أن تكون عليه البرامج الإذاعية المفعمة بالحياة. هنا فقط انفرجت أسارير بابا شارو وسعد زغلول. وأخذ الأخير يشيد بنا كأفضل مذيعين تفخر بهما إذاعة صوت العرب، وأنا متأكد أنه كان سيقول عكس ذلك لو كنا وضعنا فى حالة اتهام! وأخذ الوزير يتساءل كيف يكافئنا على عملنا الرائع. وكنت طبعا فى سرى أتمنى مكافأة مالية، وإن كان قرر فى النهاية أن يكتب لنا شهادة تقدير تعلق على كل ممرات الإذاعة، مما ذكرنى بسلطانية "تاج الجزيرة، التى خلعها رئيس القبيلة على رأس التاجر الطماع فى التمثيلية الإذاعية "قسم"!



محمد محمود شعبان (بابا شارو)





الدكتور محمد عبد القادر حاتم

(١٨) وجدى الحكيم...تجسيد حى لتاريخ الإذاعة

صدق من قال إن صوت العرب مدرسة فريدة فى نوعها، لا سيما فى ستينيات وسبعينيات القرن الماضيى، ليس لأنها غطت بموجاتها كل أحداث العالم العربى وانطلق منها صوت الإذاعى القدير أحمد سعيد ببرامجه الحماسية، التى كانت تسقط حكومات وترفع غيرها، وإنما لريادتها أيضا فى بقية مجالات الفن الإذاعى. وهى ريادة قامت على أكتاف مبدعين غيّب الموت أحدهم، صديق عمرى وجدى الحكيم، صاحب أكبر مخزون من التراث الفنى والغنائى والدرامى. كان ينادينى دائما بعبارة " عباس..عباس"، وذلك منذ أن أخرج التمثيلية الإذاعية الكوميدية "عباس أبو الدهب"، بطولة عباس فارس التى كانت مقدمتها تردد الاسم مرتين، وكان لى حظ تقديم افتتاحية أو "تتر" التمثلية بصوتى. وعلاوة على نجاح وجدى فى مجال الإخراج الدرامى، كانت له صولات وجولات حوارية مع كبار فنانى العصر، وحقق سبقا لم ينجح أحد فيه من قبل حين أقنع سيدة الغناء العربى أم كلثوم بتوثيق حياتها على شريط رغم عزوفها عن الظهور فى وسائل الإعلام. ولا أنسى دوره فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ حين أقام بالإذاعة على مدار الساعة مبادرا ومصاحبا لبليغ حمدى ومحمد الموجى وكمال الطويل وهم يسجلون الأغنيات الحماسية "باسم الله" للمجموعة و"أنا على الربابه بغنى" لوردة و"ابنك يقولك يا بطل" لعبد الحليم إلى آخر هذه الباقة من الأغانى الوطنية الخالدة. كنا فى صوت العرب نعمل كخلية نحل ونتنافس على البرامج الطموحة. فقدم وجدى

الحكيم برنامجه الشهير " منتهى الصراحة" الذى كان يعرض فيه الرأى والرأى الآخر دونما تجريح، وقدم محمد مرعى "تلستار"، وعادل جلال "سهرة الأحد" بينما قدمت أنا " من غير مونتاج" أول برنامج حوارى يشارك فيه المستمعون على الهواء. وعلى الجانب الإنسانى، وبحكم أن وجدى الحكيم كان ميسور الحال مقارنة ببقية أفراد صوت العرب، كان فى الوقت نفسه سخيا وكريما لا يتوانى عن أعمال الخير إلى أبعد الحدود. لا أذكر مرة أنه رفض طلبا من أحد لسلفة أو مساعدة أو التوسط لدى جهة ما. كانت له شبكة علاقات عامة واسعة تضم الكثير من أصحاب النفوذ فى كافة المجالات، السياسية منها والاجتماعية والفنية، علاوة على علاقته الوثيقة بمؤسستى الجيش والشرطة. ولا أنسى أنه توسط لى لدى محافظ القاهرة للحصول على شقة قريبة من ماسبيرو، أقمت فيها مع رفيق الدرب عمر بطيشة، فى وقت كان الحصول فيه على شقة بالإيجار دربا من الأحلام. وحين قررت الانتقال إلى شقة أخرى فى العجوزة، كان مطلوبا أن أسدد خمسين جنيها مقدمة شهرين من إيجارها. ولجأت إلى صديقى وجدى الذى فتح درج مكتبه فورا لآخذ ما أريد. كان وجدى أيضا أول من أسهم ببرامج للإذاعات الوليدة فى منطقة الخليج وكنت أحد الذين استكتبهم فى تلك البرامج. وحتى بعد هجرتى إلى أمريكا لم يتخلف مرة عن استقبالى والجمع بينى وبين لفيف من زملاء المهنة مثل كامل البيطار وأمينة صبرى وإيناس جوهر وغيرهم، ولا أتصور كيف أزور القاهرة الآن فى غياب وجدى الحكيم. ولكن هذه هى مشيئة الله، التى يبدو أنه كان يتوقعها، فقد دأب على القول "إن أصدقائى بليغ حمدى وعبد الحليم حافظ ومحمد الموجى" ماتوا جميعا بنفس مرضى"، وهو داء الكبد. وحين انتقل إلى لندن للعلاج وعد بعد عودته باستكمال برنامجه التوثيقى "قول يا حليم" الذى يضم حوارات نادرة مع العندليب الأسمر وطالما حدثنى عنه بكل حماسة. غير أن الموت كان أسرع، فتوفاه الله فى نفس المدينة التى شهدت وفاة صديق عمره عبد الحليم حافظ. وكانت المفارقة أنه توفى مع احتفال الإذاعة بعيد ميلادها الثمانين وهو نفس عيد ميلاده!



عباس متولى ووجدى الحكيم وعبد الوهاب فتاية

مجلة الإذاعة والتلفزيون ٢١ فبراير ١٩٧٠



أنا وزوجتى فاطمة عمارة مع وجدى الحكيم وحرمه

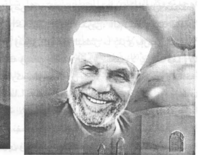
(١٩) ظاهرة الشعراوى!

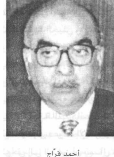
ترتبط ذكرى الإسراء والمعراج فى ذهنى بفضيلة الشيخ العلاَّمة محمد متولى الشعراوى. فقبل عام ١٩٧٢ لم يكن أحد قد عرف الشعراوى أو سمع به. فى يوم الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج فى تلك السنة، كانت البلاد قد خرجت لتوها من هزيمة ١٩٦٧ ووفاة عبد الناصر وبدأت تستعد، نتيجة ضغوط شعبية، لحرب تحرير سيناء. حين دخلت أروقة صوت العرب فى ذلك اليوم لاحظت أنها خالية تماما وهى التى عادة ما تعج بالرواد من مذيعين وموظفين وفنانين وأصحاب مصالح. توجهت فورا إلى غرفة مدير الإذاعة سعد زغلول نصار لأستطلع الأمر، فوجدته وكل العاملين فى المحطة ملتفين حول شاشة التلفزيون وكأنهم يتابعون مباراة مهمة لكرة القدم. كان ضيف حلقة "نور على نور" للإعلامى القدير أحمد فراج شيخ نحيل يتحدث بحماسة وبلاغة وطلاوة غير عادية عن ذكرى الإسراء والمعراج. كانت تلك أول طلة للشيخ الشعراوى على جماهير مصر العريضة. تسمرت كغيرى أتابع حديثه وتفسيره اللغوى الفذ وجلسنا جميعا وكأن على رءوسنا الطير. وبعد أن انتهى توجه معظمنا للصلاة، تأثرا بما سمعناه. ظل الشعراوى طوال السنوات الثلاثين التالية رمزا للاعتدال ومنارة للإسلام الوسطى. لم يكن للإخوان أى وجود دعوى ملموس فى عصر عظماء من أمثال الشعراوى والمفكر الإسلامى خالد محمد خالد الذى كان جمال عبد الناصر ورفاقه فى مجلس قيادة الثورة قد قرأوا كتبه قبل الثورة، وتحمسوا لها لدرجة أن

عبد الناصر كان يشترى منها - من جيبه الخاص - نسخا كثيرة يوزعها على زملائه الضباط، رغم أن خالد محمد خالد وقف ناقداً للثورة مطالباً حكومتها بتطبيق الديمقراطية، دون أن يذكر شيئا عن الشريعة. وقال الشعراوى تحت عنوان "لماذا لا أنتمى لجماعة الإخوان" " أنا مسلم قبل أن أعرف الإخوان أو غيرهم، وأنا مسلم بعد زوالهم ولن يزول إسلامى بدونهم لأننى أرفض أن يتلخص دينى فى صندوق انتخاب، ودينى هو صلة بينى وبين خالقى عز وجل لأننى أرفض أن أرشح حزبا يستعطفنى مستندا على وازع الدين قبل أن يخاطب عقلى. هو حزب سياسى وليس له علاقة بالدين وهو يمثل الكيان السياسى لأصحابه ولايمثل المسلمين. لهذا أتمنى أن يصل الدين إلى أهل السياسة ولا أن يصل أهل الدين إلى السياسة، وأقول لهم : إن كنتم أهل دين فلا جدارة لكم بالسياسة، وإن كنتم أهل سياسة فمن حقى ألا أختاركم ولا جناح على دينى". لم تعرف مصر عنف الإخوان فى تلك الفترة إلى أن وقعت حادثة المنشية عام ١٩٥٤ حيث حاول الإخوان اغتيال عبد الناصر. هنا أصدر عميد الأدب العربى طه حسين كتابه الشهير "هؤلاء هم الإخوان" ضم مقالات متنوعة له ولمحمد التابعى وعلى أمين وكامل الشناوى وناصر الدين النشاشيبى وجلال الدين الحمامصى، عرض فيه مواقف هؤلاء من الحدث وتداعياته. قال طه حسين متسائلا فى مقال افتتاحى له بعنوان "رخص الحياة" استعرض فيه رفض الإنسانية للعنف والقتل، مستندا فى ذلك إلى أمثلة من الأديان وأخرى من الأدب العربى: "ألم نشهد منذ عامين ثورة يشبها الجيش وفى يده من وسائل البأس والبطش ما يغرى بإزهاق النفوس وسفك الدماء ولكنه يملك نفسه ويملك يده فلا يُزهق نفسا ولا يُسفك دما ولا يأتى من الشدة إلا ما يمكن تداركه...كل هذا لأن مصر لا تحب العنف ولا تألفه ولأن نفوس أهلها نقية نقاء جوها...". وها هو الكاتب الكبير عباس محمود العقاد يقول فى مقال له بعنوان "الفتنة الإسرائيلية": "الفتنة التى ابتليت بها مصر على يد العصابة التى كانت تسمى نفسها بالإخوان المسلمين هى أقرب الفتن فى نظامها إلى دعوات الإسرائيليين والمجوس، وهذه المشابهة فى التنظيم هى التى توحى إلى الذهن أن يسأل لمصلحة من تثار الفتن فى مصر وهى تحارب

الصهاينة؟" ! وما أشبه اليوم بالبارحة، وما أدق ما قاله أمير الشعراء أحمد شوقى فى الإخوان المسلمين:

برز الثعلب يوماً فى ثياب الواعظين
يمشى فى الأرض يهدى ويسب الماكرين
ويقول الحمد لله إله العالمين
يا عباد الله توبوا فهو كهف التائبين
وازهدوا فإن العيش عيش الزاهدين
و اطلبوا الديك يؤذن لصلاة الصبح فينا
فأتى الديك رسولا من إمام الناسكين
عرض الأمر عليه وهو يرجو أن يلينا
فأجاب الديك عذرا يا أضل المهتدين
بلغ الثعلب عنى عن جدودى الصالحين
عن ذوى التيجان ممن دخلوا البطن اللعين
أنهم قالوا وخير القول قول العارفين
مخطئ من ظن يوما أن للثعلب دينا!


الشيخ محمد متولى الشعراوى


أحمد فرّاج

(٢٠) عبد الله قاسم..المبدع الذى سبق عصره!

إذا كان نجم صوت العرب الشهير وجدى الحكيم ـ رحمه الله ـ يمثل ذاكرة فن الغناء العربى، فإن نجما ساطعا آخر من نجوم صوت العرب، كان مستودعا للأفكار الجديدة المبدعة. إنه المخرج ومقدم البرامج عبد الله قاسم. ربطتنى به صداقة قوية منذ أول يوم لى فى الإذاعة، فقد كان إنسانا متواضعا دمث الخلق نزيها إلى أبعد الحدود. ارتبط اسمه ببرنامج المنوعات الشهير "تاكسى السهرة". كانت أفكاره الإذاعية، فى تقديرى، سابقة لأوانها. فكان أول من استغل شريط الكاسيت الذى انتشر فى تلك الفترة، ليبدع برنامجا بنفس الاسم "شريط كاسيت" يتيح به الفرصة للمواهب الجديدة من بين جمهور مستمعيه بأن يرسلوا إلى البرنامج شريط كاسيت مسجلا عليه فنونهم، سواء أكانت غناء، أم أشعارًا أم قصصا قصيرة أم موهبة كوميدية. دخل "شريط كاسيت" تاريخ صوت العرب كواحد من أفضل البرامج شعبية، حيث اكتشف العديد من المواهب المدفونة. بيد أن طموح عبد الله لم يقف عند هذا الحد، فانتقل إلى فن الكاريكاتير ليحوله من مجرد رسوم صحفية، إلى شخصيات تمثيلية كاريكاتورية تدب فيها الحياة، حوارا وموسيقى وغناء. كان من بين الشخصيات التى أراد عبد الله تشخيصها، الأستاذ الصحفى الكبير مفيد فوزى الذى أُشتهر آنذاك بين أبناء مهنته بأنه أسرع من يعد البرامج الإذاعية، وكان يُرى دائما فى أروقة الإذاعة، لدرجة أن البعض بالغ فى القول بأنه مقيم بها. كان محل حسد الصحفيين الآخرين لكثرة ما يعده من

برامج، وبالتالى كثرة ما يجنيه من أموال. وكانت شخصيته بالنسبة لعبد الله قاسم نموذجا لبطل برنامجه القادم، وشرع فى كتابة حوار التمثيلية، لكنه حار فى تسمية الشخصية. كان يريد أن يخمّن الناس من الاسم المستعار الشخص المقصود به، ولا يريد فى الوقت نفسه أن يُمسك عليه أنه تجاوز وأهان صحفيا شهيرا يملك بابا فى مجلة "صباح الخير" يمكن أن "يشرشح" من خلاله كل من ينتقده. يعود الفضل لعبد الله قاسم فى إيجاد شقة لى بجواره فى منشية البكرى. وكنا نذهب سويا إلى الإذاعة فى مترو مصر الجديدة. وفى واحدة من تلك الرحلات فاتحنى فى فكرة الموضوع القادم لبرنامجه "الكاريكاتير" وخشيته من أن يصبح بعد إذاعته هدفا سهلا لهجوم وانتقاد الصحفى اللامع، علاوة على حيرته فى اختيار اسم مستعار للشخصية. فاستلهمت تحوير اسمه بشكل ما، واقترحت عليه أن يكون مثلا الأستاذ " مستفيد فورى"، ولدى سماعه الاسم قفز من مكانه حتى أنه كاد أن يصطدم بسقف عربة المترو، فقد كان رحمه الله طويل القامة، وقال على طريقة نيوتن والتفاحة "وجدتها"! فى ليلة إذاعة البرنامج، كنت أنا مذيع الأستديو. وإذا بى أرى من وراء الزجاج الأستاذ مفيد فوزى، الذى يبدو أنه علم بما يُدبّر له، يدخل غرفة الهندسة الإذاعية ويجلس مستمعا إلى شخصيته الكاريكاتورية. لم يمر اليوم التالى بسلام فقد أثار الصحفى المتنفذ الدنيا ولم يقعدها، لا سيما مع مدير صوت العرب آنذاك سعد زغلول نصار، ولكن سعد كان متفهما لوجهة نظر عبد الله بأنه طالما يحق للصحفى أن ينتقد الإذاعيين وبرامجهم فى صحيفته أو مجلته، فمن حق الإذاعى أيضا أن يمارس ذلك الحق. وصارت " مستفيد فورى" اللقب المفضل بين الصحفيين المنافسين الذين كانوا يرون أنه يسد عليهم طريق الاستفادة المادية من إعداد البرامج الإذاعية. لدرجة أن بعضهم نسب لنفسه "شرف" إبداع هذا اللقب. كنت أنا، بحكم صداقتنا، المذيع المفضل لعبد الله قاسم، للتعليق على الأفلام والمسرحيات التى كان ينقلها للإذاعة على الهواء، ثم نقل برنامج "تاكسى السهرة" إلى التلفزيون، حيث أعد أيضا البرنامج الناجح " فيلم الأسبوع" تقديم هند أبو السعود. كان

عبد الله يستعد بباقة منوعة من الأفكار لبرامج إذاعية وتلفزيونية جديدة بعد إحالته إلى المعاش. بيد أنه لم ينعم سوى بشهور قليلة بعد التقاعد، ليتوفاه الله وهو فى الستين من عمره فى شقة جمال السنهورى، رفيق رحلته فى "تاكسى" السهرة"!.



جمال السنهورى

عبدالله قاسم

(٢١)...نيكسون...بابا نويل مصر!

كانت آخر مهمة إذاعة خارجية لى قبل أن أترك صوت العرب فى مارس ١٩٧٥، هى تغطية حية لزيارة الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون فى ١٢ يوليو عام ١٩٧٤. كان الرئيس الراحل أنور السادات، قد أعد استقبالا شعبيا له، معتبرا أنها بداية لعصر جديد من الصداقة بين القاهرة وواشنطن بعد سنوات طويلة من الجفاء الذى بلغ قمته عام ١٩٦٧ عندما اتخذت مصر قرارا بقطع علاقاتها السياسية مع الولايات المتحدة. كنت مكلفا بالوقوف بسيارة الإرسال الإذاعى فى الطريق المؤدى من المطار إلى وسط البلد لتغطية الموكب، حيث ركب نيكسون والسادات سيارة مكشوفة وقوفاً لتحية الجماهير على الجانبين، وكانت نوافذ وشرفات الشوارع مكدسة بالبشر الذين أخذوا يصفقون ويهللون لنيكسون ولأمريكا.. وانهمرت القصاصات الملونة والورود فوق السيارة المكشوفة من النوافذ والشرفات. وتأثرت كثيرًا بهذا المشهد ورحت أصف بكل ما أوتيت من قوة البلاغة هذا المشهد وأقرنه بما يحمله من آمال لهذ الشعب الذى يصبو إلى الخروج من كبوته الاقتصادية، وكانت تلك بالفعل نقطة بداية دخول البلاد فى عصر الانفتاح بما له وما عليه. جاءت زيارة نيكسون لمصر بعد استئناف العلاقات بين البلدين فى مارس ١٩٧٤ وخلال سنوات قليلة استطاعت البلاد أن تطور علاقات خاصة مع الولايات المتحدة. وإن كانت السياسة الأمريكية قد شهدت تراجعا فى عهد الرئيس ريتشارد نيكسون، بالنسبة للعالم العربى ككل، إلى نفس المواقع التى كانت

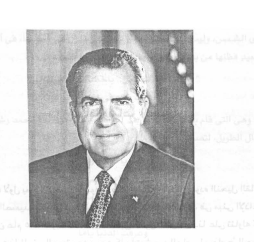
عليها في عهد الرئيس ليندون جونسون، وذلك على عكس بوادر التغيير التى حملتها زيارة نيكسون لمصر. وكانت العلاقات الأمريكية ــ المصرية قد مرّت بمراحل متعدّدة بدءاً من عهد جمال عبد الناصر، الذى تصادم مع وزير الخارجية الأميركى فوستر دالاس، الذى كان ينظر إلى الضباط الأحرار باعتبارهم مجموعة طائشة لا تصلح حليفاً للسياسة الأمريكية فى المنطقة وانتهاء بالخلاف المصرى ــ الأمريكى بشأن تمويل السد العالى، بعدما أوعزت أمريكا إلى البنك الدولى لكى يسحب عرضه بتمويل المشروع، فرد عبد الناصر بإعلان تأميم قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦. وكانت هناك محاولات من جانب نيكسون لتصحيح العلاقة مع مصر لاسيما عقب انتصارها فى حرب أكتوبر ١٩٧٣. فقد هنأ الرئيس الأمريكى وزير الخارجية المصرى إسماعيل فهمى على أداء الجيش المصرى فى تلك الحرب، وقال: "لأنى رئيس للولايات المتحدة وأمريكى وريتشارد نيكسون، فإننى أحترم هؤلاء الذين يحاربون جيداً ويضحون بأنفسهم. ويجب أن أعترف لك بأنكم قمتم بالقتال بصورة جيدة، ونحن نحترم هذا". والتقط السادات الخيط ليوجه دعوة رسمية لنيكسون، التى لبّاها بالفعل بالزيارة التاريخية التى شاركت فى تغطيتها إذاعيًا. وإذا كانت زيارة "نيكسون" لمصر بشير أمل لسياسة السادات الانفتاحية، فقد كانت نذير نحس على الرئيس الأمريكى. فبعد الزيارة بأقل من شهر واحد وفى ٨ أغسطس ١٩٧٤، وقبل ثلاث سنوات من انتهاء فترته الرئاسية الثانية، غادر "نيكسون" البيت الأبيض بعد أن أُجبر على الاستقالة لثبوت تورطه فيما عُرف بفضيحة "ووترجيت"، التى كشف فيها كارل برنستين وبوب وودوارد الصحفيان بجريدة الواشنطن بوست تنصت نيكسون على خصومه السياسيين من الحزب الديمقراطى (اللجنة الوطنية الديمقراطية)، فى مكتبها بمجمع ووترجيت بواشنطن فى يونيو ١٩٧٢. وتسببت الفضيحة فى إقالة الكثير من أعضاء الحكومة الأمريكية، إضافة إلى استقالة الرئيس نيكسون، ومحاكمة نحو ٤٣ شخصا من إدارته. وكانت زيارته لمصر محاولة أخيرة لتحقيق مكسب فى السياسة الخارجية ربما يغطى على الفضيحة أو يقلل من آثارها. وفى

حين قوبل نيكسون بشعبية كاسحة فى مصر، فإن مظاهر الاحتفاء به استفزت الشاعر أحمد فؤاد نجم، فنظم قصيدته الشهيرة: "شرفت يا نيكسون بابا".

شرفت يا نيكسون بابا
يا بتاع الووتر جيت
عملولك قيمه وسيما
سلاطين الفول والزيت
فرشولك أوسع سكه
من راس التين على مكه
وهناك تنزل على عكا
ويقولوا عليك حجيت
ما هو مولد ساير داير
شى الله يا أصحاب البيت

* * * *

خد منى كلام يبقى لك
ولو انك مش حتعيش
لا حقول اهلا ولا جهلا
ولا تيجى ولا متجيش
بيقولوا اللحم المصرى
مطرح ما بيسرى بيهرى
وده من تأثير الكشرى
والفول والسوس أبو زيت
واهو مولد ساير داير
شى الله يا أصحاب البيت!!





استقبال ريتشارد نيكسون فى مصر (١٩٧٤)

(٢٢)...أنا وشاعر الطين

التقيت لأول بعبد الرحمن الأبنودى، ذلك الشاب الأسمر بعوده النحيل القادم من بطون الصعيد ليعرض فى القاهرة باكورة إنتاجه الشعرى، فى مبنى الإذاعة بالشريفين عام ١٩٦٥. ربطتنا صداقة طبق الفول الذى اعتدنا على تناوله كل صباح فى هذا المبنى العريق، وهو يعد كلمات شعره العامى لبرنامج "الحياه والحب والأمل" بصوت العرب. كنا نتبادل أطراف الحديث فى شتى الموضوعات من السياسة إلى الفن إلى الشعر. ولكنه كان يسترسل بلهجته الصعيدية المحببة فى الحديث عن نشأته ببلدته "أبنود" فى كنف أمه، التى قال إنه رضع منها الموهبة الشعرية بإيقاعاتها المصحوبة بكلمات وعبارات قبطية قديمة ترددها فى حياتها اليومية وفى مواسم الرى والبذر والحصاد، والتى توارثتها عبر السنين، مثلما تعلمت أنا من أمى، التى تشبعت هى الأخرى، كبقية أفراد جيلها، بالموروث الفرعونى، أسماء الشهور القبطية التى لم تكن تعرف سواها فى تعريف المواسم وتوصيف حالة الطقس. كانت أمنية الأبنودى أن يخرج أمه من الأفق الضيق لبلدتها إلى رحابة مدينة القاهرة التى وجد فيها مستقبله الشعرى. أبلغنى أنه حين ترك والدته وحدها فى شقته المتواضعة بإحدى عمارات العاصمة، عاد ليجدها وقد تسمرت فى الشباك المطل على المنور، وهى تردد عبارة " أهو طلع..أهو نزل...أهو طلع... أهو نزل". كانت تلك تجربتها الأولى فى رؤية "الأسانسير"! حدثنى كذلك عن رؤيته هو أيضا لبحر الإسكندرية لأول مرة. حين

رأى الشمس، وليس "الأسانير" لأول مرة وهى تنزل فى مغربها، فى أفق البحر البعيد فظنها من بديع ألوانها أنها القمر، فاستلهم كلمات:

" يا قمر ياسكندرانى.. ياخضرانى يا برتقانى..

ياللى عمرك ضاع فى لفك ع الموانى"،

وهى التى قام بتحويرها فيما بعد لتناسب أغنية من شدو محمد رشدى ولحن كمال الطويل، لتصبح:

يا قمر يا اسكندرانى..

نص عمرى ضاع ف لفى ع الموانى

يا قمر.. يا قمر

لفيت الدنيا ياما..

وعرفت الدنيا ياما

ما لقيت زيك ف حسنك..

يا بو أجمل ابتسامة

أرجع وأنا روحى خايفة..

طاير زى الحمامة

وألاقيك واقف تقولى: حمد الله ع السلامة

ورغم ذلك عشقت مخاطبته لشمس الإسكندرية "القمرية" بحكم اسكندرانيتى أكثر من غناء محمد رشدى الذاتى الذى خالف التجربة الحقيقة للشاعر! تعمقت صداقتنا لسنوات عدة بل وتزاورنا عائليا حين كان متزوجا بالمخرجة التسجيلية عطيات الأبنودى التى لا زالت تحتفظ باسمه. وحتى ونحن فى مرحلة العزوبية كنا نتسكع بالقرب من نيل الزمالك ونتبادل الحديث عن أحلامنا. بعد فترة قصيرة من وجوده فى القاهرة بكل صخبها نجح عبد الرحمن الأبنودى فى انتزاع مكان بارز له فى الوسط الثقافى وأضاف اسمًا ثالثًا مهمًا إلى جوار اسمى فؤاد حداد وصلاح جاهين. صرت متابعا جيدا لأشعاره التى كان يتحفنى ببعضها

أحيانا قبل نشرها، كما كنت المستمع الأول لأغنيته الشهيرة "سواح"، ولكن على لسان عبد الحليم حافظ نفسه التى خصنى بها فى مقابلة إذاعية قصيرة وراء الكواليس قبل أن يشدو بها لأول مرة على مسرح جامعة القاهرة، فى حفل حضره الزعيم الراحل جمال عبد الناصر. ورغم رحابة إنتاج الأبنودى الشعرى، بما فى ذلك " السيرة الهلالية"، تلك الملحمة العربية الشعبية التى جمعها على مدى ثلاثين عامًا فى جولات بمصر وتونس وتشاد ونيجيريا والسودان، فإننى أتوقف دائما عند ما أعتبره أبدع ما جادت به قريحة هذا الشاعر العبقرى، وهى ملحمة "وجوه على الشط" التى قدمها مسلسلة فى صوت العرب من إخراج الزميل عادل جلال. وهى التى رصد فيها تجربة الحياة والموت تحت نيران الحرب أثناء نكسة ١٩٦٧ وبعد تهجير سكان مدن القناة ولم يبق على شواطئها أثناء حرب الاستنزاف سوى الفلاحين الذين رفضوا التخلى عن الأرض.

يا لله يا ناس بينا عَ الأرض..

يا لله يا بو القردان خلفى..

واتمخطر تانى زى زمان.

لسه فى الأرض ديدان يا بو القردان.

وحتفضل طول الدنيا.. الأرض..

يكون فيها ديدان.

إنشالله ولعت شظلو ودُان..

راح نزرع فيها يا بو القردان

وانتَ تنقى الديدان.

مهما الموت طلَّع مصارين الأرض..

برضه حييجى بكره..

وبرضه حيزرعها الإنسان.

اتسعُرى يا حرب.

هاتى كل ما عندك.

أنا والأرض..

مش ممكن حنسيب بعض!

تفرقت بنا السبل بعد أن عاد سكان القناة إلى مدنهم واستردت البلاد أرضها وكرامتها فى حرب ١٩٧٣ وغادرت أنا صوت العرب عام ١٩٧٥، ولكنى واصلت متابعة إبداعات الأبنودى عن بعد. وكان لقاؤنا الأول فى نهاية الثمانينيات حين زرته فى شقته بالدقى، التى حوّل ديكورها بالفعل إلى دوار عمدة للمريدين وعشاق فنه. كان قد تزوج من مذيعة التلفزيون نهال كمال وأنجب منها درتيه آية ونور. أجريت معه حوارا لإذاعة صوت أمريكا أطلعنى فيه على أحدث إبداعته، ولم تجمعنا بعد ذلك سوى مكالمة هاتفية أجريتها معه من ولاية فيرجينيا أثناء جراحة أجراها فى مستشفى كليفلاند بولاية أوهايو. وحين تبادلنا ذكريات الشباب، لمست فى صوته الواهن حسرة على أيام الصبا بفورتها ونقائها الفكرى. ومنذ عودته من رحلة العلاج وهو قابع فى بيته بالإسماعيلية حتى لا تتأثر رئتاه العليلتان بالتلوث المادى والمعنوى لمدينة كالقاهرة بسحابتها السوداء فى أواخر حكم الرئيس الأسبق حسنى مبارك. وقد حاول الرئيس الحالى عبد الفتاح السيسى، حين اشتد بعبد الرحمن المرض، إحضاره إلى أى مكان يفضل العلاج به فى مصر أو الخارج، تقديرًا لدوره فى إثراء الثقافة المصرية والعربية. وخلال الاتصال الهاتفى مع السيسى، لم يكن "الأبنودى" متحمسا للانتقال إلى أى مستشفى، مفضلاً البقاء فى منزله بالإسماعيلية، لكن الرئيس داعبه قائلا: "سوف ننقلك بالقوة إلى أى مستشفى لأن صحتك غالية على كل المصريين". وكان المصريون قد أحسوا بالفعل "بغلاوة" الأبنودى حين كان أول صوت يرتفع مشيدا بثورة ٢٥ يناير فى قصيدته "الميدان":

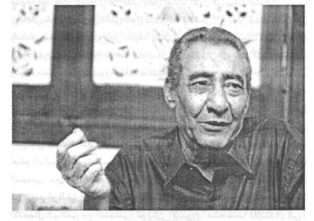
أيادى مصرية سمرا ليها فى التمييز

ممددة وسط الزئير بتكسر البراويز

سطوع لصوت الجموع شوف مصر تحت الشمس

آن الأوان ترحلى يا دولة العواجيز!

عواجيز شداد مسعورين أكلوا بلدنا أكل
ويشبهوا بعضهم نهم وخسة وشكل
طلع الشباب البديع قلبوا خريفها ربيع
وحققوا المعجزة صحوا القتيل من القتل!



عبد الرحمن الأبنودى

(٢٣) جلال معوض الضحية...صوت لن يتكرر!

جلال معوض، أعظم وأعذب الأصوات الإذاعية على الإطلاق، لم أجلس معه سوى مرة واحدة رغم أننا عملنا سويا سنوات فى مبنى الشريفين ثم مبنى ماسبيرو، ولكنى كنت أتابع مسيرته وأتنسم من مخارج ألفاظه باللغة الفصحى التى لم يباريه فيها أحد، دروسا أحفظها وأحاول التشبه بها عن ظهر قلب. كنت أذهب إلى أستديو البرنامج العام لأستمع إليه وهو "يتلو" النشرة وأنزوى بعيدا عن زجاج الأستديو حتى لا يرانى. فرغم شهرته التى جابت آفاق الأمة العربية، كان خجولا بطبعه يستحى أن يتطلع إليه أحد وهو يقرأ النشرة على الهواء. أما المرة التى قابلته فيها، فجاءت بعد أن كلفه رئيس الإذاعة هو والمذيعة اللامعة آنذاك أميمه عبد العزيز بمراجعة أصوات قارئى نشرات الأخبار فى مختلف محطات الإذاعة خلسة على الهواء، وتصفيتها بعد أن زادت شكوى الصحافة من قصور أداء بعضها. التقيت به وبالأستاذة أميمة عبد العزيز ليزفا إلى بشرى اجتيازى لهذا الاختبار السرى، رغم أن أصواتا أكثر منى شهرة تم استبعادها من قراءة النشرات. كانت هذه الشهادة بالنسبة لى أفضل من اجتيازى اختبار دخول الإذاعة نفسه، فهى لم تأت من أى أحد بل من جلال معوض الذى ارتبط صوته بكثير من المناسبات الوطنية والقومية، وكان أيضا صاحب البرنامج الشهير "أضواء المدينة، الذى استمر سنوات بعد خروجه من الإذاعة، بل وأصبح أيضا من البرامج المميزة فى التلفزيون، حيث كنا نتلهف لسماعه وهو يرتل كلمات أغنية

جديدة لأم كلثوم. ارتبط اسمه بثورة ٢٣ يوليو حين اختير من بين العديد من المذيعين ليلقى بيان الثورة عام ١٩٥٢، كما كان أول من قرأ البيان التاريخى بطرد الملك فاروق فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢. بيد أن أخطاء المذيع الكبير تكون كبيرة بنفس القدر، أو كما يقول المثل الشعبى "سقطة الشاطر بألف"!، ويتربص بها بعض الحاقدين من زملاء المهنة. ففى بداية تولى الرئيس أنور السادات الحكم، بعد وفاة عبد الناصر، كان جلال يغطى خطابه فى قاعة مجلس الشعب على الهواء مباشرة، وبدلا من أن يقول: الرئيس السادات يدخل الآن قاعة المجلس، قال مذيع الثورة بكل حماس، "الآن يدخل القاعة الرئيس جمال عبدالناصر". ثم حاول تدارك الأمر ولكن كان السيف قد سبق العذل وسمع العالم كله زلة اللسان. كان يمكن أن ينتهى الأمر عند هذا الحد. ولكن حين طُلب منه المشاركة فى إذاعة خارجية لتغطية حدث للرئيس السادات، كان رده أمام زملائه "إن الرئيس مات"، فى إشارة إلى عبد الناصر، الذى لم يكن جلال معوض قد تخلص من حزنه الدفين على رحيله. كان من بين أولئك "الحاقدين" من يعتقد أن صوته لا يقل عمقا وحلاوة عن صوت ذلك العملاق فوشى به عند أولى الأمر. وهنا لم يغفر الرئيس "المؤمن" تلك الهفوة فعاقبه بالفصل والإحالة إلى التقاعد، بينما راح ذلك المذيع الواشى فى غياهب النسيان دون أن يترك وراءه بصمة!! وفى ٥ مارس عام ١٩٩٧ رحل مذيع الثورة عن عمر يناهز ٦٧ عاما، لتنطفئ "أضواء المدينة" حزنا على فراق مذيع ذاب عشقا مع الميكروفون. وإذا كنا نعتبر أن "عبدالوهاب" و"أم كلثوم" و"عبدالحليم" أعظم الأصوات الغنائية فلا شك أن جلال معوض، بعد كل هذه السنين يظل أحلى الأصوات فى تاريخ الإذاعة المصرية!



جلال معوض وزوجته ليلى فوزى

(٢٤) الإذاعة بين الصورة الذهنية وواقع الحال!

طوال عشر سنوات قضيتها مذيعا ثم كبيرا للمذيعين فى صوت العرب، لم أرتد البدلة وربطة العنق سوى مرة واحدة، تبت بعدها. كان هذا فى اليوم الأول لدخولى مبنى الإذاعة فى الشريفين. كانت صورتى الذهنية للمذيعين أنهم جميعا "مطقمين" ولا بد ألا أقل عنهم أناقة. ذهبت ببدلة " جانجاه لميع" كانت موضة فى ستينيات القرن الماضى. ودخلت الأستديو كمذيع صامت مع الزميل محمد مرعى وأنا نافخ صدرى ومستعد لاختراق هذا العالم الإذاعى السحرى. ووسط تقديم الفقرات إذ بالأستاذة عصمت فوزى، المسئولة عن الموسيقى والغناء بالمحطة، تطل علينا وتخاطب مرعى من خلال زر الاتصال الملحق بغرفة الهندسة، قائلة " إزيك يا واد يا مرعى" ثم التفتت ناحيتى قائلة " إزيك يا واد يا مذيع يا جديد. إنت عامل فى نفسك كده ليه هو أنت رايح فرح؟!". صدمتنى هذه اللهجة من واحدة ليس لى بها سابق معرفة. ولكن حين عرفتها بعد ذلك وجدت فيها إنسانة على قدر كبير من الظرف وحسن المعشر، ولم يكن هذا غريبا على صاحبة أشهر برنامج للتواصل مع أبنائنا فى الخارج، وهو برنامج " ألف سلام". بعد هذا الاستقبال غير المتوقع فى يومى الأول بالإذاعة، خلعت عن نفسى الرسميات والبدلة وصرت كبقية مذيعى خلق الله أذهب إلى الإذاعة بالملابس " الكاجوال". فالمستمع قد يحب صوت المذيع ويصنع لنفسه صورة ذهنية له، ليس بالضرورة أن تمثل الحقيقة. تعودت بعد ذلك أن آخذ راحتى وراء الميكروفون، لا سيما بعد أن

شاهدت بأم عينى الإذاعى الكبير مكرم البلاسى وهو يقرأ المقال الأسبوعى لمحمد حسنين هيكل وهو بالملابس الداخلية بسبب طول المقال وانقطاع التكييف عن الأستديو! غير أن هذه التلقائية وراء الميكروفون قد تكلف صاحبها أيضا. ففى يوم دخلت الأستديو لأستلم العمل من الزميلة مرفت رجب بعد أن قرأت نشرة الواحدة والنصف. وإذا بى أراها وقد صبغت شعرها باللون الأحمر، فقلت مداعبا " إنت طبعا بتحاولى تقلدينى" فى إشارة إلى شعرى الذى كان يميل إلى الحمرة آنذاك، وضحكنا. ولكن ضحكتها توقفت فجأة لتبلغنى بلهجة جادة، بأن صوت العرب كان منضما إلى الإذاعة الليبية على الهواء وأن أحد الليبيين اختطف الميكروفون من المذيع الليبى الذى كان يغطى اجتماعا جماهيريا هناك وصرخ قائلا " إن جميع الزعماء العرب خونة" لأنهم لم يفعلوا شيئا ضد إسرائيل"، وكان يشير بذلك إلى إسقاط إسرائيل طائرة ركاب مصرية فوق الأجواء الليبية كان على متنها سلوى حجازى، أشهر مذيعة تلفزيونية مصرية فى ذلك الوقت. فانسحبت من لسانى وقلت معقبا " الرجل ده عند حق، كلهم خونة ". ورغم أننا كنا نتحدث خارج الهواء إذا بمهندسة الصوت تصرخ على الجانب الآخر من الزجاج قائلة إن كل ما قلناه خرج على الهواء، دون أن تعرف كيف. واكتشف خبراء الهندسة الإذاعية فيما بعد أنه خطأ فنى نادرا ما يحدث لدرجة أن شركة تليفونكن الألمانية مصممة هذه الأجهزة، تدخلت بعد ذلك لتصحيح هذا الخلل غير المسبوق فى كل أجهزتها الإذاعية. وقد دفعت ثلاثة أيام خصما من مرتبى لمجرد اتفاقى فى الرأى مع ليبى أهوج! ولكن الزملاء والزميلات، لا سيما داخل أروقة ماسبيرو، لم يعيروا حادثة خطف الميكروفون وإهانة الزعماء العرب أى اهتمام، وإنما استغلوا الإشارة إلى "الشعر الأحمر" لينسجوا منها شائعة من وحى خيالهم سرت فى أرجاء المبنى الضخم كالنار فى الهشيم، وهى أن مذيعًا ومذيعة فى أستديو صوت العرب ضُبطا وهما يتبادلان القبلات على الهواء!





الأهرام

لحقائق تؤكد : اسرائيل اسقطت طائرة الركاب الليبية دون أى انذار

ثبت وحشية جريمة اسرائيل امام العالم كله

جريمة اسرائيل تثير شعورا عالميا بالاستنكار

حادث .. وجريمة

东方红

مناقشة ممتعة

المذيعة اللامعة سلوى حجازى ضحية إسقاط
إسرائيل طائرتها فوق ليبيا ٢١ فبراير ١٩٧٣

(٢٥) شيخ الحكائين.. وصاحب "يا بلدنا يا عجيبة"

حين حلّت قدماى فى القاهرة قادما من موطنى الإسكندرية، كنت مضطرا كغيرى ممن ليس لهم معارف أو أقارب أو أصدقاء فى هذه المدينة الصاخبة، أن أحل ضيفا مؤقتا على واحد من فنادقها الرخيصة. اخترت أن يكون الفندق فى شارع رمسيس قريبا من مبنى الإذاعة. وقد حملنى هذا الاختيار العشوائى إلى جوار غرفتين لشخصيتين لعبا دورا فيما بعد على الساحة الفنية والثقافية. كان أحدهما خيرى شلبى، والآخر شريف المنباوى. تصادقتا بحكم الجيرة والغربة فكل منهما كان أيضا ضيفا على القاهرة. كنا نجوب الشوارع ليلا وننضم إلى شلل المثقفين فى مقهى ريش أو حتى فى استراحة الإذاعة حيث كان لكل منهما حلم بنشر أعماله. لم أر خيرى يومًا بدون كومة من الأوراق تحت إبطه، ولم أسر مع شريف إلا وكان يتحدث عن سيناريوهات السينما التى لم يكتبها بعد. التحق خيرى كاتبا بمجلة الإذاعة، وكان أول ما فعله هو أن كتب نقدا لبرنامجى"ساعة مع خمسين إذاعة"، أغضبنى وقتها، ولكن حين أنظر اليوم إلى ما قاله، أجد بالفعل أنه كان ناقدا موضوعيا. مما كتبه:

"استطاع برنامج "ساعة مع خمسين إذاعة" أن ينوع ويلون فى مادته وفى الخط أو الخيط الخفى الذى يربط به الفقرات. وفى رأيى أن مثل هذا البرنامج يضع فى ذهن المستمع سؤالاً مُلحًا: لقد سبق أن استمعت إلى هذه المواد كلها أو أغلبها، فما هو الجديد فى إعادة إذاعتها؟ وأستطيع أن أؤكد أن " عباس متولى"

فى اختياره للفقرات وفى طريقة تقديمها كان يجيب عن هذا السؤال بشكل تلقائى. بحيث يدرك المستمع لأول وهلة أن الجديد هو طريقة تقديم هذه المادة من جديد. ذلك أن طريقة التقديم نفسها أصبحت بالنسبة لإذاعاتنا شيئا يُقصد لذاته! أصبحت هدفا يصبو إليه بعض المذيعين النابهين. لماذا؟ لأن الإطار التقليدى الذى درج عليه البرنامج اليومى فى جميع إذاعاتنا أصبح- كما قلنا من قبل- سجين قالب تقليدى جامد.... غير أننى أحسست فى الحلقة الأخيرة أن اختيار الفقرات لم يكن قائما على وجهة نظر موضوعية إلى جانب كونها فقرات متناقضة تماما".. إلخ.

تطور خيرى شلبى من مجرد ناقد صحفى إلى كاتب مبدع أُشتهر فيما بعد بأنه" شيخ الحكائين، ونائب الغلابة، ابن البلد الذى سكن القبور والقصور، ونسج من حياة البسطاء خيوطا روائية جعلت من المهمشين أبطالا، وأسمعت الجميع صوت المقهورين والمستضعفين فى الأرض.. هو "الوتد" فى ساحة الأدب. و"الوتد" واحدة من أروع أعماله الروائية، إلى جانب زهرة الخشخاش، الشطار، الأوباش، لحس العتب، بغلة العرس، موال البيات والنوم، العراوى، فرعان من الصبار. كما أحيا خيرى شلبى فى الصحافة المصرية فن "البورتريه"، حيث يرسم القلم صورة دقيقة لوجه من الوجوه ترسم ملامحه الخارجية والداخلية، وقدم فيه ٢٥٠ شخصية من نجوم مصر فى جميع المجالات الأدبية والفنية والسياسية والعلمية والرياضية. وكان لزوجتى "فاطمة عمارة" شرف تخصيص فصل لها فى كتابه " فرسان الضحك". ومما قاله عنها:

" حينما ظهرت لأول مرة مع فرق التلفزيون المسرحية كانت على شىء كبير من التميز بإمكانية ذاتية خاصة حباها الله بها شكلا وموضوعا. فمن حيث الشكل كانت مصرية السحنة والملامح والتقاطيع، سمراء خفيفة الظل فى لسانها لدغة حميمية تحولت من عثرة فى النطق إلى عنصر جمالى فيه. أنت أمام فتاة مصرية تراها كثيرًا فى الحوارى المصرية.... خفة ظلها رشحتها للانضمام لفرقة المسرح الكوميدى وحينذاك لم يكن بين الأجيال الجديدة كوميديانات يملأن

الفراغ بعد ماري منيب وزينات صدقي ووداد حمدي اللهم إلا نبيلة السيد. ولهذا فإن عطر الموهبة الفكاهية في هذه الفتاة المسماه فاطمة عمارة كان سريع الانتشار بأول فرصة وقفت فيها على المسرح في أدوار ثانوية الأمر الذي أقنع عبد المنعم مدبولي بأن يسند إليها دور البطولة في مسرحية "ممنوع الستات"... ولعلنا نذكر دورها في فيلم "أضواء المدينة، ولكن من المؤكد أننا لا ننسى دورها في فيلم "الأرض" الذي أخرجه يوسف شاهين عن رواية عبد الرحمن الشرقاوي الشهيرة. الواقع أن عبقرية يوسف شاهين تجلت في اختياره لفاطمة عمارة كي تعلب دور "خضرة" في فيلم الأرض وقد لعبته باقتدار كبير..".

كان هذا هو خيري شلبي وهجا من الإبداع الشامل، رحالة وباحثا وقاصا وروائيا وشاعرا ومسرحيا، ومؤلف المسلسلات الإذاعية والتليفزيونية ومعد البرامج، الذي قال عنه الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودي : "... منحته التجربة كتابته، ومنحته كتابته نفسها فأغنى الرواية بعوالم لم يطأها قلم من قبله".

أما رفيق الدرب الآخر، شريف المنباوي فلم يمهله القدر تحقيق مجمل أحلامه ككاتب سيناريو واعد، فمات في عز شبابه بعد كتابة نحو عشرين فيلما، لم تمثل علامات بارزة في تاريخ السينما بقدر ما مثله تعبير صدر عنه وصار مثلا يتردد على الأفواه، لحنه محمد نوح في مسرحية "كلام فارغ" من تأليف أحمد رجب، وحاول كثيرون أن ينسبوه لأنفسهم:

" يا بلدنا يا عجيبة فيكي حاجة محيراني.. نزرع القمح في سنين.. يطلع القرع في ثواني"!



عباس متولي



• خيري شلبي •

ساعة مع خمسين إذاعة

منذ فترة طويلة وانا اتابع برنامج « ساعة .. مع خمسين اذاعة » الذى يعده ويقدمه « عباس متولى » كبير المذيعين بصوت العرب . وكان ما يشدنى الى هذا البرنامج انه يحاول ان يستفيد من المواد التى اذاعتها الاذاعات العربية خلال اسبوع فيخلق منها موضوعا واحدا يقدمه للمستمع على مدى ساعة من الزمن .

وعلى مدى دورات اذاعية كثيرة استطاع « البرنامج » ان ينوع ويلون فى مادته ، وفى الخط او الخيط الخفى ، الذى يربط به الفقرات . ورأيى ان مثل هذا البرنامج يضع فى ذهن المستمع سؤالا ملحا : لقد سبق ان استمعت الى هذه المواد كلها او اغلبها ، فما هو الجديد فى اعادة اذاعتها ؟ . واستطيع ان أؤكد ان « عباس متولى » فى اختياره للفقرات وفى طريقة تقديمها كان يجيب عن هذا السؤال بشكل تلقائى .. بحيث يدرك المستمع لاول وهلة ان الجديد هو طريقة تقديم هذه المادة من جديد . ذلك ان « طريقة » التقديم نفسها اصبحت بالنسبة لاذاعاتنا شيئا يقصد لذاته ! اصبحت هدفا يصبو اليه بعض المذيعين النابهين .. لماذا ؟ لان الاطار التقليدى الذى درج عليه البرنامج اليومى فى جميع اذاعاتنا اصبح — كما قلنا من قبل — سجين قالب تقليدى جامد .

اقول ان هذا ما جعل بعض المذيعين النابهين يخلقون لانفسهم دائرة صغيرة يطلون منها على المستمع بشكل خاص يحاولون ممارسة مواهبهم فى عملية الاتصال بالجماهير وخلق ما نستطيع تسميته بالمشاركة فى الميكرفون ، وبهذا نشأت برامج شيقة بالفعل احبها الجمهور وارتبط بها احساسه بأن المذيع يفكر به وله ويشاركه فى هذه الطبخة الفنية ، ويقفز الى المقدمة من هذه البرامج : السامر والسهرة وبرنامج « من اذاعات اليوم » وبرنامج « ساعة مع خمسين اذاعة » . ومما لاشك فيه ان مقدمى هذه البرامج استطاعوا ان يكشفوا للمستمع ما فى بعض المواد الاذاعية من فن وموضوعية . كل ذلك يعنى ان تقديم المادة الاذاعية فن كبير .

اعود الى برنامج « ساعة مع خمسين اذاعة » فاقول ان الحلقات الاخيرة والحلقة التى اذيعت مساء الاثنين قبل الماضى ، تستحق ان اسجل عليها هذه الملاحظات : لقد احسست ان اختيار الفقرات لم يكن قائما على وجهة نظر موضوعية ، فالى جانب كونها فقرات متناقضة تماما ، فمن فقرة من الفرقة القومية الى فقرة من تمثيلية « لا اسمع لا ارى لا اتكلم » الى برنامج من اذاعة ركن السودان يحشد بعض الاقوال المأثورة ، لم احس بأن هناك موضوعا معينا ، او اطارا تنصهر فيه هذه الفقرات بحيث تؤدى فى النهاية معنى متكاملا . صحيح ان لعباس متولى مواهب لا تنكر فى ربط الفقرات ، ولكن ربطه فى هذه الحلقات الاخيرة لم تزد من كونه كلاما جميلا مستقلا كل همه ان يمهد للفقرة ، وبهذا يتحول المذيع الى رجل يقدم الفقرات تقديما جيدا ولكنه لا يقيم بينها جسورا او قناطر ، كأنه صاحب « معدية » ينقل الناس الى البر ثم يعود لياخذ غيرهم ، المطلوب فى تقديرى ان يقوم المذيع بمد مجموعة من الشرايين الموضوعية والتوصيل بحيث تصب الفقرات المختلفة فى شلال واحد . واعتقد ان عباس متولى يملك هذه القدرة

مجلة الإذاعة والتلفزيون ١٩ فبراير ١٩٧٢

El DUSTOUR الدستور
١٩٩٦/٧/٩

مراهنات الصبا



خيرى شلبى

فاطمة عمارة

حينما ظهرت لأول مرة مع فرق التليفزيون المسرحية كانت على شئ كبير من التميز بإمكانيات ذاتية خاصة حباها الله بها شكلا وموضوعا. فمن حيث الشكل كانت مصرية السحنة والملامح والتقاطيع: سمراء، خفيفة الظل، فى لسانها لدغة حميمة تحولت من عثرة فى النطق إلى عنصر جمالى فيه. أنت أمام فتاة مصرية تراها كثيرا فى الحوارى المصرية، فى الأحياء الهامشية العشوائية المكتظة بالسكان، برائحة التقلية والطعمية وزفارة السمك والخضار البايت، وطفح المجارى، وروث الأطفال. منظرها يوحى بأنها لعبت مع الأطفال فى الشوارع، وجرت وراء عربات الرش، وتعاركت مع طوب الأرض حتى اكتسبت شقاوة وشيطنة، أصبحت لا فرق بينها وبين الصبى، تستطيع أن تحمى نفسها بنفسها من أى عدوان، يمكن أن تضرب بالروسية والبونية إذا لزم الأمر، أن تبارى الرجال فى الزعيق والجعير، أن تضرب الكرسى فى الكلوب، أن تكون فتوة من فتوات نجيب محفوظ قوى الشكيمة. على أن اشتراكها مع الرجال فى القوة والجدعنة وخشونة الصوت كل ذلك أضفى على أنوثتها سحرا خاصا ينبع من الهامش الخفى الفاصل بين شكلها ومحتواها: فأنت ما تكاد تتحدث معها حتى تظهر لك قدرا هائلا من الرقة والدماثة والثقافة والموهبة.

خفة ظلها رشحتها للانضمام لفرقة المسرح الكوميدى. وحينذاك لم يكن بين الأجيال الجديدة كوميديانات يملأن الفراغ بعد مارى منيب وزينات صدقى ووداد حمدى، اللهم إلا نبيلة السيد وكانت لا تزال تتحسس طريقها نحو الشهرة عن طريق فرق التليفزيون المسرحية. ولهذا فإن عطر الموهبة الفكاهية فى هذه الفتاة المسماة بفاطمة عمارة كان سريع الانتشار من أول فرصة وقفت فيها على المسرح فى أدوار ثانوية: الأمر الذى أقنع عبد المنعم مدبولى بأن يسند إليها دور البطولة فى مسرحية «ممنوع الستات» من تأليف بهجت قمر، مع أبى بكر عزت وجمال إسماعيل. وقبل ذلك لعبت دور الخادمة فى مسرحية «المفتش

قام الرهان مبكرا على فاطمة عمارة. لم يكن ثمة من خلاف بين أبناء جيلنا على أن فاطمة عمارة مؤهلة تأهيلا إلهيا لأن تكون نجمة كبيرة فى السنوات القليلة القادمة، ليس فحسب كممثلة عريضة القماشة ثمينة النسيج تستطيع استيعاب ألوان متعددة من الشخصيات المصرية الأصيلة، تؤديها ببراعة واقتدار وإحساس صادق ووعى حقيقى بمشاعر عامة الناس: بل وفى التمثيل الفكاهى بوجه خاص. ما أسرع ما انفتحت أمامها الطرق إلى أدوار كبيرة مؤثرة، حيث كان جميع مخرجى المسرح والسينما والتليفزيون والإذاعة يراقبون نموها السريع ويستقطبونها للعمل معهم. وقد لعبت أدوارا كثيرة لا تنسى فى مسرحية «الدبور» ومسرحية «على جناح التبريزى وتابعه قفة» ومسرحيات كثيرة، وفى تمثيليات التليفزيون الطويلة والقصيرة، ومسلسلات الإذاعة. حتى أصبحت فى زمن قصير وجها مألوفا للجماهير، وصوتا مميزا، وطريقة فى الأداء يعرفها المستمع قبل أن يرى وجهها.

طريقتها فى الأداء كانت طبيعية جدا، ليس فيها أى قدر من التكلف، تتحدث كما يتحدث عامة الناس فى الشوارع والحارات والبيوت وأماكن العمل: لكنها بذكاء حاد، وبخبرة اجتماعية ناضجة ومبكرة، تمسك بالملامح الإنسانية والعلامات الفارقة بين الناس والتى تظهر فى طرائقهم فى الكلام والتعبير والسلوك. فلكل واحد حركاته وإيماءاته وبصماته ولكنته التى تعتبر بمثابة البطاقة الشخصية لكل إنسان فى الحياة العامة.

ولعلنا نذكر دورها فى فيلم «أضواء المدينة» ولكن من المؤكد أننا لا ننسى دورها فى فيلم «الأرض» الذى أخرجه يوسف شاهين عن رواية عبد الرحمن الشرقاوى الشهيرة. الواقع أن عبقرية يوسف شاهين تجلت فى اختياره لفاطمة عمارة كى تلعب دور خضرة فى فيلم الأرض وقد لعبته باقتدار كبير.

نجاحها فى فيلم «الأرض» كان حاسما، متألقا، وكان من المنتظر أن يكون قنطرة تعبرها فاطمة عمارة إلى نجومية مؤكدة. ولكنها كانت كلاعب الكرة الذى قرر الاعتزال وهو فى قمة تألقه وعطائه، ليس نتيجة لإصابة معجزة تحول بينه وبين الجرى فى الملاعب، بل نتيجة تفكير واختيار. لقد اختارت فاطمة عمارة أن تكون زوجة. علمت بهذه الحقيقة بعد طول بحث عن فاطمة عمارة خلال اختفائها لسنوات طويلة: حيث تزوجت من المذيع عباس متولى كبير المذيعين آنذاك بإذاعة صوت العرب، وسافرت معه إلى أمريكا أثناء اختياره للعمل مذيعا بإذاعة صوت أمريكا. أنجبت له الأولاد، وملأت حياتهم بهجة وحيوية، متنازلة فى سبيل ذلك عن مجد شخصى كان يخطب ودها: فياله من نبل حقيقى لا يتوافر إلا فى فتاة مصرية حتى النخاع كفاطمة عمارة.

(٢٦) صحتك بالدنيا !

حين أسمع هذه الأيام عن المقابل المادى الذى يتلقاه مقدمو البرامج، سواء فى الإذاعة أو التلفزيون، أُصاب بالهلع من ضخامة المبالغ. ربما لا يعتبرها متلقوها كذلك، ولكنها مبالغ خيالية بالنسبة لمذيع ومقدم برامج مثلى قيل له فى أول يوم عمل له بصوت العرب بأنه لا أجر هناك على البرامج لأنها جزء من عمل المذيع، وكان علينا جميعا أن نكتفى بما عُرف فى تلك الأيام (أوائل الستينيات) ببدل طبيعة العمل وبدل "السماعة". فحين كان خريج الجامعة فى المصالح الأخرى يقبض ٢٠ جنيها فى أول كل شهر (الصافى ١٧ جنيها و٣٠ قرشا)، كنا نحن فى الإذاعة نقبض ٢٥ جنيها بعد إضافة طبيعة العمل وبدل السماعة (حوال ٢٢ جنيها ونصف صافى). وكان بدل طبيعة العمل مقابل عملنا فى ورديات طوال ٢٤ ساعة، أما بدل السماعة (وهو جنيهان على ما أذكر) فكان مقابل استخدام سماعات الأذن فى الاتصال بين أستديو التسجيل وغرفة المراقبة، حيث كانت الأستديوهات فى مبنى الشريفين، عبارة عن غرف منفصلة لا ترى فيها مهندس الصوت أثناء التسجيل، وإنما تتعامل معه بالميكروفون والسماعة. وتعويضا عن"التلف" الذى قد يلحق بآذاننا من كثرة استعمال السماعة، كانت علاوة الجنيهين! وقد تغير الأمر كله حين انتقلنا إلى ماسبيرو عام ١٩٦٦ وتعاملنا مع الأجهزة الحديثة ونسى الجميع مسألة بدل السماعة. قد لا يصدق أحد اليوم أن مبلغ الاثنين وعشرين جنيها ونصف، كان يفتح بيتا، لأن دولة عبد الناصر كانت

حريصة على ضبط أسعار الأسواق لا سيما أسعار اللحوم والأحذية التى يعتبرها خبراء الاقتصاد المقياس الحقيقى للكفاية والعدل. فأذكر مثلا أن سعر كيلو اللحم فى الستينيات كان يتراوح بين ٥٠ و٧٠ قرشا. وحين خرجت جماهير الشعب المصرى فى مظاهرات يناير ١٩٧٧، أو انتفاضة الحرامية كما كان يحلو للرئيس السادات تسميتها، هتفت ضد سيد مرعى رئيس مجلس الشعب آنذاك، قائلة: "مرعى بيه يا مرعى بيه كيلو اللحمه بقى بجنيه !!". وكان هناك حد أقصى لسعر الحذاء الجلد لا يتجاوز ثلاثة جنيهات وربع، بينما كانت محلات "باتا" تبيع الحذاء ب ٩٩ قرشا. استمرت هذه المعادلة معظم فترة الستينيات التى شهدت خطة خمسية فيما بين عامى ١٩٦٢ و١٩٦٧ أحدثت المشروعات التى أنشأتها الدولة خلالها معدل تنمية ٦,٥٪ مما كان يسبق دولا كبرى كالصين والهند وكوريا. ومع الارتفاع التدريجى للأسعار بعد نكسة ١٩٦٧، بدأ التفكير فى منح مقدمى البرامج ما يسمى "بالتكليفات"، أى تكليف المذيع بكتابة وإعداد برنامج بمقابل مادى إلى جانب واجباته الوظيفية التى يتلقى عنها راتبه الشهرى. ربما يعتقد البعض أنها تكليفات هزيلة تراوحت بين جنيهين ونصف إلى خمسة جنيهات للحلقة. ولكنها كانت حافزا ماديا عوّض بطريقة ما عما شهده الاقتصاد المصرى آنذاك من تضخم. كنا قبل ذلك نعمل من أجل المقابل المعنوى. فكانت هناك اجتماعات ولقاءات غير رسمية فى استراحة المذيعين أو مكاتب المنوعات نتبادل فيها الآراء والانتقادات البناءة لما يقدمه كل منا من برامج. وكان أكثر ما يثلج الصدر كلمة ثناء أو إشادة من زميل أو رئيس أو من مستمع يرسل خطابا أو يتحدث هاتفيا. ومن ثم كانت هناك محاولات حقيقة للإجادة، واضعين فى الأذهان أننا سنخضع لرقابة غير رسمية من زملاء وزميلات المهنة والمعجبين الذين سيعلقون على ما نقدمه ويُبدون رأيهم الموضوعى فيه. أى أننا كنا نعمل من أجل الكيف وليس الكم، من أجل الجودة وليس الشكل. نعم نظام التكليفات كان بمثابة المنقذ المادى الذى بث الحياة فى الرواتب التى باتت هزيلة بفعل التضخم، ولكن من مساوئه أن كل موظف فى الإذاعة تصور أن من حقه زيادة دخله عن

طريق هذه "السكة". وتحت ضغط هؤلاء وإلحاحهم أُضطرت الإدارة إلى تكليف كثيرين، من خارج دائرة مقدمى البرامج والمذيعين، بكتابة أو تقديم برامج، دون أن يكونوا مؤهلين لذلك، بحجة المساواة الاجتماعية التى حملتها شعارات الحقبة الناصرية، لأنه لم تكن هناك وسيلة أخرى متاحة لزيادة الدخل. من هناك بدأ التدهور يظهر جليا فى مستوى البرامج، ولم يعد أحد يهتم بالانتقاد الفنى لعمله بقدر اهتمامه بالحصول على المقابل المادى آخر كل شهر. وأذكر أن أول تكليف لى كان برنامج "صحتك بالدنيا" الذى كان يقدمه الأستاذ أمين بسيونى ثم تنازل لى عنه، نظرا لتكليفه ببرامج أخرى. ورغم أنه لم يكن يمثل طموحى فى برنامج منوعات ثقافى، وكان مجرد برنامج للتوعية الطبية، حاولت قدر الإمكان أن أحوله إلى عيادة طبية استضفت فيها عشرات من كبار الأطباء من كافة التخصصات ليردوا على تساؤلاتى التى كنت أحرص فيها على التعبير عما قد يدور فى خلد المستمعين بشأن الأمراض وعوارضها والوقاية منها. وكانت النتيجة أننى فزت بحصيلة لا بأس بها من الثقافة الطبية، وكثيراً ما كنت أرد على الاستفسارات الطبية لزملاء وزميلات المهنة الذين يريدون توفير ثمن الفيزيتا ! ونظرا لأننى لا أحمل شهادة فى الطب، أطلق على الزميل عاطف كامل لقب " الأسطى الدكتور" الذى لا يزال يناديني به حتى اليوم. كنت أحصل على جنيهين ونصف عن الحلقة بمجموع عشرة جنيهات تضاف إلى المرتب كل شهر. وقد مكنتنى هذه الثروة الجديدة من شراء ثلاجة من إنتاج المصانع الحربية، حين كان شعار" صُنع فى مصر" مطبقا بالفعل، ولم نكن قد دخلنا بعد فى عصر الانفتاح " على البحرى"، بأسعار سلعه الباهظة التى كان معظمها للفرجة، أكثر منها للشراء. وتصادف أن كان قسط الثلاجة هو نفس الجنيهات العشرة التى أحصل عليها من البرنامج شهريا. ولذلك كانت ثلاجتى الجديدة جديرة بأن ألصق عليها عبارة "صحتك بالدنيا"، فى الوقت الذى أطلقت فيه على برنامجى الإذاعى "إيديال ١٠ قدم"!



انتفاضة الخبز (الحرامية) فى ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧

(٢٧) شوقى الهليلى... فنان الهندسة الإذاعية ابن النكتة

ارتبط مهندس الصوت شوقى الهليلى بدخولى مبنى إذاعة الشريفين العتيق لأول مرة عام ١٩٦٥. كان هو أول وجه أقابله وهو يدير أستوديو الهواء وأنا أقدم الفقرات لأول مرة. كنت أتحسب لرهبة وربما لخوف من أن يهتز صوتى أمام هذا الشاب النحيل بنظارته الواسعة المميزة وشعره الناعم المسترسل. ولكن شيئا ما فى وجهه أشعرنى بالراحة. فقد كان مبتسما طوال فترة الإرسال التى انتهت على خير. ورغم أننى أقابله لأول مرة راح يتحفنى بآخر نكتة. وهى عادة لم يتخل عنها حتى بعد أن انتقلنا إلى مبنى ماسبيرو. بل إننى بعد سفرى لليونان وبعدها لواشنطن، كان يستقبلنى أثناء زياراتى بنفس الابتسامة وبآخر نكتة. وكان هو سندى حين يقبل على شخص ما لا أذكر اسمه بعد هذه الغيبة ليأخذنى بالأحضان فيهمس هو فورا باسمه فى أذنى حتى لا أبدو أننى نسيته. وحين فكرت أنا وزميلتى الإذاعية أمانى كامل فى التقدم بفكرة برنامج جديد فى صوت العرب، كان شوقى أول من خطر على بالنا ليكون هو مهندس الصوت. ليس لأنه صديق وحسب ولكن لأنه كان من أبرع مهندسى أستديو الهواء. كانت فكرة برنامج " من غير مونتاج" تقوم على تقديمه على الهواء ربما لأول مرة فى تاريخ الإذاعة. وكان عنوانه معبرا عن مضمونه. فهو برنامج مباشر يتحاور فيه المذيعان تلقائيا حول موضوع واحد قائم على ترابط الأفكار، أى الانتقال من فكرة لأخرى فى إطار نفس الموضوع، كأن نتحدث مثلا فى موضوع القمر عن نزول أول إنسان

على سطحه، أو القمر فى عيون العشاق والشعراء، أو جيولوجية القمر، أو حركاته وتأثيره على الأرض والإنسان، وهكذا. وتتخلل الفقرات موسيقى وأغنيات من أحب ما يشجينا من سيد درويش وفيروز وعبد الحليم وعبد الوهاب وغيرهم، دون ارتباط هذه الأغانى بالمادة المذاعة كما درجت العادة فى معظم البرامج المسجلة. وكانت هذه هى مهمة شوقى الهليلى كمهندس صوت. وكانت اختياراته دائما صائبة وأسهمت إسهامًا كبيرًا فى نجاح البرنامج. أما دوره الأهم فكان استقبال مكالمات المستمعين ونقل مضمونها إلينا بصوته على الهواء عبر ميكروفون رُكّب خصيصا فى "الكيوبيك" أو غرفة الهندسة، وهى سابقة أيضا لم تحدث من قبل أو بعد. وفى يوم ١٨ أغسطس ١٩٧٢، فاجأنى شوقى بأنه تلقى مكالمة من مستمعة اسمها "هدى عباس" تقول إنها وصلت لتوها بعد غياب تسعة أشهر وتعرب عن إعجابها بفكرة البرنامج. وكان شوقى يشير بذلك إلى ابنتى "هدى" التى وُلدت فى تلك الليلة! ويشاء القدر بعدها بفترة وجيزة أن تنجب زوجة شوقى طفلتهما الوحيدة بعد زواج استمر عشر سنوات! ونظرا لأنه لم تكن هناك حدود لما يتناوله البرنامج، خشى المسئولون من أننا لو فتحنا الميكروفون للمستمعين ربما يتطاول أحدهم على النظام أو حتى يستخدم ألفاظا بذيئة أو تخدش الحياء فى الحوار مثلما يحدث الآن فى الفضائيات. وكان شوقى هو الحل الوسط الذى رضينا به. قدم ثلاثتنا البرنامج لفترة طويلة، وكنا نستعين بزميلنا الإذاعى مصطفى لبيب فى المشاركة فى بعض الحلقات التى كان يؤديها بكفاءة ليست غريبة عليه كواحد من أفضل الإذاعيين أيامها، والذى كان يخفى وراء صورته الإذاعية صحفيا صاحب قلم رشيق أهّله فيما بعد ليُنتدب فترة للعمل كصحفى بإحدى الصحف العربية. غير أنه فى طريق النجاح كثيرًا ما تصادف من يفسد عليك حماستك. فبدأت الهمسات واللمزات بأن هذا البرنامج يدعو الناس إلى الانقلاب على السلطة، لا سيما بعد أن قرأنا فيه جزءا من مقالة للكاتب العظيم يوسف إدريس بصحيفة الأهرام دعا فيها الناس إلى استدعاء الوزير المسئول ودس أنفه فى مواسير المجارى التى طفحت فى أحيائهم بسبب إهمال

المسئولين فى إصلاحها. ناهيك عن الثورة العارمة التى أثارها الكاتب الكبير أنيس منصور لأننا شككنا فى صحة بعض المعلومات الواردة فى كتابه الشهير "حول العالم فى ٢٠٠ يوم" الذى صدر عام ١٩٦٣. فالمعروف عن أنيس منصور أنه مستمع جيد لبرامج السهرات الإذاعية ولبرنامجنا على نحو خاص. وفى إحدى الحلقات كنا نتحدث عن الاشتراكية، ومن بينها الاشتراكية الفابية وذكرنا بعض التواريخ التى يبدو أنها لم تكن دقيقة. فأفرد لنا فى اليوم التالى عموده اليومى "مواقف" ليصحح لنا التواريخ. وكان ردى على الهواء أن الكلام المرسل على الهواء من الصعب تصحيحه إلا فى حلقة تالية وهو ما فعلناه واعتذرنا عنه. أما كتاب "حول العالم فى ٢٠٠ يوم" الذى فاز بجائزة الدولة وصدر بأكثر من عشر طبعات قلت عنه إنه لا يجوز أن يستمر فى نشر نفس الأخطاء التى لم تكن مطبعية ولكنها كانت تاريخية وجغرافية. ورغم أن وزير الإعلام عبد القادر حاتم آنذاك أشاد بالبرنامج وطلب من المسئولين أن يحذوا حذوه فى برامج الإذاعة، فإن دسائس زملاء المهنة كانت أشد قسوة. فأشاعت زميلة أنه برنامج "شيوعى" لتمس وترا يشد أعصاب المسئولين، ناهيك عن أنور السادات الذى كانت لديه حساسية مفرطة مما تبثه الإذاعة بعد تجربته المريرة فى ١٥ مايو ١٩٧١. وهكذا اضطررنا إلى إسدال الستار على أول برنامج حوارى كان بمثابة الأب الروحى لكل البرامج الحوارية التى تسود الفضائيات والمحطات الإذاعية اليوم. نعم انتقلت بعدها إلى رحاب اوسع فى واشنطن حين قدمت البرنامج الإذاعى "لقاء على الهواء" ثم التلفزيونى بنفس الاسم واختتمت ذلك النشاط ببرنامج "من أمريكا" من قناة الـ MBC، ولكن يظل لبرنامج "من غير مونتاج" طعم خاص لأنه ظهر فى ظروف حظر إعلامى لحرية الكلمة وانتقاد السلطة أو الرد على كبار الصحفيين، وقد فعلنا كل ذلك -عباس متولى وأمانى كامل ومصطفى لبيب وشوقى الهليلى- عن طيب خاطر واحتراما لذكاء المستمع دون حساب للعواقب!




أنيس منصور

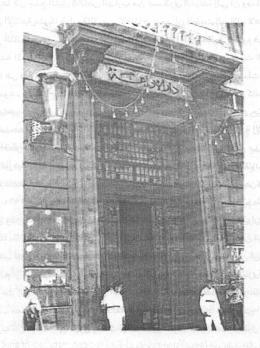


(٢٨) السباق إلى الفجر!

درجت العادة على أن يتحمل أحدث مذيع عبء العمل فى وردية الفجر، وما أدراك ما وردية الفجر! فصوت العرب يفتتح إرساله فى الخامسة صباحًا. وعليك أن تصحو من النوم على الأقل الساعة الثالثة فجرا لتستعد للعمل وتنتظر سائق سيارة الإذاعة فى الرابعة صباحًا. وقد نلت بالفعل حصتى من هذه الوردية الشاقة خمس سنوات على الأقل، إلى أن توليت مسئولية إدارة المذيعين، ودرج العرف على أن تكون هذه الترقية نهاية لمشقة ورديات الفجر. ولكن لن أنسى ذلك اليوم الذى انتظرت فيه سيارة الإذاعة فى عز البرد دون أن تحضر. كنت وقتها فى بداية حياتى الإذاعية قد استأجرت غرفة فى شقة بالقلعة وراء قسم الخليفة. ونزلت إلى الشارع فى انتظار السيارة التى لم تحضر حتى الساعة الرابعة والنصف، ونظرا للمسئولية الكبرى التى تقع على عاتق المذيع حال تخلفه عن افتتاح الإرسال فى موعده، توجهت إلى قسم الخليفة لعل الشرطة توفر لى سيارة حين يعرف الضابط النوباتشى أننى مذيع ولا يصح أن تنطلق إذاعة صوت العرب على الهواء بدونى. ولكن الشرطة فى خدمة الشعب آنذاك لم توفر لى أى خدمة، ليس عن تقاعس لا سمح الله، ولكن لأن جميع سياراتهم كانت إما فى الخدمة، أو خارج الخدمة! لم يكن هناك وسيلة إلا الذهاب إلى الإذاعة فى شارع الشريفين عدوا على الأقدام، بعد أن فشلت تماما فى العثور على سيارة أجرة فى هذا الوقت المبكر من الفجر. ولمن يعرف القاهرة يمكن أن يتصور المسافة بين

القلعة وباب اللوق. أخذت أجرى بكل ما آتانى الله من قوة مخترقا منطقة بركة الفيل عبورا بباب الخلق والحلمية، دون أن أفكر حتى فيمن يشاهد شابا يهرول مسرعا فى جنح الليل كاللص الهارب من عسكرى الدرك، إلى أن وصلت إلى مبنى الإذاعة منهكا قبل دقائق من الافتتاح. وبعد أن قطعت السلالم لاهثا إلى الدور الثالث دون انتظار لعامل الأسانسير الذى ربما كان يغط فى النوم فى هذه الساعة المبكرة من الفجر، وجدت الطابق كله بما فيه أستديو صوت العرب، غارقا فى ظلام دامس. وإذا بى أكتشف أننى لم أصل متأخرا وإنما وصلت مبكرا قبل موعد الافتتاح بساعة كاملة. فمن "بختى" أن هذه الليلة بالذات كانت تلك التى يتغير فيها التوقيت الشتوى. ومع ذلك، ظلت وردية الفجر تطاردنى حتى بعد أن أصبحت كبيرا للمذيعين وتم إعفائى منها بسبب مسئولياتى الإدارية الأخرى. فأنا أقطن فى العجوزة على مسافة قريبة من ماسبيرو. وكلما تأخر مذيع عن تلك الوردية لا يجد قسم الهندسة الإذاعية سواى لأحل محله نظرا لقرب بيتى من الإذاعة، علاوة على أن الله أنعم على باقتناء سيارة فولكس فاجن قديمة طراز ١٩٦٠! عملت كبديل للمذيعين المتغيبين أو المتأخرين مرات عدة. ثم طفح بى الكيل وقررت ألا أحل محل أحد وليتحمل المتغيب المسئولية. وبعد قرارى هذا تلقيت مكالمة من الهندسة الإذاعية تفيد بأن المذيع المسئول مصطفى لبيب لم يستجب لبوق سيارة الإذاعة وينزل للتوجه إلى ماسبيرو. فأبلغتهم بأننى لن أذهب وعليهم أن يتصلوا بمذيع آخر. وبعد أن أغلقت السماعة وخزنى ضميرى المهنى وسارعت إلى سيارتى وذهبت إلى الأستديو. وهناك كانت المفاجأة، وجدت المذيع المتغيب مصطفى لبيب، وكذلك المذيعة أمانى كامل، التى كانت تقطن هى الأخرى بالقرب من الإذاعة، وياللهول وجدت أيضا مدير صوت العرب سعد زغلول نصار! والحكاية أن مصطفى "راحت" عليه نومه ولما أفاق استقل سيارة تاكسى إلى المحطة. وجاءت أمانى بعد أن كانت قد رفضت فى البداية ثم "نقح" عليها ضميرها المهنى هى الأخرى، فاضطرت الهندسة الإذاعية، بعد رفضها المبدئى، إلى الاتصال بمدير صوت العرب شخصيا الذى جاء هو الآخر مهرولا. وكانت

هذه هى المرة الأولى، وربما الأخيرة، التى يجتمع فيها أربعة مذيعين لافتتاح هذه الوردية اللعينة!



دار الإذاعة بالشريفين

(٢٩) أنا أضحك.. إذن أنا إنسان

كثيرة هى تلك المواقف التى يفقد فيها المذيع السيطرة على نفسه ويدخل فى نوبة من الضحك الهستيرى الذى قد يكون لأتفه الأسباب. ومهما كانت حنكة المذيع، فغالبا ما يعجز عن استعادة توازنه، رغم تأثير ذلك على ما يقدمه من مادة على الهواء. وهو ما يذكرنى بقول نيتشه:

" إننى لا أعرف تمامًا لماذا كان الإنسان هو الكائن الوحيد الذى يضحك؟ فإنه لما كان الإنسان هو أعمق الكائنات شعورًا بالألم كان لابد له أن يخترع الضحك. فالتعس هو الذى يضحك لكى يبدل بتعاسته الفرح."

بينما اعتبر فرويد الفكاهة "واحدة من أرقى الإنجازات النفسية للإنسان وتصدر عن آلية نفسية دفاعية فى مواجهة العالم الخارجى المهدد للذات، وتقوم هذه الآلية الدفاعية بتحويل حالة الضيق إلى حالة المتعة".

لكن المذيع، فى كثير من الأحيان، لا يقصد اختلاق أو افتعال هذه المتعة التى عادة ما تكون وليدة موقف غير متوقع. كأن يتلعثم فى نطق حرف ما ليعطى الكلمة معنى مختلفا أو هزليا. أو يقرأ فقرة مفاجئة غير متوقعة كتلك التى قرأتها فى برنامج " من غير مونتاج" على الهواء بإذاعة صوت العرب مع زميلتى "أمانى كامل". وكانت مقتبسة من أحد كتب الساخر الراحل العظيم أحمد رجب:

" أيوه ع السمرا بتدلع فى ملاية اللف
من رشدى لحد الأنفوشى وأنا داير لف

من تحت اليشمك غمزتلى والعقل اتهف
قربت مشفتش قدامى... ايووووووووووه على الكف !

وجالت فى ذهنى صورة ذلك الكف الغليط وهو يهبط على قفا مغازل السمراء، فضحكت وإذا بعدوى الضحك تنتقل إلى أمانى فتنضم إلى فى ضحك هستيرى لم نتوقف عنه حتى بعد أن قطع مهندس الصوت الميكروفون عنا ليذيع فقرة موسيقية. ورغم قول علماء النفس إن الإنسان كائن ضاحك والطرفة أو النكتة علاج نفسى مثلها مثل الحلم الذى يراه النائم، فهى قصيرة مكثفة مختزلة غير منطقية، لم تكن تجربة الضحك الهستيرى على الهواء قصيرة بالنسبة لى على الأقل. حدث ذلك مرتين فى إذاعة صوت أمريكا. كنت أنا قارئ النشرة وكان زميلى عاطف كامل هو مخرج الفترة الإخبارية. لم أكن قد راجعت النشرة وكان هناك خبر عن رئيس بنجلاديش الجديد (عبد الستار) وكنت أنتظر أن يتبعه لقبه، وأكتشف أن هذا هو اسمه بالكامل فابتسمت ابتسامة عريضة، ولكنها تحولت إلى ضحك هستيرى حين شاهدت عاطف من خلف الزجاج وقد ضاقت عيناه وغرق فى نوبة من الضحك. وزادتنى محاولته الاختباء أسفل طاولة الكونترول لأتجنب رؤيته ضحكا فاضطر مهندس الصوت إلى قطع النشرة بتقرير مسجل. أما المرة الثانية فكانت على يد الزميل محمد الشناوى، وكان هو مقدم الفترة الإخبارية وأنا قارئ النشرة فيها. وكالعادة قدم اسمى كقارئ لها. ولكنه بدل أن يقدمنى باسمى الإذاعى "عباس متولى"، آثر لسبب لم أعرفه بعد أن يقول الاسم كاملا " عباس متولى عيد". فانطلقت فى ضحك هستيرى حين توقعت أن يتمادى ويعلن تاريخ ميلادى ومحل إقامتى وهواياتى..إلخ. وانطلقت العدوى إلى "الشناوى" فصرنا نتبادل الضحك فى نشرة إخبارية لا تحتمل الهزل! يقول الكاتب الساخر الصديق الراحل محمود السعدنى فى كتابه "الطريق إلى زمش":

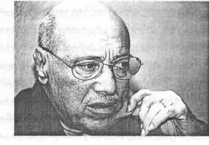
"ولأنى حمقرى (مزيج من الحمار والعبقرى) فقد كنت أظن أن كل رجل ضاحك رجل هلأس.. ولأنى حمقرى كنت أرفع شعارًا حمقريًا "أنا أضحك إذن أنا سعيد"، وبعد فترة طويلة من الزمان اكتشفت أن العكس هو الصحيح،

واكتشفت أن كل رجل ضاحك رجل بائس، وأنه مقابل كل ضحكة تقرقع على لسانه تقرقع مأساة داخل أحشائه، وأنه مقابل كل ضحكة ترتسم على شفتيه تتحدر دمعة داخل قلبه".

وقد انحدرت دموعى بالفعل وأنا أقرأ أكثر النشرات حزنا وكآبة فى مسيرتى الإذاعية، حين جاءنى نبأ وفاة شقيقى الأصغر "مدحت" قبل موعد قراءتها بدقيقتين!



أحمد رجب



محمود السعدنى

(٣٠) أبو ضحكة جنان... وولده !

رغم حبى وإعجابى الشديدين منذ الصغر بالفنان الراحل إسماعيل يس، فإننى لم أقابله وجها لوجه سوى مرة واحدة حين سجلت معه فى فيلته بالزمالك برنامج "حديث الذكريات" لصوت العرب. لم أكن أتوقع أن تصبح هذه الحلقة فيما بعد من التراث وتدخل التاريخ لكونها من بين المواد التى تحدث فيها إسماعيل يس باستفاضة عن حياته وبداياته منذ هجر مدينة السويس إلى القاهرة وهو فى السابعة عشرة من عمره ليعمل صبيا فى مقهى بشارع محمد على، دون أن يفارقه حلمه بأن يصبح مطربا. ولكن هذا الحلم تحطم حين غنى فى أحد الأفراح أغنية عبد الوهاب" أيها الراقدون تحت التراب"، فانهال عليه "المعازيم" ضربا، ولتخفيف حدة الموقف ألقى عليهم سيلا من النكات حازت الإعجاب، مما دفعه إلى التخصص فى فن المونولج. أُضطررت لإيقاف التسجيل مرة بعد أن اغرورقت عينا إسماعيل يس بالدموع تأثرا بحديثه عن والده الذى لم يترك السويس حتى بعد نجاح ابنه فى القاهرة وتوفى فيها. وكانت هذه أول مرة أرى فيها الرجل الذى أضحك الملايين وهو يبكى! وظل وهو يسترجع ذكرياته طوال حواره معى يشفع كل شخصية تحدث عنها بعبارة " الله يرحمه"، وفجأة خرج من حالة الاكتئاب تلك قائلا جملته الشهيرة "يا نهار إسود دول كلهم مراحيم"! من بين هؤلاء مكتشفه وصديق عمره وشريك رحلة كفاحه الفنية المؤلف الكوميدى الكبير أبو السعود الإبيارى الذى كون معه ثنائياً فنياً شهيراً وكان رفيقا

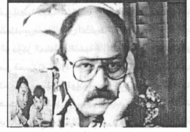
له فى ملهى بديعة مصابنى ثم فى السينما والمسرح، وهو الذى رشحه لبديعة مصابنى ليلقى المونولوجات فى فرقتها، وهو الفن الذى تألق فيه عشر سنوات من عام ١٩٣٥- ١٩٤٥ حتى أصبح يلقى المونولوج فى الإذاعة نظير أربعة جنيهات شاملا أجر التأليف والتلحين. وكانت بداية دخوله السينما عام ١٩٣٩ عندما اختاره فؤاد الجزايرلى ليشترك فى فيلم (خلف الحبايب). وقدم العديد من الأفلام لعب فيها الدور الثانى من أشهرها فى تلك الفترة (على بابا والأربعين حرامى) و(نور الدين والبحارة الثلاثة) و(القلب له واحد). أبلغنى إسماعيل ياسين بأنه قدم أكثر من ١٦٦ فيلمًا فى حياته. غير أن بطولته المطلقة جاءت عام ١٩٤٤ حين استعان به أنور وجدى فى معظم أفلامه، ثم أنتج له عام ١٩٤٩ أول بطولة مطلقة فى فيلم (الناصح) أمام "الوجه الجديد" ماجدة. وكانت أعوام ٥٢ و٥٣ و٥٤ العصر الذهبى لإسماعيل يس، حيث مثل ١٦ فيلما فى العام الواحد، وهو رقم لم يصل إليه أى فنان آخر. بل إنه حجز لنفسه مكانة فريدة كأول فنان اقترنت الأفلام باسمه المباشر. من هذه الأفلام إسماعيل يس فى الجيش - إسماعيل يس فى متحف الشمع - إسماعيل يس يقابل ريا وسكينة - إسماعيل يس فى البوليس - إسماعيل يس فى الطيران - إسماعيل يس فى البحرية - إسماعيل يس فى مستشفى المجانين - إسماعيل يس طرزان - إسماعيل يس للبيع، وإسماعيل يس بوليس سرى. ولى مع هذا الفيلم الأخير قصة. فبعد أن تخرجت من المدرسة الثانوية عام ١٩٥٨، كنت أود الالتحاق بمعهد السينما، وأبلغتنى والدتى وقتها أن محمد رجائى مدير أستديو مصر آنذاك هو من بين أقاربها. وما كان منى إلا أن أرسلت إليه خطابا يفصّل صلة القرابة، أملا فى الانتماء ولو من بعيد لواحد من أهم أقطاب السينما المصرية. وقد فوجئت بالفعل أن الرجل يرد على خطابى بكل أدب ويبلغنى بأن المسألة مجرد تشابه أسماء، ولكنه وجه لى الدعوة لزيارة أستديو مصر. وحين أطلعت زميل الدراسة وصديق العمر رشدى بلبع، المهووس مثلى بهواية التمثيل، شجعنى على تلبية الدعوة والذهاب إلى القاهرة. ونظرا لضيق ذات اليد كان اقتراحى أن نذهب إلى هناك عن طريق "الأوتوستوب" بمعنى أن نقطع المسافة من الإسكندرية إلى القاهرة

سيرا على الأقدام ونستعين من وقت لآخر ببعض السيارات التى لا تمانع فى منحنا "توصيلة". وبالفعل تمكنا بعد ساعات طوال من الوصول إلى أستديو مصر بالهرم ومقابلة الأستاذ محمد رجائى الذى رحب بنا بكل بشاشة وخلق كريم، وحين أطلعناه على رغبتنا فى التمثيل، نصحنا بأن ننتظر حتى استكمال دراستنا الجامعية، ثم طلب من أحد مساعديه أن يرافقنا فى جولة بالأستديو حيث كان يتم تصوير فيلم "إسماعيل يس بوليس سرى"! ولا أعرف حتى اليوم لماذا لم أبلغ الفنان العظيم بهذه الواقعة وأنا أجرى معه المقابلة. ولكنه استطرد بعد ذلك فى الحديث عن تحوله إلى المسرح عام ١٩٥٤ وتكوينه فرقة تحمل اسمه بشراكة رفيق عمره أبو السعود الإبيارى. وقد انفرجت أساريره حين ذكّرته بأنه كان لى شرف نقل واحدة من مسرحياته لصوت العرب عام ١٩٦٦ فى نهاية رحلته المسرحية التى امتدت ١٢ عامًا وقدم خلالها ما يزيد على ٥٠ مسرحية كانت كلها من تأليف أبو السعود الإبيارى. لم يتحدث إسماعيل يس كثيرًا عن حياته الأسرية باستثناء ما ذكره عن ابنه الوحيد ياسين، الذى شاء أن يصبح، بعد هذه المقابلة، واحدا من أقرب أصدقائى. ولكن حياة ياسين اتخذت منحى آخر. كان يحلم بأن يصبح هيتشكوك الشرق، بسبب ولعه الشديد بالأفلام البوليسية، التى أخرج بعضها رغم أنه لم يكمل دراسته بمعهد السينما. وتفرقت بنا السبل حين هاجرت إلى الولايات المتحدة، وكان آخر حديث لنا فى أواسط الثمانينيات حين اتصل بى هاتفيا من لوس أنجلوس التى كانت يزورها، ربما للدراسة السينمائية أو الاطلاع على أحدث تقنيات أفلام الإثارة التى كان يعشقها، حيث كتب وأخرج نحو عشرين فيلما معظمها ذو طابع بوليسى أذكر منها (امرأة بلا قلب) و(بذور الشيطان) و(الشيطان يغنى) و(المنتقمون) و(القناص) و(أخى وصديقى سأقتلك) و(عاد لينتقم) و(جريمة إلا ربع) و(حلقة الرعب) و(الرجل الشرس) إضافة إلى أعمال تلفزيونية منها مسلسل (عيون تائهة) وسهرة عنوانها (بين أحضان إبليس) ومسلسل (دوائر الشك). غير أن مكالمته الوحيدة والأخيرة معى من كاليفورنيا كانت لسبب آخر، وهو أن أتفاهم مع رجل شرطة أمريكى احتجزه بسبب قيادته السيارة بسرعة زائدة. والحمد الله أننى أقنعت الشرطى الأمريكى بأن يطلق

سراح شاب مصرى زائر يجهل قوانين المرور الأمريكية. ولم أسمع منه أو عنه شيئا بعدها إلى أن جاءنى خبر وفاته المؤلم يوم ٣ مارس ٢٠٠٨ عن ٥٩ عاما. كل ما عرفته بعد ذلك أنه انشغل قبل وفاته بمسلسل "إسماعيل يس" عن حياة أبيه ورشح الفنان أشرف عبد الباقى لبطولته، ولكن روحه صعدت إلى بارئها قبل أن يحقق حلمه. وقد عُرض مسلسل آخر تحت عنوان "أبو ضحكة جنان" وقام ببطولته أشرف عبد الباقى فعلا، ولكن من تأليف أحمد الإبيارى وإخراج محمد عبد العزيز فى شهر رمضان التالى لرحيله!



إسماعيل ياسين



ياسين إسماعيل ياسين

(٣١) حين كانت المعارضة بالشعر والأغانى..
وليس بالمولوتوف والشماريخ!

كانت بداية معرفتى بأحمد فؤاد نجم والشيخ إمام عيسى على يد الزميل الإذاعى الراحل حسن شمس. كنت أعشق دائما أن أقتطف من سهراته المنوعة الرائعة بإذاعة الشرق الأوسط فقرات لبرنامجى "ساعة مع خمسين إذاعة" بصوت العرب. وذات يوم بشرنى حسن بأن حلقته القادمة ستكون "قنبلة". ولكى يثبت ذلك اصطحبنى إلى حارة حوش آدم (الأصل التركى خوش قدم، يعنى قدم الخير) حيث تعانقت أشعار نجم مع ألحان إمام لتعبر عن روح الاحتجاج الجماهيرى الذى بدأ بعد نكسة ١٩٦٧. رحبت بالفكرة نظرا لأن نجم لفت نظرى إلى موهبته أول مرة بقصيدة عن الباعة الذين يوزعون على ركاب الأوتوبيس أو الترام كتيبات من أدعية دينية أو قطعا من السكر النبات، أو اللبان طلبا للرزق. ومثلما كان البسطاء يرهبون رجال الشرطة وبطشهم فى الشارع، كان الكمسارى بمثابة "البعبع" أو مركز السلطة بالنسبة لأولئك الباعة، القادر على طردهم وقطع أرزاقهم. أذكر من قصيدته عبارة " يا كمسارى ياكمسارى يا نص عسكرى"، وهى عبارة موحية لخصت ببساطة العلاقة بين السلطة والمواطن حتى داخل وسائل المواصلات! ذهبت تلك الليلة إلى حوش آدم لأنضم إلى لفيف من المثقفين اليساريين الذين التفوا حول الثنائى الفنى يرددون معهما الأغانى الاحتجاجية لواحد من أفضل ما أنجبت مصر من شعراء العامية. قال عنه الشاعر الفرنسى

لويس أراجون: "إن فيه قوة تسقط الأسوار"، وأسماه الدكتور الناقد على الراعى "الشاعر البندقية". ومنذ ذلك الحين صرت عاشقا لفنهما ومتابعا جيدا لانتاجهما المحظور، أقتفى أثرهما فى التجمعات الثقافية العلنية منها والسرية، بل وأحيانا فى مدرجات جامعة القاهرة. وبقدر ما كان النظام فى عهد عبد الناصر يتسامح معهما رغم أن الزعيم الخالد لم يسلم من الانتقاد، لقيا الثنائى بطشا لا يوصف فى عهد السادات دخلا فيه السجن عدة مرات. وأذكر أنه حين جاءت السلطات لتفتش الشقة المتواضعة للشيخ إمام وجدوا صورة بالحجم الكبير للزعيم الصينى الشيوعى ماو تسى تونج معلقة على أحد جدرانها. وحين سألوه، قال الشيخ الضرير بكل بساطة " إن الزعيم الصينى يسلى وحدتى!". وقبل وفاة عبد الناصر سمحت الإذاعة لأول مرة بإذاعة أغانى نجم وإمام، بل وسمحت لمطربين مثل محمد رشدى بغناء بعضها. وفى صوت العرب قام الأديب والكاتب الكبير الراحل رجاء النقاش بإعداد حلقات يومية تحت عنوان " مع الشيخ إمام"، أخرجها الزميل المذيع والمخرج المتميز أحمد الجبيلى وقمت أنا بتسجيل افتتاحيتها بصوتى. كانت حصيلة فنية رائعة كان يمكن أن تنضم إلى التراث الفنى الذى تحتفظ به مكتبة الإذاعة، لولا أن السادات مثلما أحرق شرائط وملفات التنصت على المسئولين فى مشهد درامى بفناء وزارة الداخلية أثناء ما سماها "ثورة التصحيح" عام ١٩٧١، قام نظامه بتجريف المكتبة الإذاعية من كل تسجيلات أحمد فؤاد نجم والشيخ إمام. وكانت حلقات "مع الشيخ إمام" التى استنفدت جهد كل من النقاش والجبيلى، ضحية تلك الهجمة "الثقافية". أرجع البعض سبب كراهية السادات لنجم، الذى سماه بالشاعر البذىء، لقصيدته الشهيرة "بيان هام" التى استهزأ فيها من الرئيس المؤمن وسماه "شحاته المعسل":

هنا شقلبان محطة إذاعة حلاوة زمان
يسر الإذاعة ومايسركوش
بهذى المناسبة وما بندعيكوش
نقدم إليكم ولاتقرفوش

شحاته المعسل بدون الرتوش
ماتقدرش تنكر تقول ما اعرفوش
ما تقدرش ايضا تقول ما اسمعوش
شحاته المعسل حبيب القلوب
يزيل البقع والهموم والكروب
يأنفس يأفين يبلبع حبوب
ويفضل يهلفط ولاتفهموش
وتفهم ما تفهم دا ما يهمناش
لأن انت فاهم وعامل طناش !

وبعد وفاة الشيخ إمام تفرغ "الفاجومى" إلى إنتاج حصيلة رائعة من القصائد التى ظلت غير ملحنة ولكن موسيقاها الشعرية ظلت تتردد فى آذان السامعين من المحيط إلى الخليج. وكان عصر مبارك من أكثر ضحايا أشعاره اللاذعة، لا سيما بعد زواج جمال مبارك كخطوة أولى نحو التوريث، مثل تهنئته للرئيس المنتظر التى لم تخل من "طول اللسان":

مبروك يا عريسنا يا أبو شنة ورنة
يا واخدنا وراثة أطلب وإتمنى
وأخرج من جنة أدخل على جنة
مش فارقة معانا ولا هارية بدنا
ولا تاعبة قلوبنا ولا فاقعة......!!
يا عريس الدولة إفرح وإتهنى
ما احناش كارهينك لكن هارشينك
حا تكمل دينك وتطلع ديننا!

بل إن ثورة ٢٥ يناير أعادت اكتشاف نجم والشيخ إمام. فرغم ظهور العديد من الأغانى "الشبابية" ومطربين وفرق غنائية شاركوا فى أحداث الثورة وتفاعلوا مع شباب الثوار، كان لألحان الشيخ إمام، لأشعار نجم الثورية مذاق وتأثير خاص.

وكنت أنا شخصيا كمذيع أشعر بنشوة غير عادية وأنا أتلو قصائد نجم فى برامجى الإذاعية والتلفزيونية حين استقر بى المقام فى واشنطن، لا سيما قصيدته " بيانات على تذكرة مسجون" التى عبّرت عن معاناة جيل بأسره:

الاسم : صابر
التهمة : مصرى
السن : اجهل اهل عصرى
رغم انسدال الشيب ضفاير
من شوشتى لما لتحت خصرى
المهنه : وارث عن جدودى والزمان
صنع الحضارة والنضاره والامان
البشره : قمحى....القد : رمحى
الشعر : اخشن م الدريس
لون العيون : اسود غطيس
الانف : نافر كا لحصان
الفم : ثابت فى المكان
واما جيت ازحزحه عن مطرحه كان اللى كان
جهه الميلاد: فى أى اوضه مضلمه تحت السما على ارض مصر
من أى دار وسط النخيل مطرح ما يجرى النيل ما دام ما يكونش قصر
الحكم: من سبع تلاف سنه وانا راقد سجين
أطحن على ضراسى الحجر من الضجر وأبات حزين
الاسباب : سالنى سائل حبستك طالت وليه
ولانى طيب وابن نكته
ما فيش مخالفه ركبتها ضد القانون
لانى خايف والقانون سيفه ف اديه
تسأل علىّ المخبرين فى أى حين

تسمع وتفهم قصتى الف وبيه
الاسم صابر ع البلا أيوب حمار
شيل الحمول من قسمتى والانتظار
أغرق فى أنهار العرق طول النهار
وألم همى فى المسا وارقد عليه
عرفت ليه ؟!



أحمد الجبيلى



رجاء النقاش



أحمد فؤاد نجم والشيخ إمام

(٣٢)..." جرّب حظك"

تعودت على متابعته عن بُعد وهو يتنقل بين أستديوهات ماسبيرو ليسجل برامجه ولم أتقابل معه وجها لوجه سوى مرة واحدة حين استضفته فى منزلى بولاية فرجينيا أثناء زيارته للولايات المتحدة عام ١٩٨٩ بعد سبع سنوات من خروجه إلى المعاش، رغم أننى تربيت منذ نعومة أظافرى على صوته وبرامجه الإبداعية. كان طاهر أبو زيد حقاً واحداً من أهم رواد جيله، تربع على عرش الميكروفون لأكثر من خمسين عاماً كمبدع متميز وإذاعى قدير.. أجاد فن الإذاعه وحرفية إدارة "الحوار". كان، حين التقيته، لا يزال محتفظا بذلك البريق الذى لازمه طوال حياته العملية بالإذاعة. كان يتحرك معى ومع زوجتى بكل همة ونشاط ونحن نجوب مراكز التسوق لمعاونته فى شراء الهدايا لرفيقة حياته الإذاعية كاميليا الشنوانى. سعد كثيرًا حين علم أننى وزوجتى كنا فى شبابنا من المعجبين ببرنامجه الشهير "جرب حظك" الذى دأب على استضافة شخصيات هامشية من المجتمع ليستخرج منها كنوزا من المواهب والمعرفة، علاوة على استضافته نجوم المجتمع المصرى من الفنانين والشعراء والكتاب والمفكرين، وباتت الكثير من حلقاته الآن بمثابة تسجيلات نادرة مع هؤلاء النجوم. وقد تألق برنامجه هذا فى فترة الخمسينيات والستينيات والسبعينيات من القرن الماضى وكان لبرامجه الأخرى تأثير كبير على المستمعين، مثل "رأى الشعب" الذى قدمه فى الإذاعة أولا ثم انتقل فيما بعد إلى شاشة التلفزيون المصرى، وحقق نجاحًا

كبيرًا، وإن كان هذا النجاح لم يدم طويلا، لأن طاهر أبو زيد نسى أنه يقدم برنامجا حواريا شفافا فى مصر وليس فى واشنطن! وأسدلت جرأته الستار على أول برنامج "جماهيرى" فى تاريخ الإعلام المصرى. قدم كذلك برنامج "الفن الشعبى" الذى لاقى صدى كبيرا وسط الجمهور واكتشف فيه كثيرًا من المواهب التى أصبح لها شأن بعد ذلك فى مجال الفنون، بالإضافة إلى برنامج "مع مجلس الأمة" لنقل ما يدور بداخل البرلمان إلى المستمعين، وبرنامج "أسبوعيات طاهر أبو زيد" الذى كان يقدمه على شبكة البرنامج العام حتى رحيله. كان معظم الحديث الذى دار بيننا، حول مصير اللغة العربية التى كان يحمل لواءها ويدافع عنها باستماتة، وجعلها قضيته الكبرى التى حارب فيها طغيان اللغات الأجنبية على عناوين المتاجر والمشاريع، بل والبرامج الإذاعية والتلفزيونية، وهى القضية التى شغلت مئات المثقفين والكتاب والمبدعين آنذاك. وتبلورت حماسته تلك فى تأسيسه "جمعية حماة اللغة العربية". كان يشقيه تدهور اللغة الفصحى صرفا ونحوا على ألسنة من أسميهم أنا "بأشباه المذيعين"، أولئك الذين تسربوا إلى الميكروفون لمجرد أنهم يشغلون درجة وظيفية فى ماسبيرو، فى وقت توقفت فيه التعيينات وعزّت فيه الدرجات الشاغرة، وبالتالى لم يجتازوا سوى اختبارات داخلية لعبت فيها المحسوبية دورا رئيسيا فى مهنة تستوجب قدرا كبيرا من النزاهة ناهيك عن حلاوة الصوت وإتقان الفصحى ولغة أجنبية واحدة على الأقل والإلمام بثقافة عامة والإحاطة بما يجرى حول العالم من أحداث. حين قرأ طاهر أبو زيد أول نشرة أخبار له عام ١٩٥٠ كنت فى التاسعة من عمرى ولم يدر بخلدى آنذاك أن قراءة النشرات ستكون هى حرفتى فى المستقبل. وكدت أطير فرحا حين أبلغنى هذا العملاق الإذاعى أنه تابع مسيرتى من صوت العرب بالقاهرة إلى صوت أمريكا بجزيرة رودس اليونانية ثم إلى صوت أمريكا فى واشنطن، مشيدا بحرصى الشديد على التمسك بلغة الضاد. أما أنا فقد بهرتنى مسيرته الإعلامية، التى حلمت كثيرًا بأن أمضى على دربها كإذاعى. كما بهرتنى عصاميته. فهذا الإعلامى الفذ، الذى وُلد فى ٥ أبريل عام ١٩٢٢ بمدينة طلخا

بمحافظة الدقهلية، حصل على الثانوية العامة من مدرسة المنصورة الثانوية بتفوق، لكنه لم يكمل تعليمه فى البداية حيث اضطرته الظروف للعمل "مُحضرا" فى المحكمة أثناء الحرب العالمية الثانية، ولكن بمساعدة وتشجيع من رئيس المحكمة استطاع أن يدرس القانون فى كلية الحقوق بجامعة الإسكندرية بعد نقله إلى هناك لإكمال دراسته، وبالفعل أخذ يعمل ويدرس فى الوقت ذاته إلى أن تخرج فى عام ١٩٤٨ وحصل على ليسانس الحقوق. كان طاهر أبو زيد، الذى أحدث ثورة برامجية فى إذاعة الشرق الأوسط أثناء توليه رئاستها من عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٧٢، ظاهرة إعلامية وسط جيل كامل من كبار الإذاعيين من أمثال صفية المهندس، وعواطف البدرى، ومحمد محمود شعبان، وتماضر توفيق، وحسنى الحديدى، وفهمى عمر، وأنور المشرى، وعبد الوهاب يوسف. وفى عام ١٩٧٤ كان أول مذيع مصرى فى إذاعة مونت كارلو، ويعود إليه الفضل فى تأسيس البرامج العربية بها. كان طاهر أبو زيد يحلم مثلنا، عقب القيود التى فُرضت على العمل الإعلامى بعد "ثورة" السادات التصحيحية عام ١٩٧١، بأن تزول هذه الغمة التى ظلت تمسك بتلابيب العمل الإعلامى خلال السنوات الأربعين التالية، ليولد وطن جديد ينعم بالرخاء والاستقرار وحرية الكلمة. ومن المفارقات أن غيّبه الموت فى الرابع من يناير ٢٠١١ عن عمر ناهز ٨٨ عاما، قبل ثلاثة أسابيع فقط من ثورة يناير التى شقت طريقها لتحقيق هذه الأحلام. قال عنه الكاتب الكبير أنيس منصور: "طاهر أبو زيد لمن لا يعرفه نجم نجوم الإذاعة وأخفهم دماً وأشجعهم أيضاً، فهو الذى اكتشف وكشف لنا نجوماً تلمع ربما لا يراها أحد سواه فى الفن والأدب والثقافة والحياة من خلال برنامجه الشهير "جرب حظك" الذى استطاع من خلاله أن يقتحم المشاكل والقضايا ويدق أبواب الخطر ورءوس المسئولين" !



مع طاهر أبو زيد ومحمد حقى فى فرجينيا



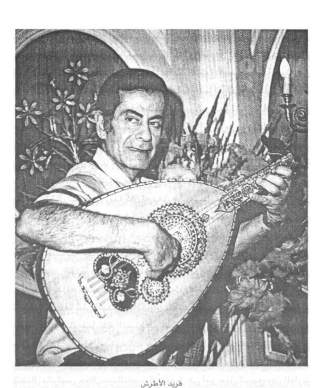
أنا وابنتى هدى مع طاهر أبو زيد أمام بيتنا فى فرجينيا

(٣٣) قيثارة العود والطرب

لا أظن أنه فاتنى أى من ال٣١ فيلما التى أنتجها أو مثَّل فيها فريد الأطرش. ليس من خلال الإعادات التى لا تستغنى عنها الفضائيات العربية لملء ساعات إرسالها، وإنما حين عُرضت فى حينها. فأنا واحد من الجيل الذى تربى على أغانية وأفلامه. فقبل أن يحتل عبد الحليم حافظ الساحة، ليدفع مطربين كبارا مثل محمد عبد الوهاب وفريد الأطرش إلى البقاء فى بيوتهم، كان فريد يتربع على عرش الغناء ويحطم قلوب العذارى ويحمل المراهقين من جيلى على أجنحة اللوعة والشجن والتضرع إلى الحبيب المجهول. لم يكن هناك صوت يعلو على صوت فريد حين كانت تجمعنا "قعدات" الأنس والفرفشة. كنا نتابع أخبار مغامراته العاطفية، تارة مع سامية جمال وتارة مع حسناء المعادى وتارة مع ناريمان التى قيل إن الملك فاروق انتزعها منه. وجسد فريد حكايتها فى فيلم "قصة حبى"، وطلب من مؤلف الأغانى محمود فهمى إبراهيم أن يكتب أغنية فى الفيلم تبدأ باسم "نورا" وهو اسم التدليل لناريمان! وحين كانت تذاع حفلاته فى الراديو، تصبح هذه هى سهرتنا المفضلة ليشنف آذاننا بمواويله الشجيه أو عزفه الرائع على العود. وحين دخلت الإذاعة عام ١٩٦٥ كنت أحلم بلقائه. ولكن، بخلاف غيره من الفنانين كان عزوفا عن دخول الإذاعة. وفى أوائل السبعينيات قررت أن أذهب إليه فى عقر داره لأسجل معه مقابلة لصوت العرب، وإن كان فى تلك الفترة قد انزوى وخفت الأضواء من حوله بعد أن تربع ابن الثورة المصرية

حليم على عرش الغناء، ولجأ فريد إلى بيروت لعله يعيد أمجاد الماضى. لم يكن صعبا الوصول إلى شقته القريبة من كبرى الجامعة على النيل. فقد جابت " عمارة فريد الأطرش" الآفاق فى شهرتها. مثلها مثل عمارة أنور وجدى فى باب اللوق وعمارة إسماعيل يس فى الدقى أو حتى جامع فريد شوقى فى العجوزة الذى أُطلق عليه اسمه رغم أنه لا يملكه وإنما لسكناه بالقرب منه. تقع العمارة ٧٦ فى شارع النيل وهو واحد من أغلى وأرقى شوارع القاهرة. اختار فريد موقعها وبناها عام ١٩٥٤ ولكنه لم يتملكها إلا أربع سنوات فقط، فقد اضطرته ظروفه المالية الصعبة إلى بيعها عام ١٩٥٨ باستثناء الدور العاشر الذى احتفظ به بأكمله كمستأجر بمبلغ ١٠٠ جنيه شهريا، ودمج شقته ليحصل على شقة فسيحة مساحتها ألف متر تضم ١٢ غرفة منها غرفه التلحين، وغرفه السينما، وغرفه الصالون، وغرفه المعيشة، والصاله الشرقية التى أبهرت الكثير ممكن زاروا شقته، وأنا منهم. فتح لى الباب بنفسه مرحّبا لأدخل فى عالمه الشرقى الأصيل الذى زُينت جدرانه بصوره التى لم تخل أى منها من عود يحمله، بل حملت أعواد عدة يبدو أنه احتفظ بها كذكرى لمشوار حياته مع هذه الآلة الشرقية الأصيلة. لم يكن الخوض فى هذا المشوار هو الذى دفعنى للحوار معه، فهو معروف للجميع وظهرت تفاصيله فى حوارات إذاعية وتلفزيونية عدة. بل كنت أود أن أمس حقيقة انزوائه عن الساحه، وهل كان مدبرا، كما قيل، من جهات أمنية أو حتى فنية؟. لا أذكر تفاصيل الأخذ والرد بيننا ولكنى خرجت بانطباع من حديثه أن كل ما جرى له كان بسبب أنه غير مصرى. وقد صدمنى بهذه الفكرة واعترضت عليها تماما، فمصر كانت دوما حاضنة لكل فنانى العرب، دون أن تشعر بأنهم غرباء عنها، لا سيما وأن معظمهم كان ولا يزال يتحدث اللهجة المصرية بكل طلاقة. ينطبق ذلك على صباح وبشارة واكيم ونجاح سلام وعبد السلام النابلسى ونور الهدى وسعاد محمد وغيرهم كثيرون مثلما ينطبق على فريد الأطرش نفسه. ولكنه تصور أن هذا هو السبب الذى جعل فنانة كبيرة مثل أم كلثوم ترفض أن تغنى من ألحانه. هذا ما جاء على لسانه بالضبط: " لماذا تمضى

السنون وألحانى بعيدة عن أم كلثوم ؟..سؤال نغص على حياتى، وأبعد الكرى عن جفنى وجعلنى فى دوامة من العصبية والثورة والانفعال... كلما كانت تطل أم كلثوم بأغنية جديدة..لماذا... وأنا الذى سكبت مئات الألحان... كيف أعيش فى عصر أم كلثوم ولا ألحن لهذه الهبة السماوية ؟..فهؤلاء الذين يلحنون أغانيها باستثناء عبد الوهاب، ليسوا أهم شأنا منى وليس لهم تاريخ حافل بالأنغام كتاريخى". الشاعر الغنائى مأمون الشناوى ذكر أنه عرض الرائعتين "الربيع" و"أول همسة" بداية على أم كلثوم قبل أن ترفضهما بأدب ثم يغنيهما فريد. ويذهب البعض، دون سند حقيقى، إلى أن صراع أسمهان وأم كلثوم فى نهاية الثلاثينات وبداية الأربعينيات على عرش الغناء وإقحام اسم أم كلثوم فى المشتبه فيهم فى مقتل أسمهان، ربما كان له دخل فى إفشال هذا التعاون. وهناك من يشى بالفعل بأن أم كلثوم لم تتعامل مع فريد لأنه غير مصرى، مع أنها تعاملت مع ملحن واحد غير مصرى هو فريد غصن. ومن المفارقات أنه أستاذ فريد الأطرش، حيث بدأ حياته عازفا على العود فى فرقته. وربما ما يؤكد وجهة نظر فريد أن عبد الحليم نفسه لم يشأ الغناء من ألحانه رغم أن الموسيقار الكبير عرض ذلك عليه علانية ولم يرفض حليم ذلك علانية أيضا، وقت أن كانت المنافسة بينهما على أشدها. وأذكر أن مطرب الربيع الذى سافر إلى بيروت وانقطع عن إحياء حفل شم النسيم فى مصر لسنوات، عاد ليجد أن حليم قد احتل مكانه فى أواخر الستينيات، وسوف يقوم بالغناء ليلة شم النسيم على مسرح قصر النيل الذى اعتاد هو أن يغنّى عليه، مما دفع فريد الأطرش إلى الاتصال بالرئيس جمال عبدالناصر كىّ يفصل فى أمر حفل الربيع، بين المطرب ابن ثورة ٥٢ المدلل الذى طالما غنى فى احتفالاتها، وبين المطرب المفضل عنده وعند زوجته السيدة تحية. وجاء القرار الرئاسى منصفًا تمامًا لفريد، حيث أمر بأن يقام حفل فريد فى مسرح قصر النيل، بينما يقام حفل حليم فى سينما ريفولى، ويبث التليفزيون والإذاعة حفل فريد الذى غنى فيه ملحميته "الربيع" على الهواء مباشرة، بينما يبث حفل حليم مُسجلاً فى اليوم التالى!



فريد الأطرش

(٣٤) ثورة التصحيح والصوت النسائى فى نشرة الأخبار!

شاء القدر أن يكون لى دور فى ثورة السادات التصحيحية يوم ١٥ مايو ١٩٧١. كان من المفروض فى هذا اليوم أن أقرأ نشرة الساعة الثامنة مساء بصوت العرب. وبصفتى كبيرا للمذيعين قمت بإجراء تعديل بأن يتولى الزميل على سعفان قراءة تلك النشرة بدلا عنى لرغبتى فى مشاهدة فيلم جديد بسينما قصر النيل فى حفلة من ٦-٩. ووفق جدول المذيعين كان من المفروض أن يقرأ نشرة العاشرة والنصف مساء مذيع مبتدئ اسمه هانى خلاف (هو الآن السفير السابق هانى خلاف). وحين عدت من السينما سمعت كبير المذيعين السابق أحمد حمزة وهو يقرأ النشرة بدلا عنه، وكان فى إجازة من عمله كمراسل لصوت العرب فى الخرطوم. فاتصلت بهانى الذى أبلغنى أن حمزة قرأ النشرة بناء على أمر من مدير صوت العرب محمد عروق. فلم أتوقف كثيرًا عند ذلك، على اعتبار أنه تكليف عادى. وذهبت إلى النوم لأصحو فى الصباح على تليفون من سعد زغلول نصار بأن أتوجه إلى الإذاعة فورا. وحين التقيت به أبلغنى، وقد جلس فى مقعد مدير صوت العرب، بأنه يتولى الإدارة الآن بعد أن كادت الإذاعة بل والبلاد تتعرض لمؤامرة لقلب نظام الحكم! ففى مساء اليوم السابق جاءت نشرة الثامنة مساء التى كان من المفروض أن أقرأها، محملة باستقالات جماعية من أعضاء الوزارة بهدف إحراج السادات وإرغامه على الاستقالة. وكان السادات قد استبق حملة من عُرفوا بمراكز القوى وقبل استقالاتهم وفضح أمرهم فى خطاب بالإذاعة والتلفزيون وتم

نقل جميع المذيعين الذين كانت لهم صلة بوزير الداخلية على صبرى والمعهد الاشتراكى للعمل بهيئة البريد. ولم يبق من المذيعين لتغطية ٢١,٥ ساعة إرسال سواى وعلى سعفان. وطلب منى المدير الجديد سعد زغلول أن أسد النقص بأى طريقة. وطرحت عليه فكرتين وافق عليهما فورا. الأولى الاستعانة بمذيعات وكسر الحظر الذى كان مفروضا فى صوت العرب على قراءة النشرة بصوت نسائى. فأصبح لدينا ثلاث من أفضل من قرأن النشرة فى صوت العرب: مرفت رجب، وأمانى كامل، ونادية حلمى. الثانية نقل بعض المذيعين من أصحاب الأصوات المتميزة الذين يعملون بالإذاعات الموجهة إلى صوت العرب، وكنت على معرفة بهم بحكم برنامجى "ساعة مع خمسين إذاعة"، فاخترت من بينهم محمود سلطان ومحمد الشناوى، اللذين أثبتا أنهما من أفضل مذيعى صوت العرب صوتا وكفاءة والتزاما. ثم انضم إلينا وفيق مازن الذى كان يعمل بالبرامج، ومصطفى لبيب من إذاعة الشعب. وهكذا اعتدل الميزان فى استوديو الهواء، لكنه لم يعتدل خارج الأستديو. ففى صباح اليوم التالى مُنعت من دخول المبنى بحجة أننى فى إجازة مفتوحة. وعلمت بعد ذلك أن تعديل قراءة نشرة الثامنة المشئومة بينى وبين سعفان، هو الذى وضعنى على القائمة السوداء. بيد أننى أصررت على مقابلة مدير الأمن بالمبنى الرائد صلاح، الذى اعتذر لى عن هذا الخطأ، وأبلغنى بأن ملفى الشخصى ليس به ما يشير إلى انتمائى إلى مجموعة المعهد الاشتراكى الضالعة فى المؤامرة. واصطحبنى فى سيارته إلى المحامى العام وتناقش معه بدونى ثم عاد بى إلى ماسبيرو. وهناك طلب منى سعد زغلول أن أعود فورا إلى مكتبى وأمارس عملى. علمت بعد ذلك أن جميع زملائى فى صوت العرب هددوا بالتوقف عن العمل قائلين إنه إذا كان عباس متولى "سيؤخذ فى الرجلين" فمعنى ذلك أننا جميعا معرضون لذلك. وكان هذا الموقف النبيل من الزملاء والزميلات هو ما دفع سعد زغلول إلى إطلاع الوزير عبد القادر حاتم على الوضع، فأمر بدوره أن أعود إلى عملى. نعم عدت معززا مكرما إلى وظيفتى. ولكن الجرح ظل غائرا والشعور بالتهديد فى الرزق لم يفارقنى إلى أن فكرت لأول مرة فى ترك البلاد، وحانت الفرصة وبدأت رحلة الطائر المهاجر فى إبريل ١٩٧٥.



مرفت رجب

(٣٥) سعد زغلول نصار.. الإعلامى الموسوعى

حين التحقت بصوت العرب فى يونيو ١٩٦٥ كان جدول تدريبى يقتضى أن أمضى فترة مؤقتة فى مختلف مراقبات الإذاعة، وهى المنوعات والتمثيلية والعقائدية والثقافية. وقد استمتعت واستفدت كثيرًا من هذه الجولة. ورغم أننى ارتبطت فى نهاية المطاف بمراقبة المنوعات، فقد كان تأثير المراقبة الثقافية على أعمالى الإذاعية التالية أعمق. فهناك لمست عن قرب كيف يعمل مراقب البرامج الثقافية الأستاذ سعد زغلول نصار وحوله باقة رائعة من كبار الإذاعيين تضم عبد الوهاب قتاية، وصلاح عويس، محمد الخولى، وفؤاد فهمى فى تناغم رائع وتنافس راق. لم يكن سعد زغلول مذيعا عاديا. فعلاوة على حلاوة صوته وطلاوة لغته العربية الرصينة، كان مثقفا واعيا وقارئا عميقا ومؤلفا له باع طويلة ومترجما من الطراز الأول رغم أنه تخرج فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية عام ١٩٥١. لم أر سعد زغلول يومًا إلا وهو منكب على كتابة تعليق أو برنامج أو ترجمة كتاب، وكثيرًا هى تلك النوادر التى كانت تُحكى عنه حين كان مذيعا فى أستديو الهواء. فقد كان مشغولا دائما بعمل ما غير تقديم الفقرات بالأستديو، ولعل أشهر تلك الحكايات حين كان عليه أن يقدم أغنية نجاة الصغيرة "آه بحبه" فقرأها، بسبب تشتت ذهنه، "أغنية ٥١ بحبه" على أساس التشابه بين الهاء المربوطة ورقم خمسة! كذلك قوله " هنا الآخرة" بدلا من " هنا

القاهرة"، وهى النادرة التى حفزت ابنه حسام على كتابة قصيدة بعنوان "هنا القاهرة":

هنا القاهرة
بلا ذاكرة
وأذكر أنى فقدت التذكَر بالناصرة
وأغمضت عينيك.. قم يا أبى
وبدّد بصوتك صمت الأثير
هنا الآخرة
صرعت وليدك فلنسمها
هنا القاهرة
لقد عاودتنى هنا الذاكرة
تعال لنشرب نخب اللقاء
ونكسر خبزا على الطاولات
فحانات تلك المدينة الحزينة..
تبيع السكينة للأتقياء
فقم يا أبى
وقل للسكارى لم جئت بى
فهاهم أمامك..هم من تبقى بليل الخميس
قيام نيام على المائدة
بلا ذاكرة
بلا قاهرة
أراك الغداة..
فإنى نويت الرحيل وعندى من الذاكرة
بقايا بكأس وخبز قديم..
إلى الناصرة
إلى الناصرة

فى ١٥ مايو عام ١٩٧١، بعد أحداث الثورة التصحيحية التى قادها الرئيس أنور السادات، وأُعفى بسببها مدير صوت العرب آنذاك محمد عروق، عُين سعد زغلول نصار فى منصب المدير ليصبح رئيس صوت العرب رقم أربعة بعد أحمد سعيد ويحيى أبو بكر ومحمد عروق. وصرت أكثر التصاقا بالمدير الجديد بحكم منصبى ككبير للمذيعين، حيث كانت مشاكل المذيعين والمواد المذاعة على الهواء تتدفق عليه ويستدعينى لمناقشتها. كان عيبه الوحيد أنه كان مديرا طيبا إلى أبعد الحدود لا يخذل أحدا ولا يدعه يخرج من مكتبه مكسور الخاطر. وكانت هذه مشكلة عويصة بالنسبة لى. فأى قرار أتخذه ضد زميل ما لسبب ما يوافقنى عليه فورا، فإذا دخل إليه ذلك الزميل شاكيا خرج من عنده وقد ألغى القرار السابق! لم يكن مستعدا مطلقا لجعل أى قضية أو شكوى تعكر صفوه وهو مستغرق فى عمل إذاعى أو إبداعى ما، كمشاركته فى كتابة مئات الحلقات مع زملاء " صوت العرب " من برنامج " حوار مع مستمع " أو برنامج "قرأت لك"، أو كتابة تعليقاته السياسية، أو إعداد برنامجه الأسبوعى " من القلب للقلب ". أما اليوم الذى دخلت إليه أنا شخصيا شاكيا فلم تكن الشكوى من زميل، وإنما من ورطة وضعنى فيها شخص غامض طرق باب شقتى، وبعد مقدمة طويلة أشاد فيها بنزاهتى وكفاءتى ووطنيتى إذا به يطلب منى صراحة أن أكتب تقارير عن زملائى فى العمل الذين أرى أنهم يعارضون النظام أو يعملون ضده. لم يشأ أن يبلغنى عمن رشحنى لهذه المهمة التى كنت أسمع أن بعض الزملاء الذين باعوا ضمائرهم كانوا يؤدونها مقابل راتب شهرى، لا سيما بعد أن فقد الرئيس السادات الثقة فى الإذاعة إثر محاولة الانقلاب عليه من قبل من وصفهم بمراكز القوى وفى مقدمتهم وزير الداخلية آنذاك شعراوى جمعة، والذى كان مدير صوت العرب السابق محمد عروق مستشارا له. ولطالما ردد السادات جملته الاستغرابية الاستنكارية الشديدة: "الإذاعة محاصرة؟!!". وعدت الرجل أن أفكر فى الأمر رغم أننى قطعت لحظتها على نفسى عهدا بألا أتحول إلى أداة فى يد النظام ضد زملائى. كل ما كان يشغلنى هو أن أعرف من الذى رشحنى لهذه المهمة البغيضة، فهو الوحيد القادر على سحب ترشيحه. تصورت فورا أنه ربما كان سعد زغلول شخصيا، نتيجة ما

تعرض له من ضغوط من مؤسسة الرئاسة للحيلولة دون تكرار سيناريو ١٥ مايو. فدخلت إليه في ذلك اليوم وأفضت له بكل ما حدث، وطلبت منه النصيحة، بعد أن أبلغته في الوقت نفسه أنني لو قمت بهذه المهمة فسوف أفضح نفسي بنفسي لأنه "ما يتبلش فى بقى فوله!" ولا أستطيع الكتمان بحكم طبيعتي. لم يكن مندهشا لما قلت وطلب مني أن أتجاهل الأمر تماماً، طالما أنه ضد رغبتي. كان سعد زغلول نصار، كمعظمنا، مؤمنا بجمال عبد الناصر ورسالته القومية، وأسهم في دعم هذه الرسالة بعرض أربعة كتب أجنبية عن القائد والثورة: كتاب "الرئيس" تأليف الكاتب الأمريكي روبرت سان جون، وكتاب " الجيش المصري في السياسة "، للكاتب الأمريكي ب. جـ. فاتيكيوتيس، والنسخة الإنجليزية من كتاب " مصر في انتقال " : للكاتبين الزوجين الفرنسيين جان وسيمون لاكوتير، وكتاب" الإصلاح الزراعي وتطوير الأرض " للكاتبة الإنجليزية دورين وارينر. غير أنه صار بحكم منصبه الجديد من أقوى المدافعين عن الرئيس السادات، ومع ذلك لم أفقد احترامي أو حبي لهذا الإذاعي والمثقف الفذ. يقول المحامي القدير الأستاذ رجائي عطية، وهو بالمناسبة شقيق زوجة سعد زغلول نصار، في مقال له تحت عنوان " رسالة الإذاعة والمشروع القومي":

" في صوت العرب عاش الأديب الإذاعي الموسوعي سعد زغلول نصار معظم عمره الإذاعي قائماً برسالته، مؤمناً حتى النخاع بالمشروع القومي.. عالجه كما رأينا في الدراما التليفزيونية : " رباعية مصرية "، وفي تمثيلية " مصر المحروسة "، وفي المسلسل الإذاعي" الثورة المضادة "، وفي التأليف المسرحي بمسرحية : " ولادك يا مصر "، وتبناه أيضاً في المقالات المباشرة، وفي دراسته عن ثورة يوليو التي نشرت بالمساء الأسبوعي (١٩٦٣)".

ومن أبرز أعمال سعد زغلول نصار أيضا " قصة حياة كامل الشناوي" التي قال عنها الشاعر والإذاعي الكبير فاروق شوشة في مقال له في ٩ نوفمبر ٢٠١٤:

" القصة كتبها للإذاعة الأديب الإذاعي الموسوعي سعد زغلول نصار في ثلاثين حلقة درامية عن الشاعر والصحفي الكبير كامل الشناوي، وأتيح لها أن تظهر منشورة في كتاب قدم له الكاتب الكبير ورجل المحاماة القدير رجائي عطية

بمقدمة ضافية عن الإذاعي الكبير، صاحب المواهب المتعددة، والآثار الباقية في مجالات الأدب والفن والتأليف الدرامي والمسرحي والنقد والترجمة، بالإضافة إلى عطائه الإذاعي والتليفزيوني على مدار حياته الثرية كاتبا إذاعيًا وتلفزيونيًا".

لم يقتحم سعد زغلول نصار التلفزيون بأعماله الدرامية فقط، ولكنه كان أول مذيع يُنتدب من الإذاعة ليقرأ نشرة الأخبار بالتلفزيون، وتلاه بعد ذلك زميلا صوت العرب محمود سلطان ومصطفى لبيب. وحينما سألني بعض الزملاء لماذا لم أنضم إلى قُراء نشرات التلفزيون تذرعت بأنني لو صرت وجها معروفا لن أتمكن من ركوب الأوتوبيس، والمرتب لا يكفي التاكسيات! وكانت في الواقع حجة واهية، فالحقيقة أنني كنت أهاب الوقوف أمام الكاميرا، وهي رهبة تخلصت منها في أمريكا حيث وقفت أمام الكاميرا مراسلا ومقدما لمئات الحلقات من البرامج الحوارية التلفزيونية.

ترك سعد زغلول نصار الإذاعة بعد أن غادرتها بعام واحد. ففي عام ١٩٧٦ تم تعيينه مديراً لإدارة الإعلام برئاسة الجمهورية، وكان قد نال قبلها بعامين وسام الجمهورية من الطبقة الأولى. وقد التقيته في منصبه الجديد في واشنطن عام ١٩٧٨ حين كان يرافق السادات في مراسم التوقيع على اتفاقيات كامب ديفيد. وبعد وفاته عام ١٩٩٢ حصل على جائزة الرواد من اتحاد الإذاعة والتلفزيون. لقد كان من حسن حظي أن عملت مع هذا الإذاعي الكبير. ورغم أنه كان يشجع المواهب الإذاعية الشابة ويتيح لها فرصة التقدم، كان في الوقت نفسه يرى - صدقا أو مجاملة - أن جيلي هم آخر المذيعين المحترمين، وكان يشبهنا دائما بالفيلم الكوميدي "هؤلاء الرجال العظام وآلاتهم الطائرة"!



رجائي عطية



فاروق شوشة



سعد زغلول نصار

(٣٦) الإذاعة وحرب أكتوبر

لسوء الحظ كنت بعيدا عن أرض الوطن عند وقوع نكسة يونيو ١٩٦٧. فقد تلقيت صدمتها المروعة وأنا فى مدينة تعز باليمن، وكان بالتالى وقعها أشد على نفسى، وإن كنت قد حولت حزنى وغضبى إلى موجة من النشاط فربطت إرسال صوت العرب بإرسال مدينة تعز حيث خرج سكانها نساء ورجالا.. أطفالا وشيوخا عن بكرة أبيهم وهم يرددون بأعلى الصوت كلمة واحدة: ناصر.. ناصر.. ناصر بعد أن أعلن الزعيم المكلوم تنحيه عن السلطة. ومن حسن الحظ أننى كنت حاضرا فى صوت العرب حين اندلعت حرب أكتوبر فى الساعة الثانية بعد الظهر من يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣، حين أُذيع البلاغ العسكرى رقم ١ بصوت الزميل عبد الوهاب محمود الذى كان مذيع الأستديو بالبرنامج العام. وكانت من أعظم التجارب الإذاعية، لاسيما وقد تعلم الإعلام المصرى الدرس من تجربة إعلام ٦٧ التى قامت على التهويل بانتصارات اتضح فيما بعد أنها وهمية. فقد جاءتنا تعليمات بعدم اللجوء إلى الخطابة أو الإثارة أو الحماس عند إعلان البيانات العسكرية، تفاديا لكل أخطاء إعلام ١٩٦٧، حيث هناك فجوة عدم ثقة بين الشعب وأجهزة الإعلام سببها فقدان مصداقية الحكومة وجهازها الإعلامى. ورغم أن الإذاعى الكبير أحمد سعيد مدير صوت العرب تحمل القدر الأكبر من المسئولية عن البيانات العسكرية المغلوطة، فإن الرجل كان يقرأ ما يرده من إدارة الشئون المعنوية للقوات المسلحة دون تغيير حرف بها. من هنا كان دستور الإذاعة والإعلام

فى عام ١٩٧٣ هو الصدق والسرعة فى نقل الخبر، بحيث يسمع المواطن المصرى أول خبر عن أحداث الحرب بسرعة من مصادر الإعلام المصرية. لدرجة أن الباحث الأمريكى المتخصص فى الاتصال السياسى جوليان هيل، ذهب إلى أنه فى أكتوبر ١٩٧٣، استطاع صوت العرب أن ينحى جانبا تجربة ١٩٦٧، فتحاشى اللجوء إلى الأسلوب الهستيرى وتميزت أساليبه بالنضج. وأسهم، من ثم، خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ فى تنفيذ الخطة الإعلامية المصرية التى قامت على مبادئ أساسية من أهمها:

١- حق المواطن فى المعرفة كما هو منصوص عليه فى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان.

٢- إطلاق حرية الصحافة ورفع الرقابة عنها لتصبح أداة فعالة فى خدمة الشعب.

٣- حق المواطن فى أن يعرف عدوه، ومن ثم قضت الخطة الإعلامية بالإفراج عن الكتب الخاصة بإسرائيل تحت شعار "اعرف عدوك".

٤- ابتعاد الإعلام عن الحملات الانفعالية والتزام الموضوعية التامة.

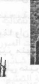
لم أصدق نفسى وأنا أقرأ بيانات العبور وما تلاها من تحطيم خط بارليف، إذ لم تكن هناك أى إشارات أو حتى شائعات داخل أروقة ماسبيرو بأننا سوف نحارب. وكان هذا جزءا من خطة التعتيم، التى وضعها الدكتور محمد عبدالقادر حاتم نائب رئيس الوزراء ووزير الإعلام آنذاك. ويقول الدكتور حاتم فى كتابه "دور الإعلام فى تحقيق المفاجأة الاستراتيجية": " جمعت رجال الإذاعة والتليفزيون الساعة ١٢ ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣. وكان البيان الأول قد أُعد فى قيادة القوات المسلحة. وطلبت من المذيعين عمل بروفة لإذاعة البيان. ووضعت الخطوط الرئيسية فى هذه الخطة. على أساس أنه لا خطابة ولا إثارة ولا حماس بالنسبة لكل البيانات العسكرية. فالإعلام هو لنقل الأخبار. وليس من عمله صنع الأخبار - ومن المهم أن يتفادى الإعلام كل أخطاء إعلام ١٩٦٧. وأن

تقتصر إذاعة البيانات على المذيعين فقط ولا داعى لأن تقوم المذيعات بالإذاعة خشية الانفعال. خصوصا وقد تقع أحداث ليس بها انتصارات فيصعب عليهن التحكم فى مشاعرهن. وقد سمحت بإذاعة المذيعات للبيانات بعد يوم ١٠ أكتوبر بعد أن تحقق النصر".

وقد أشار الجنرال إيلى زعيرا رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية عام ١٩٧٣ فى كتابه " يوم الغفران" إلى أن " كل موضوعات الإعلام المصرى كانت حملة خداع من جانب الرئيس أنور السادات أو شخص ما بجواره. وأن ذلك ليعتبر أكبر نجاح لمصر فى حرب يوم الغفران".

ورغم احترامى الشديد لما ذكره الدكتور حاتم، فإن مذيعات صوت العرب، نادية حلمى وأمانى كامل ومرفت رجب لم يتوقفن منذ اليوم الأول عن إذاعة البيانات العسكرية أثناء الحرب. ربما طُبق ذلك فى البرنامج العام والتلفزيون والمحطات الأخرى. ولا أعتقد أن صوت العرب فرّط ولو لمدة محدودة فى المكتسب الذى حققه بالسماح للصوت النسائى بقراءة نشرات الأخبار لأول مرة فى تاريخه بعد ثورة السادات التصحيحية فى مايو ١٩٧١، بل زاد عددهن بانضمام زينب عبد الرحمن إليهن، لا سيما وأن عدد مذيعى النشرات فى صوت العرب كان قد تقلص بعد نقل عدد كبير منهم إلى مؤسسات أخرى بدعوى انتمائهم للتنظيم الطليعى بزعامة على صبرى الذى حاول الانقلاب على السادات. ومثلما اختلفت اللهجة الإعلامية من ٦٧ إلى ٧٣، كذلك اختلفت معانى الأغنيات التى سجلها لهذه المناسبة كبار الفنانين الذين توافدوا من تلقاء أنفسهم إلى أستديوهات الإذاعة. وفيما رواه لى الزميل الراحل وجدى الحكيم، الذى كان مسئولا عن مراقبة الموسيقى والغناء، أنه مع الساعات الأولى لعبور قواتنا المسلحة صدرت أوامر بعدم تسجيل أى أغان جديدة لأن كل موارد الدولة كانت مخصصة للمعركة وأن يتم اختيار الأغانى الوطنية المسجلة والتى تناسب إذاعة البيانات العسكرية مثل أغنية محمد فوزى "بلدى أحببتك يا بلدى" ثم أغنية «الله أكبر فوق كيد المعتدى». غير أن وردة الجزائرية جاءت لماسبيرو فى مساء ٦

أكتوبر ومعها الموسيقار بليغ حمدى والشاعر الغنائى عبدالرحيم منصور ومعهم أول أغنيتين عن العبور هما "بسم الله - الله أكبر - بسم الله" وأغنية "على الربابة بغنى". وقد تنازل الجميع عن أجورهم فيهما. وبمجرد إذاعة الأغنيتين تدفقت جموع الفنانين على مبنى الإذاعة لتسجيل أغان تعبر عن فرحتهم بالعبور فغنى عبد الحليم حافظ فى بداية العبور "لفى البلاد يا صبية" ثم "عاش اللى قال" حيث كان الكورس يردد "عاش السادات" وإذا بالرئيس السادات يمنع إذاعة الأغنية لاعتراضه على وجود اسمه فيها وطلب من عبدالحليم حافظ إما حذف اسمه أو ذكر جميع الزعماء العرب الذين شاركوا فى العبور. وبالفعل أعاد حليم تسجيل الأغنية بدون ذكر أى أسماء! وعزا وجدى الحكيم أسباب نجاح أغانى أكتوبر إلى أن الأغنية الوطنية هى فى الأساس ابنة الإعلام الرسمى ولولا وجود الإذاعة التى كانت دومًا تفتح أبوابها لكل المطربين المصريين والعرب، لما نجحت أغانى أكتوبر وغيرها.





عبد الوهاب محمود   وأول بيان للعبور يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣

(٣٧) صبرى سلامة...عمدة الإذاعيين

تربيت حتى قبل أن أفكر فى دخول المجال الإذاعى، على صوت العملاق صبرى سلامة بنبراته القوية ونطقه السليم وتركيزه على مخارج الألفاظ ولغته العربية الرائعة التى تحببك فى لغتنا الجميلة. كان صبرى سلامة واحدا من ثلاثة أقطاب إذاعيين طالما روجوا ونشروا وعززوا لغتنا العربية ودافعوا عنها. فهو إلى جانب طاهر أبو زيد وفاروق شوشة، كونوا ثلاثية الحفاظ على اللغة العربية، وربما ساعدونى شخصيا على نحو غير مباشر فى التغلب على عائق اللغة أمام خريج مثلى من قسم اللغة الإنجليزية، كانت تُدرس فيه اللغة العربية كلغة ثانية. وقد طبقت بالفعل نصيحة السيدة العظيمة الدكتورة نور شريف رئيسة قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، فى سنتنا الأولى بالكلية: من يريد أن يتقن لغة ما، مثل الإنجليزية، عليه أن يفكر بالإنجليزية، ويستمع إلى حوارات وأغان بالانجليزية، ويقرأ صحفا وكتبا الإنجليزية بل ويحلم بالإنجليزية! كان هذا ما طبقته، عربيا، حين شاءت الظروف أن أُعين مذيعا بصوت العرب عام ١٩٦٥، فصرت أفكر بالعربية وأقرأ كتب التراث العربى وفوق هذا وذاك عودت أذنى ألا تسمع سوى الأصوات المتقنة للغة الضاد، وفى مقدمتها صوت صبرى سلامة. وحتى بعد أن دخلت الإذاعة، صرت متابعا جيدا لبرنامج "لغتنا الجميلة" لفاروق شوشة و" أسبوعيات" طاهر أبو زيد و"قطوف الأدب من كلام العرب" لصبرى سلامة. لم يكن صبرى سلامة الحاصل على ليسانس الحقوق عام ١٩٥٦، مجرد

موظف حين التحق بالإذاعة عام ١٩٥٧ وتنقل بين مناصب مدير إدارة البرامج الثقافية والدرامية بالشبكة التجارية، وكبير المذيعين بالشبكة الرئيسية، ومدير إدارة التدريب الإذاعى، ومسئول عن الإذاعات الخارجية، وقارئ لنشرات الأخبار بالشبكة الرئيسية بجانب عمله كمدير عام التدريب العملى، ثم نائب رئيس التدريب العملى. فقد استطاع أن يجمع حوله فى هذه الرحلة الوظيفة ما يشبه الحواريين والمريدين والمعجبين من الأجيال الإذاعية الشابة، وأنا منهم. كان الملتقى شبه يومى فى استراحة المذيعين حيث نلتف حول هذا الصرح الإذاعى نستمتع بحكاويه ونوادره ونتصت لقفشاته ومداعباته، فقد كان يتمتع بروح الدعابة وخفة الدم، إلى جوار السخرية اللاذعة. وكنا أحيانا نقبل عن طيب خاطر انتقاداته لأداء البعض منا، ناهيك عن حكاياته الأدبية واهتمامه غير العادى بالتراث اللغوى والإسلامى. تجلى ذلك فى أعماله الدرامية للإذاعة والتلفزيون، حيث أعد الجزء الخامس من مسلسل "محمد رسول الله"، والمسلسل التلفزيونى "على باب زويلة" (٦٠ حلقة)، والمسلسل التلفزيونى "ابن عروس" (٣٠ حلقة)، فضلاً عن "سهرات" عن: رابعة العدوية، وخباب بن الأرت، والقديسة دميانة وغيرها. لم يكتف صبرى سلامة بحصيلته الثقافية، فكان عضوًا باتحاد الكتاب، وعضوًا بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وعضوًا بالمجالس القومية المتخصصة. كما حاضر فى كلية الإعلام (جامعة القاهرة) وأقسام الإعلام بكليات ومعاهد أخرى. بيد أن عمله كمذيع للنشرات الأخبارية وتغطية الإذاعات الخارجية يظل هو موطن قوته الحقيقى. وشاءت الظروف التاريخية أن يرتبط بالرئيس أنور السادات على نفس قدر ارتباط المذيع اللامع الآخر جلال معوض بالرئيس جمال عبد الناصر. فصار مرافقا له فى جولاته الداخلية وزياراته الخارجية، ومنها زيارة السادات للولايات المتحدة عام ١٩٧٨ للتوقيع على اتفاقية كامب ديفيد وزيارته للعاصمة الأمريكية عام ١٩٨٠ لمتابعة مفاوضات الحكم الذاتى التى تمخضت عنها معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية. وقد استقبلت فى الزيارة الأولى صبرى سلامة برفقة رئيسة الأخبار آمال يوسف والأستاذ سعد زغلول

نصار الذى كان آنذاك مستشارا إعلاميا للرئيس السادات، ثم استقبلته مرة أخرى فى الزيارة الثانية عام ١٩٨٠ برفقة أم الإذاعيين ورئيس الإذاعة آنذاك الأستاذة صفية المهندس، ابنة اللغوى زكى المهندس وشقيقة الفنان فؤاد المهندس. وقد استمتعنا، مع لفيف من الإذاعيين فى واشنطن، بجلسات وسهرات مطولة خلال هاتين الزيارتين مع هذه النخبة من أقطاب الإذاعة التى تعلمنا منها الكثير. وكان صبرى سلامة قد أصبح من المقربين للسادات لا سيما منذ ألقى بصوته بيان العبور فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣. فرغم أن الزميل عبد الوهاب محمود هو أول من قرأ هذا البيان من أستديو الهواء دون أن يتم تسجيله، فإن قراءة صبرى سلامة له باتت النسخة المسجلة المعتمدة التى تم ترديدها خلال ذلك العام والاستعانة بها فى كل برامج المناسبات التالية عن حرب أكتوبر. ولعل ارتباطه بهذا الانتصار المجيد هو الذى أيقظ فيه موهبته الشعرية التى لم تكن فى بؤرة رسالته الثقافية، فصاغ قصيدته الرائعة " عبرنا":

عَبَرنا وبعد الإباء النبيلِ وبعد الصمود رفعنا العلمْ

وبعد نضالٍ سخا فى العطاء ودقّتْ نداءاته فى الأمم

وبعد هتافٍ بحق الحياة أثار الدماءَ، وأذكى الهمم

وبعد زئيرٍ أقضَّ منامَ عدوٍّ بغى واستباح الحرم

وبعد انتصارٍ على كل صعبٍ على المستحيل، وفوق الألم

عبَرنا عبورَ الكرام الأباةِ على المهلكات ورغم الحُمم ولم يأبهوا بسدود العدم

وفرَّ العدو فِرار النعام يهرول بين حطامٍ ودم

وعاد لسيناءَ أنسُ الحياةِ وكبّر للنصر ركن الحرم

فأين الشعار الذى ردّدوه بأن لوا جيشهم ما انهزم؟

وأين الضجيجُ بأن العصابةَ قامت لتبقى ولا تنهزم؟

وأين الأراجيفُ والمرجفونَ وأين المعدات كيفًا وكم؟

سلوا أرضَ سيناءَ أين الخطوطُ وأين الجيوش كسيل العرم؟

تدفّق من كل ركنٍ قصيُّ تنادى تعالوا لأرض النعم

ولم تدر أن بأرض السويس أسوداً لأعراضها تنتقم
وتأبى الحياةَ بظل الهوانِ وتَنْفر من كل ذلٍّ وضيم
وتهدى القلوب فدى للعرين وإيمانها ثابت كالعلم
وتهتف يا مرحباً بالحياة وتلقى الصعاب كطود أشم
وترسى قواعدَ مجد عريقٍ متين دعائمه كالهرم
وتفرض ما ترتضى أن يكونَ وترفع راياتها للقمم

كانت زيارة ١٩٨٠ هى المرة الأخيرة التى أرى فيها صبرى سلامة، وانقطعت عنى أخباره. وحين سألت زوجته السيدة سهام البدرى أثناء زيارتها لواشنطن عام ١٩٨٦، أبلغتنى بأن صبرى إثر خروجه على المعاش عام ١٩٨٥ دخل فى حالة من الاكتئاب النفسى بعد أن فارق بيته الحقيقى فى ماسبيرو، ولكننى شجعته، والكلام للسيدة سهام، على أن الحياة بعد المعاش لا تزال أرحب وأنه إذا توقف عن الإذاعة فإن قلمه لن يتوقف عن الكتابة للإذاعة والتلفزيون. ولكن قلمه توقف بالفعل حين وافقته المنية يوم ٥ إبريل عام ١٩٩٤!



زوجتى مع صبرى سلامة وآمال يوسف وسعد زغلول نصار فى بيتنا بفرجينيا ١٩٧٨



مع صبري سلامة وصفية المهندس في بيتنا بفيرجينيا ١٩٨٠

(٣٨) ثورة التصحيح وتوابعها

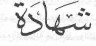
لم أفكر يومًا في ترك مصر والعمل خارج حدودها. حقا كان هناك كثيرون من الزملاء الإذاعيين الذين آثروا أن يغيروا مهنتهم ويعملوا بالتدريس فى دول الخليج لتحسين مستوى معيشتهم. أما أنا فقد كان لى موقف من مسألة بيع عدة سنين عدة من عمرى فى بلاد حارة تفتقد إلى الحياة الفنية والثقافية التى كنت أحياها فى القاهرة فى سبيل حفنة دولارات. كانت حالتى المادية لا بأس بها لا سيما وأن دخل زوجتى "فاطمة عمارة" من التمثيل دائما ما كان يعدل الميزان المائل. وحيث إن الهجرة من الوطن تكون عادة مدفوعة إما بعوامل الجذب أو، كانت عوامل استمرارى فى العمل بصوت العرب أقوى. فقد أُتيحت لى فرص ربما لم تتح لأحد من قبل. فكنت محظوظا لأصبح كبيرا للمذيعين فى فترة وجيزة، ونجحت فى تقديم طائفة كبيرة من البرامج الثقافية والمنوعة علاوة على مشاركتى فى قراءة النشرات الإخبارية وتغطية الأحداث المهمة. ولطالما رفضت عروضا بالعمل فى دول خليجية، بل رفضت إلحاح زميلى عاطف كامل الذى سبقنى إلى إذاعة صوت أمريكا فى جزيرة رودس اليونانية بالانضمام إليه. ثم كانت ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١ التى كادت تطيح بى من وظيفتى نتيجة التباس فى فهم المحققين لما حدث فى ذلك اليوم المشئوم. نعم خرجت من المحنة سليما معافا وظيفيا ولكن جرح التشكيك فى إخلاصى المهنى ظل غائرا، لا سيما وقد تحول مبنى ماسبيرو بعدها إلى شبه ثكنة عسكرية، وفُرضت علينا قوائم

بمن نستضيف ولا نستضيف فى برامجنا. كان خوف السادات شديدا من تكرار فكرة الانقلاب عليه. هنا فكرت لأول مرة فى المغادرة، ليس بسبب التضييق على عملى بالإذاعة وحسب، وإنما لأن زوجتى هى الأخرى بدأت تعانى من عملها بالتمثيل من ظاهرة تفشت آنذاك فى ذلك المبنى العريق: قبول بعض المخرجين للرشوة. كان مخرجو التلفزيون يعتمدون على مرتباتهم الهزيلة وحسب دون الحصول على أى نوع من المكافآت. ونظرا لأنهم يتحكمون فيمن يشارك فى مسلسلاتهم أو تمثيلياتهم، فقد استغلوا مركز النفوذ هذا فى فرض ما يعتبرونه "إكراميات" وهى فى حقيقة الأمر "إتاوات" على الممثلين والممثلات باستقطاع نسبة مئوية مما يحصلون عليه. بدأت بعشرة فى المائة ثم تطورت إلى ٢٥ فى المائة وكانت تصل أحيانا إلى خمسين فى المائة. لم يتمكن الجهاز الإدارى فى ماسبيرو، الذى عجز عن تحسين أحوال المخرجين، من ضبط أو مراقبة أو القضاء على هذا الظاهرة، لأن الرشوة كانت تُدفع فى الخفاء لبعض وليس كل المخرجين، الذين كان معظمهم من الشرفاء ولم يقبلوا الحرام على أنفسهم. لم تكن زوجتى قد صادفت هذه التجربة من قبل، ولكنها أُضطرت، تحت ضغط من زملاء وزميلات المهنة إلى الخضوع لها. وإذا تصورت أن أجر الممثل أو الممثلة يخضع لعشرين أو ثلاثين فى المائة خصما لحساب المخرج علاوة على المحاسبة الضريبية فى نهاية السنة تصبح الحصيلة غير مجزية. هنا امتنعت زوجتى عن مسايرة هذا الاتجاه الفاسد، وامتنع بعض المخرجين بالتالى عن استدعائها للمشاركة فى أعمالهم. ولكن حينما استدعاها مخرج من أصدقائى المقربين للعمل معه رحبت أنا شخصيا بالفكرة على أساس أنه لن يجرؤ على طلب شىء. ولكن تحت ضغط ممثلة كبيرة نصحتها بضرورة المشاركة فى دعم المخرج "الصديق"، ذهبت زوجتى إليه على استحياء محاولة تسريب المبلغ إليه بعيدا عن الأنظار، فإذا به يفتح درج مكتبه أمام الجميع لاستقباله! وهكذا اكتملت عوامل الطرد أو "التطفيش" أمامى وأمامها، لدرجة أنها آثرت أن تضحى بمستقبلها الفنى الذى كانت قد بدأت تشق طريقها فيه بقوة لا سيما بعد دورها المتميز فى

فيلم "الأرض" للمخرج العالمى يوسف شاهين، الذى نالت عنه جائزة أفضل ممثلة مساعدة فى المهرجان القومى الأول للأفلام الروائية. وهكذا لم يكن هناك سبيل أمامنا سوى التفكير فى الهجرة. وفى هذه المرة سعيت أنا إلى صديقى عاطف كامل لأسأله عن إجراءات الالتحاق بإذاعة صوت أمريكا!



عاطف كامل



شهادة

بعد الاطلاع على قرار لجنة تحكيم المهرجان القومى الأول

للأفلام الروائية الذى أقيم ببلطيم فى أغسطس ١٩٧١

تمنح السيدة / فاطمة عمارة جائزة دور الممثلة الثانية

عن فيلم الأرض الذى عرض فى المهرجان ،

وكيل الوزارة

(سعد الدين وهبه

(٣٩) من صوت... إلى صوت آخر!

لم يكن يميّز إذاعة صوت العرب عن إذاعة صوت أمريكا مجرد "الصوت"، فالتشابه يتوقف فقط عند كونهما محطتين إذاعيتين. فالبون شاسع بينهما من حيث الشكل والمضمون. فصوت العرب التى تأسست فى ٤ يوليو عام ١٩٥٣ إذاعة مصرية قومية توجه إرسالها إلى العالم العربى. نعم إذاعة صوت أمريكا توجه هى الأخرى إرسالها إلى العالم العربى، ولكن الهدف والتوجه مختلفان بدون شك. فصوت العرب يرمى إلى نشر رسالة القومية العربية وتوحيد أمة طالما شتتها الاستعمار وإيقاظ روح المقاومة لديها لكافة أشكال التدخل الخارجى. بينما صوت أمريكا، الإذاعة الرسمية لحكومة الولايات المتحدة التى تأسست وبدأت فى البث خلال الحرب العالمية الثانية فى ٢٤ فبراير ١٩٤٢، فكانت تبث برامج معينة عن أنباء وأخبار الحرب وموجهة بصورة خاصة إلى أوروبا وشمال أفريقيا وألمانيا النازية، وباتت الآن تستهدف المستمعين فى كل أنحاء العالم لنشر الثقافة الأمريكية والترويج للسياسات والتوجهات الأمريكية. تعرفت على هذه الحقيقة بعد انتقالى من القاهرة إلى جزيرة رودس اليونانية عام ١٩٧٥ ثم إلى واشنطن عام ١٩٧٧. فى صوت العرب كان عدد الساعات التى نقضيها داخل أستديو الهواء قليلة نسبيا مقارنة بثمانى ساعات نقضيها فى صوت أمريكا ليس كمذيعين وحسب وإنما أيضا كمترجمين ومخرجين و"مونتيريين". ومع ذلك كنت وأنا أعمل بصوت العرب أتمنى أن يمتد اليوم لأكثر من ٢٤ ساعة حتى أنجز ما أطمح إليه

من إعداد للبرامج الثقافية والمنوعة واتصالات بالضيوف وطرح أفكار لبرامج جديدة، بل ولمجرد المشاركة فى ندوات ثقافية وسياسية مع أبناء المهنة فى استراحة المذيعين. أذكر أنه "طق" فى يوم ما فى "نافوخ" الإدارة البيروقراطية فى الإذاعة أن يوقّع المذيعون فى دفاتر الحضور والانصراف شأنهم شأن بقية موظفى الشئون الإدارية. وحين جاءنى الأمر من مدير صوت العرب سعد زغلول نصار لأنفذه على مذيعى الهواء بصفتى كبيرا للمذيعين، بعثت إليه بمذكرة من ثلاث كلمات "أنا أول الرافضين"! فحين يقول مذيع الأستديو " صوت العرب من القاهرة" تكون هذه الجملة هى توقيعه الرسمى، ولا يستطيع أن يغادر قبل أن يتسلم زميل له المهمة مكانه حتى لو تأخر عليه. وهل أدخل أساطين البيروقراطية فى حسابهم أن ساعة أستديو الهواء تقابل ساعتين من الساعات المكتبية حسب التوصيف الدولى لهيئة الإذاعة البريطانية؟ لم يكن مذيع صوت العرب مجرد مذيع أستديو حسب، بل كان لكل منهم برنامجه الخاص الذى يعده فى غير أوقات الأستديو، فكيف نحسب ما ينفقه من وقت فى كتابته أو الاتصال بضيوفه، أو فى التجهيز لفكرة برنامج جديد؟ أو حتى فى قراءة الكتب والمراجع التى تعينه فى إعداد البرنامج إضافة إلى عمله بالأستديو؟ اقتنع مدير صوت العرب بوجهة نظرى وفشلت المحاولة البيروقراطية. ورغم قصر مدة البقاء فى أستديو الهواء التى تمتد من ثلاث إلى أربع ساعات، فإنها قد تأتى فى أوقات حرجة، مثل فترة الظهيرة التى يُضطر فيها المذيع للبقاء وهو يتضور جوعا! تغلبت على المشكلة بمغامرة لا أظن أحدا سبقنى إليها. كانت البرامج الطويلة التى تمتد ساعة أو أكثر تذاع فى تلك الفترة. فكنت أتسلل من الأستديو إلى مطعم كبابجى فى شارع ٢٦ يوليو القريب لأتناول الغداء، وأطلب من صاحب المطعم أن يفتح الراديو على صوت العرب لأتابع البرامج من هناك. لدرجة أن الرجل كان يحوّل المؤشر تلقائيا على صوت العرب كلما رآنى مقبلا. كانت مغامرة طائشة، عدلت عنها فيما بعد حتى لا يحدث ما لا يُحمد عقباه! تغلبت إذاعة صوت أمريكا على هذه المسألة بأن خصصت حسب القانون الأمريكى ٤٥ دقيقة لتناول الغداء، ولكنها لا تُحسب ضمن الساعات الثمانى المقررة. فكان علينا أن نمضى فى المكان نفسه ومع الوجوه

نفسها تسع ساعات إلا ربعا يوميا. فهل كنا ننتج طوال تلك الساعات؟ بالقطع لا. ولكننا نعمل بالساعة وعلينا أن نقضيها كلها. لم تكن هناك وسائل حديثة "لقتل" وقت الفراغ الزائد، مثل الهواتف الذكية والأجهزة الإلكترونية التى لم تكن قد أُخترعت بعد. كان ملاذنا الوحيد هو "الكلمات المتقاطعة" التى كنا نتخطفها من بعضنا البعض. وفى حين كنت أتمنى وأنا فى صوت العرب أن يطول اليوم لأنجر أعمالى، التى كان من بينها تدريس اللغة الإنجليزية فى معهد" بيرلتس" بالقاهرة لزيادة الدخل، انقلبت الآية فى صوت أمريكا حيث كان اليوم طويلا لدرجة الملل فى مكان مكفهر بدخان المدخنين، قبل حظر التدخين فيما بعد، والذى أصابنى إلى اليوم بأعراض ما يطلقون عليه "التدخين السلبى" رغم أننى لم أكن مدخنا فى حياتى. كان العمل فى صوت العرب وسط كوكبة من الفنانين والمثقفين والمشاهير وزملاء المهنة متعة فى حد ذاتها لا تحس فيها بمرور الوقت، بينما كان العمل فى صوت أمريكا مجرد "أكل عيش" نترقب فيها لحظة "الفكاك"، وهى حالة لم ينقذنى منها سوى الاستقالة عام ١٩٩٥. لدرجة أن أحد ظرفاء صوت أمريكا كان يقول عنى: "إن عباس حين يقرأ النشرة الختامية بالإذاعة ويأتى إلى النبأ الأخير تكون إحدى قدميه داخل الأستديو والأخرى فى الشارع"!



فى غرفة الأخبار بجزيرة رودس مع الزميلين ثابت صوان وصلاح حجازى

(٤٠)...العمل فى جزيرة الأحلام !

حين حط بى الرحال فى جزيرة رودس اليونانية لأول مرة فى أول يوم من شهر إبريل عام ١٩٧٥، كنت أظنها كذبة إبريل. لم أكن أصدق أننى أخيرا وضعت قدمى فى القارة الأوروبية التى طالما حلمت بزيارتها ولو مؤقتا، فما بالك وقد حصلت على وظيفة بها كمذيع فى إذاعة صوت أمريكا التى تبث إرسالها من هناك. تعرف الجزيرة تاريخياً بكونها موقع تواجد أبولو رودوس سابقاً، والذى كان يمثل إله الشمس هليوس واقفاً عند مدخل الميناء حيث كانت تعبر السفن من تحته. وهو أحد عجائب الدنيا السبع. وتتميز الجزيرة بشواطئها الرملية المترامية وشمسها الساطعة وطبيعتها الساحرة، وحياة الليل التى ليس لها مثيل وصيفها الممتد حتى شهر نوفمبر من كل عام. وحين أخذت شقيقى الزائر "ماهر" فى جولة وسط جبال رودس ووديانها وشواطئها، التى تشكل مشهدا طبيعيا يخلب الألباب، علق قائلا " أنا زى ما أكون فى فيلم أفرنجى"! ورغم أننى كنت معتادا فى صوت العرب على العمل مع زملاء من بلاد عربية أخرى، فقد وجدت نفسى فى الإذاعة ضمن أقلية مصرية وسط مجموعة متباينة من المذيعين العرب. كنت أظن أن هذا هو الاختلاف الوحيد، ولكنى اكتشفت فئة ثالثة من الزملاء: (المذيعون المتجنسون بالجنسية الأمريكية)، والذين كانوا بالتالى فى موقع القيادة سواء مدير المحطة أو المشرفين على التحرير. لم أر غضاضة فى ذلك، إلا حينما كان بعض المرضى النفسيين من الفئة الثالثة يستعرضون عضلاتهم الأمريكية

ويتفاخرون ببعض المزايا العينية، كأن يحق لهم الشراء من "الكوميسارى" وهو بمثابة سوق حرة لا يرتادها أو يشترى منها سوى الأمريكيين. ولا يحق لبقية العاملين من أولاد البطة السوداء التسوق منها. أما وراء الميكروفون فكانت الغلبة للمذيعين المحترفين، نظرا لأن المتجنسين التحقوا بالإذاعة دون سابق خبرات إذاعية، لمجرد أنهم أمريكيون يتحدثون العربية. كان من بينهم الأستاذ سعيد جبريل، قارض الشعر الضليع فى اللغة العربية، وصاحب الصوت الأجش الذى لا يصلح حتى فى تقديم المطربين فى الأفراح! وقد لفتت غرابة أطواره نظرى. فقد كانت وجبة غدائه اليومى "رأس خروف" مشوى، يحمله إليه "سيريباس" اليونانى المسئول عن بوفيه الإذاعة. وكثيرًا ما كنت أشاكسه بأنه لا يأكل لحمة الرأس إلا من فقد حكمة الرأس. كان يحلم بالسفر إلى البرازيل لزيارة أخيه المليونير المهاجر ليقضى فترة تقاعده هناك. ويبدو أنه لم يحقق هذه الأمنية، وسافر بدلا من ذلك إلى عالم النسيان. فحين قابلته فى حفل بعد انتقالنا جميعا لواشنطن سألته عن حلم البرازيل فرد على بإجابات مبهمة وبدا وكأنه لا يعرفنى، وفهمت من ابنته أنه أصيب بمرض الزهايمر! أما الأمريكى الآخر السورى عارف إبراهيم، خريج دار العلوم بالقاهرة، قارئ النشرة الرتيب على الطريقة الإملائية، فقد كان من بين أولئك المتباهين بتميزهم فى التسوق من "الكوميسارى". وكانت حسرته شديدة حين انتقلنا إلى واشنطن، حيثُ قلت له: "لقد تساوت الرءوس الآن بعد أن صرنا على أرض الولايات المتحدة، "الكوميسارى" الكبير المفتوح أمام الجميع دونما تمييز، والتى أطلقت عليها، لكثرة أوكازيوناتها، The United Sales of America. وعلى النقيض من عارف، كان هناك الأمريكى الفلسطينى الرائع سمير كتاب الدمث الخلق والمثقف الكبير المتواضع. كان سمير مهموما بعدم الإنجاب وقرر السفر إلى فلسطين حيث تبنى طفلة من أبناء الشهداء. وكانت هذه الطفلة فاتحة خير، إذ حملت زوجته حملا طبيعيا بعد أن عكفت على تربيتها. ولكن يشاء القدر أن يرحل عن عالمنا قبل أن ينعم بأسرته الجديدة. أما المصرى فوزى البكرى الذى بدأ حياته فى إذاعة صوت أمريكا بالقاهرة، فقد نصّب نفسه،

عن جدارة، عمدة للمصريين فى رودس وفيما بعد فى واشنطن. كان مترجما من الطراز الأول، وحكّاء لا حدود لرواياته ونوارده. لم أكن أتضرر من ذلك فقد انجذبت إلى شخصيته البشوشة وتعلمت منه فنون الترجمة فى الوقت الذى كانت حكاياته تخفف عنا وطأة العمل ثمانى ساعات متواصلة. وهو الذى زودنا بصورة ذهنية بانورامية عن الحياة فى أمريكا. ومن كثرة حديثه عن منطقة أنانديل بولاية فيرجينيا التى عاش فيها، حللنا بها أنا وأسرتى حين انتقلنا إلى الولايات المتحدة وعشنا فيها أكثر من عشرين سنة قبل أن ننتقل إلى منطقة أخرى. أما السودانى عبد الرحمن زياد المذيع السابق فى إذاعة الشرق الأدنى التى أدارتها بريطانيا إبان الحرب العالمية الثانية، ثم استقال جميع مذيعيها العرب منها احتجاجا على العدوان البريطانى الفرنسى على مصر عام ١٩٥٦، فكان من أفضل وأحلى الأصوات الإذاعية. وكغيره من السودانيين كان سريع الغضب وسريع نسيان أسباب الغضب! ففى أوقات الصفاء كان يرضينى بالقول إن مصر والسودان بلد واحد، وحين كان يغضب على يصرخ قائلا إن مصر والسودان "ستميت" حتة"! كنت أحب مجالسته وقت الفراغ حيث كان هو منبع الكلمات المتقاطعة التى كنا نتخطفها لمغالبة الوقت. بيد أنه كانت له هواية أخرى هى "البروبو"، أكبر ياناصيب يونانى. فقد كان على يقين من أنه سيصبح مليونيرا من ورائها. ويبدو أن حلمه لم يتحقق بعد سنوات من تركنا الجزيرة إلى الولايات المتحدة. وكان الزميل الأردنى على أباظة، بمثابة ظاهرة بالنسبة لى. فكان عمله الأساسى هو الطباعة حيث كنا نملى عليه الترجمة مباشرة من النص الإنجليزى ليكتبها على الآلة الكاتبة. ولكن يبدو أنه كان يركز كثيرًا فيما يُملى عليه فتعلم الترجمة من أوسع أبوابها وصار مذيعا مترجما حين انتقلنا إلى واشنطن. بيد أن قدراته لم تتوقف عند هذا الحد، فبدلا من الكلمات المتقاطعة كان يملأ وقت فراغه بالتدرب على الاختزال. بيد أنه بهرنى أكثر بإتقانه للغة اليونانية بعد أن عاش فترة طويلة فى هذه الجزيرة. غير أن زميلته فى الطباعة على الآلة الكاتبة بوردية الليل المصرية صفية موناليديس بهرتنى أكثر بلغتها اليونانية. فقد تزوجت

يونانى وعاشت معظم حياتها فى رودس. ومع ذلك لم تنس كيف تعد طبق الفول المحوج الذى كانت تتحفنا به فى وردية الليل، ولم ينافسها فيه سوى رئيس التحرير الفلسطينى محمود الزواوى الذى كان من عشاق الفول على الطريقة المصرية. كانت الحياة سهلة فى الجزيرة اليونانية، حيث كنا نستمتع بصيفها الدائم ومياهها اللازوردية وليلها الممتع فى مقاهيها الساهرة والتمشية فى "المدينة القديمة" التى كانت قلعة لتجمع الجنود من مختلف أنحاء أوروبا للمشاركة فى الحرب الصليبية. وهى أقدم مدينة مأهولة تعود إلى القرون الوسطى، تعج بالمحلات وأكشاك بيع التذكارات والمقاهى والمطاعم وتمتلئ بالزائرين والسياح والسكان المحليين، وكأنك قد عدت بالزمن إلى الوراء. تضم المدينة الكثير من الآثار التى يعود بعضها إلى عصور ما قبل الميلاد، فى حين ترجع غالبيتها إلى القرون الوسطى وبالذات فى عهد الصليبيين الذين أقاموا فيها العديد من الحصون المنيعة لحمايتها من الغزوات والهجمات الخارجية. أثناء تجوالى بالشوارع الضيقة للمدينة القديمة صادفت "تكية" مصرية منذ العصر العثمانى مثلما صادفت مصريا مسنا لم يزر مصر منذ الحرب العالمية الثانية. الحكاية أنه كان صيادا تصادف أن اندلعت الحرب العالمية الثانية وهو فى عُرض البحر بعد أن أبحر من الإسكندرية. ثم قذفت به الأمواج إلى جزيرة رودس حيث أمضى بقية حياته بعد أن تزوج من تركية مسلمة من سكان الجزيرة، ولم يعد إلى موطنه الإسكندرية على الإطلاق. وقد لاحظت أن أتراك رودس يصومون رمضان على طريقتهم الخاصة. وكما قال لى أحدهم: إننا لا نشرب البيرة إلا بعد الإفطار!. أما داخل الإذاعة فلم يكن لدينا سوى تلفزيون ٨ بوصة أبيض وأسود نلتف حوله كل ليلة لمشاهدة الحلقات الأمريكية" هوائى ٠ - ٥، المسلسل الوحيد الذى كان يُبث باللغة الإنجليزية. وكنا أحيانا نلتقط إرسال التلفزيون المصرى، قبل عصر الفضائيات، حين يكون الجو صافيا، وكنا نستمتع بما يبثه من مواد رغم أنها كانت مشوشة فى معظم الأحيان. وحدث الانقلاب الكبير حين انتقلنا إلى واشنطن عام ١٩٧٧ مع استخدام الأقمار الصناعية فى الإرسال والاستغناء عن

محطات الإرسال التى تقام قريبة من المناطق العربية المستهدفة مثل رودس وقبرص. فصرنا نتتبع عشرات المحطات والمسلسلات والأفلام التى أنستنا تماما التشاحن على الكلمات المتقاطعة!



عبد الرحمن زياد





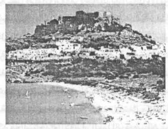


على أباظة



فوزى البكرى



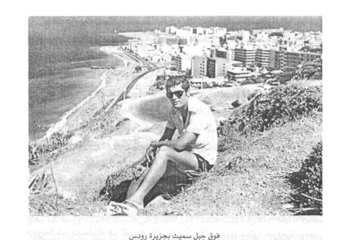


(٤١) مصر فى قلوب اليونانيين!

لم يكن الانتقال من صوت العرب إلى صوت أمريكا هو مجرد تغيير "للصوت"، ومن القارة الأفريقية إلى القارة الأوروبية، بل كان بمثابة نقلة إلى عالم إذاعى مختلف فى حرفيته وأهدافه، وإن كان الميكروفون واحدا. فصوت العرب الذى بدأ إرساله يوم ٤ يونيو ١٩٥٣، كانت له ثلاثة أهداف، هى نفسها أهداف ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢: (١) التعبير الصادق عن آلام الجماهير العربية وآمالها فى جميع أجزاء الوطن العربى. (٢) الدعوة إلى تحرير البلاد العربية من الاستعمار وعملائه، وتحكم الرأسمالية والإقطاع فى جماهير العرب. (٣) العمل على جمع كلمة العرب، وحشد قواهم ضد أعداء العروبة، والسعى معهم لتحقيق الوحدة العربية المرجوة. أما إذاعة صوت أمريكا فهى الإذاعة الرسمية لحكومة الولايات المتحدة، بدأت إرسالها فى ٢٤ فبراير ١٩٤٢ خلال الحرب العالمية الثانية الذى كان يبث أنباء وأخبار الحرب إلى أوروبا وشمال أفريقيا وألمانيا النازية. وبعد انتهاء الحرب، وفى ١٧ فبراير ١٩٤٧ أخذت توجه بثها إلى الاتحاد السوفيتى واستمرت فى ذلك طوال الحرب الباردة. وفى عام ١٩٥٠ بدأت صوت أمريكا فى تقديم برامجها المنتظمة الموجهة للعالم العربى باللغة العربية. وصوت أمريكا لا تخرج عن كونها غرفة أخبار تنتج النشرات والتعليقات المهتمة بالشئون الأمريكية العربية. هى إذاعة تمثل صوت الشعب الأمريكى الموجه للخارج، لذلك غير مسموح بحكم القانون بث إرسالها داخل الولايات المتحدة، حتى لا يستغلها أى

حزب حاكم فى الترويج لسياساته. كان مفهوم الإعلام الخارجى الأمريكى الرسمى آنذاك هو الرغبة فى توصيل الحقائق والمعلومات عبر الاسوار الحديدية للمعسكر الاشتراكى والشيوعى وكذلك إلى المجتمعات العربية المحرومة من الإعلام الحر، قبل أن يتحول بعد أحداث ١١ سبتمبر إلى رغبة محمومة فى فرض وجهة النظر الامريكية على شعوب العالم وخاصة الشعوب العربية والإسلامية. كانت بيئة العمل، فى صوت أمريكا التى أُلغيت بعد أن غادرتها لتحل محلها ما أطلقوا عليه "إذاعة سوا"، مختلفة، حيث كان المذيعون والمذيعات يشغلون صالة واحدة مفتوحة لا تضم غرفة مغلقة على صاحبها باستثناء غرفة المدير. كنا زملاء محترفين من المغرب وفلسطين ومصر والأردن وسوريا ولبنان والسودان، أى جامعة عربية إذاعية مصغرة يحكمها ميثاق يدعو إلى مراعاة الدقة فى نقل الخبر والتحقق من مصدره والحياد فى عرض مختلف وجهات النظر. لم تكن النشرة تأتينا جاهزة مرتبة مثلما كان الحال فى صوت العرب، وإنما كنا نحن الذين نترجمها ونحدد أولوياتها ونقرأها على الهواء. لم نكن نكتفى بتسجيل البرامج المنوعة أو التقارير الإخبارية، بل كان علينا أن نجرى عملية المونتاج بأنفسنا. وكان على أن أتحول من مجرد مذيع قارئ للنشرة، إلى مترجم ومونتير ومخرج لها. كان يعاوننا فى ذلك بعض اليونانيين الذين هاجروا من مصر لدى قيام ثورة ١٩٥٢. كان هناك ثلاثة نماذج متباينة من أولئك اليونانيين المصريين، لعل أبرزهم "جورج نيكولاو" ذلك المصرى القح الذى تعلم فى المدارس الحكومية ويتحدث ويقرأ ويكتب اللغة العربية بكل طلاقة، وكان أيضا ضاربا على الآلة الكاتبة العربية. أضف إلى ذلك أنه اليونانى الوحيد الذى كان يقرأ نشرة الأخبار بالعربية كغيره من المذيعين العرب المحترفين. وكان معروفا عن درج مكتبه أنه حافل بالأدوية والمقويات. بيد أنك إذا ذهبت إليه شاكيا من أى علة، صداعا كان أو ألما فى البطن أو حتى زغللة فى العين، ليس لديه سوى علاج واحد، أن يصب فى أذنيك نقاطا من الكحول الأبيض. أنا بالطبع لم أشأ الخضوع لطريقته المبتكرة ولكنى أطلقت عليه اسم الرجل "السبرتو"! أما اليونانيان المصريان

الآخران فهما "يانّى نيكاتييدس" ضارب الآلة الكاتبة العربية المولود فى الإسكندرية، و"تونى زومبيريس" مخرج الفترة الإخبارية، المولود فى درب البرابرة بالقاهرة. وبخلاف نيكولاو الذى كان يجيد الفصحى إلى جانب اللهجة المصرية الصميمة، كان يانّى وتونى يتحدثان فقط اللهجة المصرية بطلاقة. ولكن شتان بين الشخصيتين. كان تونى بشوشا إبن نكتة وسريع البديهة معتزا دائما بنشأته المصرية وفى حالة حنين دائمة للعودة إلى مسقط رأسه. أما يانّى الذى كنا نملى عليه الأخبار المترجمة، فقد كان يتعمد دائما أن يظهر حنقه على ما فعله عبدالناصر بتأميم شركة كوتاريللى للدخان التى كان يعمل بها بالإسكندرية. وكنت أحيانا " أشاكسه" بحبى الجارف لعبد الناصر. وفى يوم اشتدت فيه حدة الحوار بيننا بعد أن أخذ يصب جام غضبه على كل من يذكّره بنشأته المصرية. وهنا تدخل ابن أخته الذى كان يعمل فى الهندسة الإذاعية، وهو أيضا من اليونانيين الذين هاجروا من مصر، ليصفى الجو بيننا. فحكى لى أمامه قصة غيرت نظرتى إليه وربما غيرت نظرته هو لنفسه. قال إن يانّى كان يجرى عملية جراحية، وبعد تخديره ظل شاغرا فاه، وحار الجراح والممرضات فى كيفية إرغامه على إغلاق فمه حتى لا يجز لسانه. كانت غلطة من كانوا حوله فى غرفة العمليات، والكلام لا يزال لإبن أخته، أنهم أخذوا يصرخون فى أذنيه باللغة اليونانية ليغلق فمه دون جدوى، ولكنى اقتربت من أذنيه وقلت له بهدوء بالعامية المصرية "اقفل بقك يا ابن الكـ...." فأغلقه على الفور! وهنا ثبت لى بما لا يدع مجالا للشك أن استجابته لأمر بالعامية المصرية وليس اليونانية، وهو غائب عن الوعى، دليل قاطع على أنه مصرى حتى النخاع، وأن كل ادعاءاته بغير ذلك غير حقيقية. لقد خرج من مصر فعلا، ولكن مصر، كعادتها، لم تخرج منه!

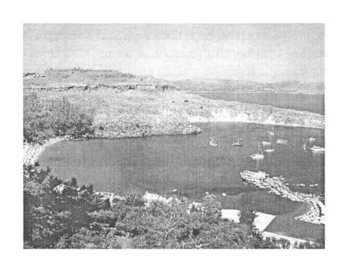


فوق جبل سميث بجزيرة رودس

(٤٢) خلطة عربية يونانية!

حين بدأت العمل مذيعا بإذاعة صوت أمريكا التى كانت تبث إرسالها من جزيرة رودس اليونانية عام ١٩٧٥، كان احتكاكى بالثقافة اليونانية حافلا بما هو جديد سواء من متشابهات اللغة أو تناقضاتها أو جرسها. كنا نستغرب لوجود كلمات يونانية هى نفسها كلمات عربية لا سيما فى المأكولات مثل فاصوليا وباميا مما دفع زميلى المصرى السريع البديهة محمد البهنسى إلى اعتبار نفسه ضليعا فى اللغة اليونانية بسبب كثرة هذا التشابه بين مفردات اللغتين، ولكن حين أبلغته أن البطيخ ليس بطيخا باليونانية وإنما اسمه "كاربوزى"، قال متساءلا "وهمه غيروا الاسم إمتى؟"! وعلى العكس من ذلك حين هفت نفس زوجتى "فاطمه" على طبق فوق مصرى أصيل، قررت أن تشتريه وتدمسه بنفسها. ولكنها حارت فى إفهام البقال اليونانى بما تريد، فهى لا تعرف اليونانية والبقال لايعرف الإنجليزية وحاولت وصف ما تريد بكلمات إنجليزية من قبيل beans أو peas فوضع اليونانى الألمعى حدا لحيرتها حين أبلغها بلهجة مصرية صميمة " ماتقولى إنك عايزة فول"! ومنذ ذلك الحين أدركنا أن اليونانيين من أصل مصرى منتشرون فى أنحاء الجزيرة وعلينا أن نتوخى الحذر ولا نتصرف على أننا فى أوروبا، فبعض أولئك اليونانيين عاشوا وتربوا فى أحياء مثل السكاكينى ودرب البرابرة وباكوس. غير أنه كان لدينا فى الإذاعة مخرجة يونانية لا تعرف العربية، ولكنها كانت مفتونة بالإنصات باهتمام مبالغ فيه لنشراتنا الإخبارية، وظننت من ثم أنها ربما

تريد تعلم اللغة مقارنة بزملائها من ذوى الأصول المصرية. كنت أريد أن أفسر سر اهتمامها بنشرة الأخبار العربية. فحين كنت أقرأ النشرة، ترتسم على ملامحها علامات الاستعجاب وأحيانا ألمس حمرة خجل فى وجنتيها. وبعد عدة نشرات تجرأت وسألتنى عن كلمة تتردد كثيرًا فى النشرات العربية وهى كلمة "فقط" فشرحت لها معناها، ولكنها ابتسمت وفهمت منها أنها كانت تقرنها بالكلمة الإباحية الإنجليزية "Fu..it" وبدا أن سر اهتمامها هو أنها كانت تريد أن تعرف على من نصب كل هذه اللعنات؟! كانت أياما سعيدة تلك التى قضيناها فى رودس الجزيرة الصغيرة التى تبدأ سياحتها الصيفية فى شهر مارس باستقبال عشاقها من سياح وسائحات الدول الاسكندنافية، الذين كانوا يتجولون فى طرقاتها شبه عرايا بلباس البحر فى وقت لم نكن قد خلعنا فيه بعد ثيابنا الشتوية الثقيلة. وإذا كان حلم قضاء إجازة لمدة شهر على الأقل على شاطئ من المياه الفيروزية، بعيد المنال بسبب تكاليفه التى قد لا تكون فى متناول اليد، كان من حسن حظى أنا وأسرتى أن أمضينا سنتين ونصف السنة فى إجازة شاطئية مجانية مدفوعة الأجر أثناء العمل فى الجزيرة. كانت نوبة عملى تبدأ من الثامنة مساء حتى الرابعة صباحًا. وهو أمر يوفر لى بقية النهار بعد العودة فى الفجر وأخذ قسط من الراحة، لأتفرغ إلى هوايتى التى تربيت عليها فى معشوقتى الإسكندرية، الاستمتاع والتجول والسباحة فى شواطئ رودس الخلابة. كان هناك شاطئ "فالاراكى" برماله البيضاء التى تذكرك برمال مرسى مطروح وشاطئ الغرام، وشاطئ "ليندوس" بمياهه الصافية المحصورة بين جبال صخرية التى لا يضاهيها سوى خليج صلاح الدين فى شرم الشيخ. أما الشاطئ المفاجأة الذى سمعنا أنه مخصص للعراة فقط فكان اسمه ويا للعجب "خراكى" ! الأغرب أن زميلى اللبنانى "غسان غصن" كان لا يرى غضاضة فى الاسم، حتى أنه حين سألته زميلة لنا مرة عن مشروع فسحته لذلك اليوم قال ببساطة: " أنا أرايح أسبح فى خراكى"!



(٤٣) صدمة الانتقال من جزيرة..إلى قارة

انتفخ كل شيء وتورم لحظة أن وضعت أنا وأسرتي أقدامنا على أرض العاصمة الأمريكية واشنطن عام ١٩٧٧. صارت السيارات أكبر والشوارع أوسع والبنايات أعلى والأنهار أكثر ووجوه الناس أدكن، والبيوت أرحب بل وزجاجات البيبسي كولا أطول والسندويتشات ومراكز التسوق أضخم، وكأننا انتقلنا من بلاد الأقزام في جزيرة رودس إلى بلاد العمالقة في رواية "أسفار جاليفر" للمؤلف البريطاني جوناثان سويفت التي قرأناها كتابا وشاهدناها أكثر من فيلم سينمائي. لم يختلف الأمر حين قررت، كأي وافد جديد على بلد غريب، السكنى بالقرب من مقر العمل حتى أذهب إلى صوت أمريكا سيرا على الأقدام إلى أن يتاح لنا فرصة حيازة سيارة والانتقال إلى الضواحي. فحتى "أسانسيرات" ذلك الفندق المؤقت كانت من الضخامة بحيث يمكن أن تتحول إلى شقة مفروشة صغيرة! غير أن ما لفت نظر فاطمة، زوجتي، شيء آخر، وهم رواد ذلك الأسانسير. فقد كانوا جميعا من ذوي البشرة السوداء. وهنا قالت لي معاتبة بتلقائية شديدة " هي دي أمريكا؟ إنت متأكد إنك ما ضحكتش علينا وخدتنا نيجيريا؟". كانت ملاحظة دقيقة من جانبها، فالأرقام تقول إن ذوي الأصول الأفريقية يشكلون النسبة الأكبر من سكان واشنطن العاصمة الذين يبلغ تعدادهم حوالي ٦٤٦ ألف نسمة بحسب إحصاءات ٢٠١٣. يليهم السكان البيض ثم الهنود الأمريكيون ثم الآسيويون ثم الناطقون بالإسبانية، إضافة إلى عرقيات أخرى.

ويعود أصل معظم هؤلاء إلى أفارقة تم استجلابهم عنوة من أفريقيا إلى الأمريكيتين من قبل تجار الرقيق والنخاسة البيض منذ القرن السابع عشر مع ظهور المستعمرات الأمريكية واقتران السخرة بها. ورغم أن غالبية العاملين فى المصالح الحكومية والوزارات التى تحفل بها واشنطن، هم من السود، فإنهم لم يشكلوا الأغلبية فى إذاعة صوت أمريكا، ربما لأن العمل الإذاعى يحتاج إلى كفاءات معينة، مثل إتقان اللغات الأجنبية، لا تتوفر لدى كثير من الأمريكيين الأفارقة. فحتى لهجتهم الإنجليزية عسيرة على الفهم. وقد أرجع خبير فى اللغات ذلك، إلى أن العبيد الذين سيقوا من أفريقيا كانوا يتحدثون لغات مختلفة، ولم يكن أمامهم من سبيل سوى الحديث مع بعضهم البعض بلغة "السيد" وهى الإنجليزية. ولكنهم فى الوقت نفسه أرادوا أن تكون لأحاديثهم خصوصية لا يفهمها "السيد"، فقاموا بتحوير الكلمات الإنجليزية ونطقها بطريقة مختلفة، فى لهجة خاصة بهم لم يتخلصوا منها حتى الآن، بل إن البعض يعتبرها تراثا يجب المحافظة عليه. يشاع الكثير عن كسل السود وعدم رغبتهم فى الارتقاء فى السلم الاجتماعى. وهذا غير صحيح فى تقديرى، وقد صادفت نموذجا يدحض هذه الفرية. فحين كنت أحمل الأشرطة إلى الأستديو لأخرج فترة إخبارية كنت أصادف مهندسا من الأفارقة السود، سوف أطلق عليه اسم "جون". لا حظت أنه أكثر دقة ونظافة وحرفية فى عمله من أقرانه البيض، وأنه متى دخل الأستديو كان يبدأ فى تنظيف مقعده وكل الأجهزة بالمطهرات كأفضل "ست بيت". بيد أنه كان قليل الكلام، ذلك لأنه كان ينام طوال فترة إذاعة الشريط، ثم يصحو فجأة فى الوقت المناسب قبل أن أثير انتباهه ليجهز الشريط التالى، ولا أذكر أنه أخطأ مرة واحدة. بدأ جون، حياته، كما قال لى، "جانيتور" أى عامل نظافة داخل مبنى الإذاعة. ومع اختلاطه بالمذيعين والمهندسين تطلع لأن يصبح واحدا منهم. فدخل مدرسة لاسلكى ليلية لمدة سنتين وحصل على شهادة تؤهله للعمل فى الهندسة الإذاعية. ويقول إن طلبه ظل يُرفض لخمس سنوات متتالية، لعدم وجود وظائف شاغرة، إلى أن حقق أمنيته فى نهاية المطاف وأصبح مهندس صوت بالإذاعة. أما

حكاية نومه، فلأنه لم يكتف بالعمل فى الإذاعة وشغل وظيفة أخرى فى غير أوقات العمل كإخصائى تشغيل آلة عرض الأفلام فى سينما متحف الفضاء والطيران القريب من الإذاعة، ومن ثم لم يكن يحصل على كفايته من النوم. ربما كان جون أكثر حظا من أبناء جلدته الذين لا يزالون يعانون من التمييز ومن العدالة الأمريكية، حيث يمثل السود الذين يشكلون ١٢,٦ ٪ من عدد السكان ٤٠٪ من نزلاء السجون، فى الوقت الذى يمثل البيض غير اللاتينيين الذين يشكلون ٦٤٪ من سكان الولايات، ٣٩٪ من السجناء، مع فارق ملحوظ فى المحكوم عليهم بالإعدام؛ حيث بلغت نسبة السود بينهم ٣٤٪. ورغم انتخاب باراك أوباما كأول رئيس أمريكى أسود، لا تزال العنصرية متجذرة فى الثقافة الأمريكية. فقد جدَّدت حادثة مقتل الشاب الإفريقى الأعزل مايكل بروان فى أغسطس ٢٠١٤ بـ"فرجسون" فى ولاية مسيسيبى، ذاكرة العالم بالتاريخ العنصرى الاضطهادى؛ حيث أشعلت احتجاجات واسعة لم تهدأ منذ مقتله، واندلعت الاحتجاجات فى ١٧ ولاية أمريكية، بعد قرار الادعاء عدم محاكمة الشرطى الأبيض الذى قتل بروان. وكان الغضب قد ظهرت بوادره مع قضية الرجل الأسود رودنى كينج عام ١٩٩٢، حينما تعرَّض للضرب على يد أربعة ضباط شرطة من البيض فى تسجيل التقطه مصور فيديو من الهواة بسبب تجاوز رودنى للسرعة المقررة، ولكن يتم تبرئة الضباط الأربعة وتشتعل الاحتجاجات المنددة مخلفة ٥٠ قتيلاً ومئات الجرحى. وتظل الأحداث الأخيرة دليلا دامغا على أن حلم العدالة الاجتماعية والمساواة بين البشر مهما اختلفت ألوانهم وأجناسهم، الذى أعلنه ملهم الأمريكيين السود مارتن لوثر كينج عام ١٩٦٣، واغتيل بسببه عام ١٩٦٨، لا يزال بعيد المنال!



العاصمة واشنطن

(٤٤) الجيم المصرية تغزو الإذاعات الدولية!

لم أكن أتصور يومًا أن تكون "الجيم" المصرية غير المعطشة مثار جدل فى الإذاعات الدولية الناطقة بالعربية. ولطالما اعتبرت أن الجيم المصرية أفضل كثيرًا من الجيم المعطشة التى ينطقها إخواننا فى بر الشام والمغرب العربى. يظهر ذلك جليا عندما يسبق حرف الجيم أو يلحق به حرف "الشين" مثل "جيش" و"شجن".. إلخ. بل إن باحثا بريطانيا اعتبر أن الأصل فى لغة بنى يعرب هى الجيم غير المعطشة وعزا الفضل للمصريين لأنهم حافظوا عليها. بيد أن بعض الإذاعات الدولية مثل هيئة الإذاعة البريطانية كانت ولا تزال تفرض على المذيعين المصريين نطق حرف الجيم باللهجة القريشية رغم أن جزيرة العرب كانت حافلة باللهجات الأخرى. وقد صادف زميلى فى صوت العرب المرحوم محمود سلطان هذه المشكلة حين التحق لفترة وجيزة بال BBC. إذ لم يحتمل العمل طويلا بسبب عجزة عن التخلص عن "جيمه المصرية". وحين التحقت أنا بالعمل فى إذاعة صوت أمريكا فى جزيرة رودس اليونانية عام ١٩٧٥، كان شرطى الوحيد ألا يُرغمنى أحد على نطق الجيم المعطشة إلا عند تلاوة آيات من القرآن الكريم. وكانت حجتى أنه ليس عيبا أن تُعرف مصريتى بما أنطقه من حرف الجيم، مثلما يستطيع أى مستمع أن يميز جنسية المذيع من لهجته حتى وهو يقرأ باللغة الفصحى، فهذا ليس عيبا وإنما هو ثراء لغوى. يقول أنيس منصور فى باب

"مواقف" فى ٢٥ يناير ٢٠٠٥": كان المصريون الذين يعملون فى الإذاعات الأجنبية ينطقون الجيم المعطشة، ظنا منهم بأن الجيم المصرية ليست فصيحة.. أو لأنهم يجاملون الأشقاء العرب الذين يعملون معهم.. أى أن "٧٠ مليون مصرى" يجب أن يجاملوا خمسة أو عشرة ملايين أو يجب أن ينطقوا الجيم المعطشة حتى لايعرف أحد من أى البلاد كل هؤلاء المذيعين.. وبعض المصريين أصروا على الجيم المصرية واليمنية والألمانية أى الجيم الخفيفة.. " كنت أنا أحد الذين أصروا على نطق الجيم المصرية حين التحقت بصوت أمريكا، وكانت حجتى فى ذلك أن اللغة العربية أولا وأخيرا لغة ثرية وسوف يفهم المستمع نشرتى الإخبارية سواء كان بالجيم المعطشة أو غير المعطشة. ولفهم نطق المصريين للجيم غير المعطشة لابد من الإشارة إلى أصول القبائل التى فتحت مصر فى جيش عمرو بن العاص رضى الله عنه، فنجد أن أغلب القبائل العربية المسلمة التى فتحت مصر كانت من اليمن أو من أصول يمنية مثل جهينة والأزد وخزاعة وخولان وقضاعة وجذام ولخم، إضافة إلى الحضارمة، وهى قبائل تنطق الجيم غير المعطشة، مثل قبيلة تميم العدنانية صاحبة الجيم المعروفة اليوم بالجيم المصرية. وقد سكنت معظم هذه القبائل بنواحى الإسكندرية والدلتا بينما استقرت ما أسميه بقبائل الجيم المعطشة فى الصعيد، حيث تركت أثرا واضحا على اللهجة الصعيدية فى نطق هذا الحرف. ونظرا لأن زميلى حافظ الميرازى ينتمى إلى بلدة مغاغة الصعيدية، فقد كان ملتزما فى قراءاته الفصحى بنطق الجيم المعطشة، وقد ناسبه هذا كثيراً عندما التحق للعمل بقناة الجزيرة. أما حين بدأنا سويا فى تقديم أول برنامج للرأى والرأى الآخر فى الشبكة العربية الأمريكية ANA من واشنطن عام ١٩٩٢، قبل سنوات من ظهور برنامج الجزيرة: "الطريق المعاكس"، آثرنا أن تعبر مقدمة البرنامج عن اختلاف اللهجتين مثلما تعبر عن الاختلاف فى الرأى، الذى توخينا ألا يفسد للود قضية! أطلقنا على البرنامج حينئذ " وجها لوجه" وكان كل منا يتخذ موقفا مضادا للآخر فى محاورة ضيف الحلقة الذى كان يقع عادة بين شقى الرحى، على غرار البرنامج الأمريكى الشهير Crossfire بشبكة CNN.

وحين وضعنا مقدمة البرنامج كان لا بد أن تكون متسقة ليس مع الخلاف فى الرأى وحسب وإنما أيضا مع الخلاف فى نطق حرف الجيم: وظهرت المقدمة على النحو التالى:

حافظ: لكل عملة وجهان (معطشة)

عباس: ولكل قضية أكثر من وجه (غير معطشة)

حافظ: وفى كل أسبوع نلتقى أكثر من مرة

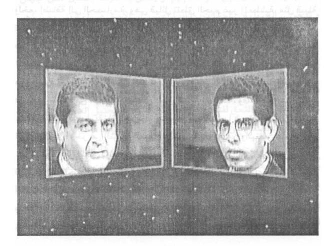
عباس: لنناقش أكثر من قضية

حافظ: ونحاور أكثر من ضيف

عباس: وجها (غير معطشة)

حافظ: لوجه (معطشة)

دون أن يفقد أى منا مصريته!





وجهًا لوجه

(٤٥) أحمد الرزاز... مؤسس إدارة المراسلين!

أزعم أننى كنت طرفا رئيسيا فى تعزيز فكرة انتشار مراسلين إذاعيين فى الخارج فى أواخر سبعينيات القرن الماضى. حدث ذلك بفضل حماسة متدفقة من الزميل الراحل أحمد الرزاز، الذى كان يرأس إدارة المندوبين بالإذاعة. تلك الإدارة كانت تضم فقط مندوبين فى الوزارات والجهات الحكومية ليسجلوا مع المسئولين أحدث أخبار الشئون الحكومية، لتذاع بأصواتهم دون صوت المندوب لاستخدامها ضمن نشرات الأخبار. أراد الرزاز أن ينتقل من مرحلة المندوبين المحليين إلى المراسلين خارج حدود الوطن. وكانت العقبة الرئيسية عدم وجود ميزانية لتمويل أولئك المراسلين، بسبب القيود المالية. فقام بجهد فردى لإقناع أبناء الإذاعة المعارين فى مختلف الدول، مثل عبد الله عمران ومصطفى الزيادى، بأن يبعثوا برسائل صوتية عن طريق التليفون بلا مقابل كضريبة زهيدة لإذاعتهم الأم. وعندما طرح علىَّ الأمر أبلغته بأننى موظف فى إذاعة صوت أمريكا ولابد من الحصول على موافقتها أولا. ومرة أخرى تمكن الرزاز بجهوده الفردية من إقناع رئيس الإذاعة بأن يبعث برسالة إلى مدير صوت أمريكا ليسمح لى بمراسلة إذاعة القاهرة. وقد رحب المدير الأمريكى، بل وسمح لى بأن استخدم أستديوهات الإذاعة وتليفوناتها فى نقل الرسائل الصوتية. ثم ظهرت عقبة أخرى، وهى عدم موافقة الإذاعة على تخصيص أستديو ومهندس صوت لاستقبال رسائلى. مرة أخرى تدخلت إذاعة صوت أمريكا، فى إطار التعاون بين الإذاعتين، وكلفت قسم الإعلام بالسفارة الأمريكية فى القاهرة بتسجيل رسائلى،

ثم يحمل مندوب من القسم الشريط إلى إذاعة القاهرة لبثها. كانت عملية معقدة وكثيرًا ما كانت الرسائل تصل متأخرة ولا تصلح للإذاعة. ومع انتشار المراسلين فى المحطات العربية الأخرى اقتنع المسئولون فى الإذاعة المصرية أخيرا بأهمية وجود مراسلين لها فى الخارج، وقرروا أن يكون التسجيل مباشرة مع الإذاعة. وبدأ المستمعون يعرفون "عباس متولى فى واشنطن"، و"سامى عمارة فى موسكو" و" خميس أبو العافية فى فلسطين" وتلاهم العديد من الزملاء المعارين فى الدول الأخرى. أما التلفزيون فكان قصة أخرى. فقد استعنت بقسم التلفزيون فى وكالة أسوشيتدبرس لتخصيص كاميرا ومصور لنقل رسائلى. ونظرا لأن كل رسالة كانت مكلفة، من حيث حجز وقت على القمر الصناعى لبثها، فقد اقتصر الأمر على رسالة واحدة فى الأسبوع. ومع توثيق العلاقات بين مصر والولايات المتحدة فى عهدى الرئيسيين أنور السادات وحسنى مبارك، ونظرا لأن الأحداث المهمة لا تقع فى يوم ثابت من أيام الأسبوع، عرضت عليهم فكرة للتقليل من التكاليف رحبوا بها فورا. حملت كل بدلى الشتوية والصيفية ومجموعة من ربطات العنق فى سيارتى، واستأجرت كاميرا بمصور لتسجيل ال standup وهى اللقطة التى يظهر فيها المراسل مختتما رسالته التلفزيونية. مررت على كل الجهات المحتملة التى تُعتبر مصادر للأخبار: البيت الأبيض، ومبنى الكونجرس، ومبنى البنتاجون، ووزارة الخارجية وعدد من معالم واشنطن الأخرى، لالتقاط صورة حية لى وأنا أقول عبارة واحدة: "مع تحيات عباس متولى من اشنطن" أمام كل منها، مرة ببدلة شتوية ومرة بملابس صيفية. وجمعت كل هذه اللقطات فى شريط أرسلته إلى التلفزيون فى القاهرة. فإن وقع حدث أو صدر تصريح من أى من تلك الجهات أكتب الرسالة وأسجلها للتلفزيون تليفونيا، وهناك يضيفون إليها الصور أو footage ثم يضمون فى نهايتها صورتى وأنا أوقع اسمى من واشنطن. كانت عملية تنطوى على شىء من الخداع وتفتقد للحرفية. ومثلما استقام الأمر مع الإذاعة استفاق المسئولون فى التلفزيون أخيرا على أهمية المراسلين، لا سيما بعد أن بدأوا يظهرون بكثرة على الفضائيات الأخرى، فتعاقدوا مع الأسوشيتدبرس لتصوير وتسجيل الرسالة بصوتى وتركيب الـ footage وبثها بالقمر الصناعى،

إلى أن وصلنا إلى الوضع الطبيعى وهو أن يكون المراسل فى موقع الحدث فى أى وقت، وبزيه الموسمى الصحيح، فأحيانا ما كان يخطئ المسئولون بإظهارى ببالطو شتوى فى عز حر الصيف!



سامى عمارة



خميس أبو العافية



مبنى الكونجرس



البيت الأبيض

(٤٦)...التقارير التلفزيونية وأوجاعها!

أعشق القاهرة بزحامها وفوضويتها بقدر شعورى بعدم الارتياح فى مدينة جميلة مثل العاصمة الأمريكية واشنطن رغم نظافتها ونظامها. يرتاد العاصمة الأمريكية آلاف السياح من شتى أنحاء الولايات المتحدة والعالم ليستمتعوا بخضرتها ويتثقفوا من متاحفها ويسترجعوا تاريخها بزيارة بيتها الأبيض ومبنى برلمانها ومحكمتها الدستورية العليا، وهى نفس الأماكن التى درجت على زيارتها، ليس للاستمتاع بما هو داخلها وإنما للوقوف أمام واجهاتها الخارجية كخلفية لتقاريرى التلفزيونية. وبعد سنوات من ممارسة هذه العادة المضنية، قررت الاكتفاء بالتقارير الإذاعية التى لا تستنفد مثل هذا الجهد. فعند إعداد تقرير تلفزيونى، يستغرق أقل من دقيقتين كان على أن أمضى ٨ ساعات على الأقل من يومى لإنجازه. كنت أصحو فجرا لأطلع على أحدث الأخبار وأحدد الموضوع الذى يمكن أن يتصدر نشرة الأخبار. ثم أقطع المسافة (٤٠ كيلومترا فى العادة) من منزلى بولاية فيرجينيا، إلى " المعلم" الذى أختاره حيث يكون المصور فى انتظارى بأجهزته، لأقف أمامه وألقى بالكلمة الختامية للتقرير التى أكون قد حفظتها عن ظهر قلب. (٢٥ ثانية على الأكثر). كان أسهلها أمام مبنى الكونجرس حيث كنت أقف على المرج الطويل المترامى بعيدا عن أعين المارة بعد أن أكون قد طفت "كالكعب الداير" بحثا عن مكان للسيارة، وحين أُضطر إلى إيقافها فى الممنوع تصبح هى شاغلى، خوفا على سحبها. يتكرر نفس المشهد أمام مبنى البنتاجون أو

مسلة واشنطن، أو المحكمة الدستورية. أما أمام البيت الأبيض فكان الأمر مختلفا، فهى منطقة تعج بالسياح، ولا بأس فى ذلك. أما إذا تصادف وكان أولئك السياح من اليابان، فحدث ولا حرج. فاليابانيون الذين اخترعوا الترانزيستو والكاميرات الصغيرة مفتونون بتصوير أى شىء وكل شىء، وما أن يشاهدوننى أمام الكاميرا، إلا ويلتفون حولى وأجد نفس محاصرا بوجوه متماثلة، و"هاتك" يا تصوير". ولعلهم يكتفون بذلك، فعادة ما كانوا ينتظرون بعد انتهاء التصوير ليمطرونى بالأسئلة عن محطة التلفزيون التى أعمل بها وطبيعة هذه اللغة العجيبة التى أتحدث بها. وبعد أن أكون قد أمضيت نحو ساعتين لالتقاط العشرين أو الخمس وعشرين ثانية، أدخل مرة أخرى فى غمار البحث عن مكان لركن السيارة بالقرب من مبنى وكالة أسوشيتدبرس التى تتولى التسجيل الصوتى للتقرير وتزويده بلقطات الفيديو المناسبة ثم إرساله فيما بعد بالقمر الصناعى إلى محطة التلفزيون فى القاهرة أو الكويت أو تونس حسب جدول العمل. ومتى دخلت هذ المبنى أبدأ فى التسجيل الصوتى لمضمون التقرير، لتبدأ بعدها عملية "المونتاج" المضنية، ليخرج بعدها التقرير كاملا مترابطا بصوره وتعليقاته. وهى عملية تستغرق من ساعتين إلى ثلاث ساعات حسب براعة" المونتير". ويحالفنى الحظ حين يكون المونتير هو" خلدون الراوى" ذلك المصور العراقى -المصرى الدمث الخلق والمبدع فى حرفته. كان من بين المصورين الأساسيين لبرامجى الحوارية ("لقاء على الهواء" على شبكة ANA و"من أمريكا" على شبكة MBC. وكانت سعادتى مضاعفة، بصفتى واحدا من أبناء صوت العرب، أن أكتشف أن خلدون هو ابن المخرج العراقى عدنان الراوى، الذى ارتبط اسمه فى أواخر الخمسينات بإخراج برامج سياسية فى صوت العرب، كان أبرزها محكمة المهداوى التى تأسست فى العراق عام ١٩٥٨، بأمر من عبد الكريم قاسم رئيس وزراء العراق واستمرت حتى سقوط نظام عبد الكريم قاسم عام ١٩٦٣. وقد حاكمت رجال العهد الملكى، ورجال ثورة الشواف عام ١٩٥٩، ومحاكمة الرئيس الأسبق عبد السلام عارف بتهمة محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم، وكذلك

محاكمة عدد من البعثيين والقوميين الذين اتهموا بمحاولة اغتيال قاسم عام ١٩٥٩. كان خلدون، الذى يبدو أنه ورث فن الإخراج عن أبيه، يعرف جيدا كيف يضع الصورة المناسبة فى الموقع المناسب من التقرير، وكثيرًا ما كان يقترح على تعديلات تكون دائما موضع ترحيب من جانبى. ويعود ذلك إلى أنه يتقن اللغتين العربية والإنجليزية، بخلاف غيره من الأمريكيين الذين يؤدون هذه المهمة ويستدعى الأمر وقتا أطول فى التواصل. وبعد أن أقضى الساعات الطوال فى واشنطن، أعود أدراجى إلى البيت مستنفد القوى! أما التقارير التى كانت مرتبطة بأماكن بعيدة خارج حدود العاصمة الأمريكية، فكانت تستغرق يومًا كاملا وربما تتطلب المبيت فى أحد الفنادق القريبة من موقع الحدث. كانت أصعبها المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية التى أسفرت عما يسمى باتفاق واى ريفر حيث توجد قاعة المؤتمرات وسط هذه المروج الخضراء المطلة على نهر واى بولاية ميريلاند، وهى تبعد نحو ٨٥ كيلومترا عن واشنطن. حضرت المفاوضات فى معظم دوراتها باستثناء المرة الأخيرة، فى نوفمبر ١٩٩٨. وكانت مفاوضات عقيمة بسبب تعنت رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو، الذى طمأن حكومته آنذاك بأنه حتى بعد تنفيذ اتفاقية واى ريفر فإن الإسرائيليين سيظلون محتفظين بالسيطرة الأمنية على ٨٢٪ من الضفة الغربية وقطاع غزة، حتى بعد أن انسحب الكيان الإسرائيلى من ٣٤ بلدة وقرية شمال الضفة. وأطلق سراح ٢٥٠ سجيناً فلسطينياً معظمهم مجرمون عاديون وليسوا معتقلين سياسيين. ثم عاد مجلس الوزراء الإسرائيلى فقرر توقيف العمل بالاتفاقية فى ٢٠ ديسمبر ١٩٩٨. وعاد الإسرائيليون إلى عادتهم، التى لم يتخلوا عنها إلى يومنا هذا، فى فتح وإغلاق "صنبور" تنفيذ الاتفاقيات كما يشاؤون سعياً لابتزاز تنازلات جديدة؛ ولذلك لم أندم على ما فعلته حين تأخرت عن الجلسة الأخيرة من المفاوضات. فتحت ضغط الوقت، كان من المستحيل أن أصل إلى منطقة واى ريفر فى الموعد المناسب لتصوير التقرير، فهدانى تفكيرى الخبيث إلى البحث فى واشنطن عن منطقة تشبه منطقة واى ريفر فى خضرتها ومسطحها النهرى لأدلى من أمامها بالتعليق

النهائى، ووجدت ضالتى فى منطقة "هاربر واشنطن" المطلة على نهر البوتوماك. وحتى يلحق التقرير بالقمر الصناعى فى موعده، قلت أمام الكامير بكل ثقة، سامحنى الله، وأنا أقف أمام النهر فى واشنطن: "مع تحيات عباس متولى من واى ريفر بولاية ميريلاند"!



خلدون الراوى







(٤٧) السادات..نجم التلفزيون الأمريكى!

سيسطر التاريخ أن شعبية الرئيس الراحل أنور السادات فى الولايات المتحدة لم يحظ بها أى زعيم عربى آخر. أليس هو أول رئيس عربى يوقع معاهدة سلام مع إسرائيل؟ أليس هو من قال إن حرب أكتوبر هى آخر الحروب مع الدولة الصهيونية..أليس هو من قال إن ١٠٠٪ من أوراق اللعبة فى يد الولايات المتحدة؟ كان رجل إعلام بمعنى الكلمة، ويعرف قيمة الصورة التلفزيونية وقوة الإعلام الأمريكى، فلم يجتذب اهتمام وسائل الإعلام الأمريكية وحسب، بل صار من نجوم المجتمع الأمريكى حيث لا أعتقد أن أمريكيا واحدا لا يعرف أنور السادات. كنت أغطى واحدة من لقاءاته مع رجال الأعمال الأمريكيين لإذاعة صوت أمريكا فى واشنطن، ولا أنسى تساؤله التاريخى أمامهم: كيف لبلد مثل مصر تكون فقيرة، وعندها قناة السويس، وتطل على البحرين الأبيض والأحمر، ولديها نهر النيل العظيم، وبحيرات طبيعية وصناعية، وثروة معدنية وبترولية هائلة، وقوة عاملة فاعلة فنية من المهندسين والعمال والخبراء فى كافة الميادين؟ تساؤل استطاع السادات أن يستنفر به رجال الأعمال الأمريكيين الذين انتشرت مشاريعهم بعد ذلك فى ربوع مصر. كان هناك مشروع قومى رائع لم ير النور، وهو تنمية سيناء. فى ذلك الوقت، من ثمانينيات القرن الماضى، استعان بيت خبرة أمريكى بى لأترجم مشروعا شاملا لتنمية سيناء على مدى السنوات العشرين المقبلة لتقديمه إلى الرئيس السادات أثناء وجوده فى واشنطن. وكان

هذا المشروع يقضى بنقل مليونى مصرى إلى سيناء بحلول عام ألفين، والاستفادة بمساحات شبه الجزيرة الهائلة فى الزراعة والتعدين والسياحة. كنت سعيدا بترجمة هذا المشروع الذى تسلمه الرئيس السادات خلال تلك الزيارة. والآن وبعد مرور أكثر من ثلاثين عامًا بدأنا نتحدث عن تنمية سيناء، بعد أن اختفى هذا المشروع، على ما يبدو، فى أدراج البيروقراطية المصرية. وهى نفس البيروقراطية التى رفضت تجديد إعارتى وإعارة زملائى بصوت أمريكا. وكان علينا أن نجدد تلك الإعارة وندفع الاشتراكات فى نظام التأمين الاجتماعى كل سنة. وهددنا المسئولون بالإذاعة المصرية بالفصل إن لم نعد لاستلام أعمالنا فى القاهرة. واغتنمنا فرصة وجود السادات فى واشنطن، فأبلغناه بالأمر فثار غاضبا وقال ما معناه إننا نريد أن ينتشر أبناؤنا فى أنحاء المعمورة لأنهم سفراء لنا ويمثلون ثروة لنا فى بلاد العالم. وكان قراره الفورى التجديد التلقائى لكل المصريين المعارين للخارج. كانت هذه هى عقلية السادات الانفتاحية قبل أن تتحول فى نهاية عهده وطوال عهد حسنى مبارك إلى انفتاح "السداح مداح" على رأى كاتبنا العظيم الراحل أحمد بهاء الدين، أول من تحدث عن الاتجاه غربا، فى تعبير استخدمه السادات فيما بعد ويتمثل فى نقل الكثافة السكانية باتجاه الصحراء الغربية وتنميتها. وكان أحمد بهاء الدين هو مروج اقتراح لمهندس مصرى فى السبعينيات لم يتحقق إلى اليوم، وهو مد فرع من النيل فى أنابيب من الصعيد إلى منخفض القطارة لتحويل المنخفض إلى بحيرة عذبة وما يتيحه هذا من تحويل الصحراء الغربية إلى واحة خضراء. ثم يأتى مهندس مصرى شاب بعد أكثر من أربعين عامًا ليتحدث عن سد فرع دمياط عند المصب ومد أنابيب من مصب فرع رشيد تحت مياه البحر المتوسط لتمتد غربا لتصب فى منخفض القطارة. وها نحن اليوم نتحدث عن ممر التنمية فى نفس المنطقة ولا أدرى إن كان المشروع الطموح سيوضع موضع التنفيذ، مثلما لاحت تباشير قناة السويس الثانية، أم سينضم إلى أخواته فى أدراج البيروقراطية المصرية!



عبدالعاطي سالمان (مشروع العصر لتنمية مصر)


ABC Photo Archives via Getty Images

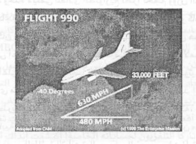
(٤٨)....حادثة البطوطى وفساد قطاع الأخبار

تعاملت قرابة خمس سنوات مع التلفزيون المصرى كمراسل له من واشنطن، وكانت سنوات حافلة بالأحداث التى قمت بتغطيتها وحققت فيها الكثير من السبق. بيد أن الأمر تغير بعد إحالة رئيس قطاع الأخبار إلى التقاعد وإحلال رئيس آخر محله. ورغم معرفتى الشخصية بالرئيس الجديد، فقد حدث انقلاب فى موقفه منى لم أعرف تفسيره إلا بعدها بعدة سنوات. وكان اليوم الفصل هو ٣١ أكتوبر ١٩٩٩. فى ذلك اليوم المشئوم تحطمت الرحلة ٩٩٠ من طائرة مصر للطيران البيونج، وقتل ٢١٧ شخصا من بينهم طاقمها المؤلف من أحمد الحبشى وجميل البطوطى وعادل أنور ورؤوف محيى الدين. فبعد أن جمعت ما يلزم من المعلومات توجهت إلى أقرب مطار ليكون بمثابة خلفية لتقرير صورته حول مستجدات الحادث. وفوجئت بأن التلفزيون لم يذع تقريرى. وكانت حجة رئيس القطاع فى هذا التغيير المفاجئ أننى أقدم فى شبكة تلفزيون MBC برنامج "من أمريكا" بدون إذن. وكانت حجة واهية لأننى كنت قد حصلت بالفعل على التصريح من رئيس الاتحاد السابق. ورضيت بأنه مع تغير الوجوه تتغير السياسات، ومع إغلاق باب تلفزيون بلدى فى وجهى، فتح الله أمامى أكثر من باب مع فضائيات أخرى بشروط أفضل ومعاملة أحسن وأجر مضاعف. وواصلت تغطية الحادث الجلل للإذاعة تاركا التلفزيون لحساباته الخاصة! اكتشفت آنذاك أن تقرير هيئة سلامة الطيران الأمريكية عن الحادث تعمد إخفاء بعض الحقائق وبنى

افتراضاته على أن مساعد الطيار المصرى جميل البطوطى تعمد الانتحار وإسقاط الطائرة وذلك بسبب الجملة التى قالها وسجلها الصندوق الأسود وهى (توكلت على الله)، مما يحمّل شركة مصر للطيران المسئولية عن التعويضات، فضلا عن الإضرار بسمعتها كشركة طيران عالمية، وبالتالى إخلاء المسئولية عن أجهزة الأمن الأمريكية. بيد أن أحد الطيارين الألمان الذى كان على خط ملاحى قريب من الطائرة المصرية أعلن أنه شاهد، جسماً غريباً يمر بالقرب منه قبل وقوع الكارثة بثوان، ويتجه إلى الطائرة المصرية، مما أدى إلى سقوطها فى مياه المحيط وانفجارها لتتحول إلى أجزاء متناثرة. وهو أمر يثبت أن الطائرة كانت مستهدفة لوجود وفد عسكرى "مهم" مؤلف من ٣٣ شخصا على متنها وكذلك ثلاثة خبراء فى الذرة وسبعة خبراء فى النفط وغيرهم. وقد أكد ذلك تقرير علمى أعده الدكتور محمد إبراهيم معوض، جاء فيه " أن تأخر الطائرة عن الإقلاع لمدة ساعتين يترتب عليه احتمالات عدم إدراجها على كمبيوتر وسائل الدفاع الجوى، وبالتالى تعاملت معها وسائل الدفاع الجوى الأمريكية كطائرة معادية وأسقطتها بالصواريخ". وخلصت أيضا فى تقاريرى الإذاعية إلى أن ادعاء تهمة انتحار الطيار البطوطى هى ذاتها دليل نفى، حيث إن كثرة تكراره لعبارة "توكلت على الله" لا يقولها المنتحر، وإنما كانت نتيجة تقييمه للموقف، حيث إن القيام بالمناورة وحده لايكفى لتفادى الصواريخ نظرا لحجم ووزن الطائرة وبالتالى فهو كان فى حاجة إلى معجزة من الله لتفادى وقوع الكارثة. ولو كانت هناك أدنى نية للانتحار كان من المنطقى أن ينطق بالشهادتين ويستمر فى هبوطه بالطائرة حتى يستقر فى أعماق المحيط، ولكن الثابت من بيانات الهيئة الأمريكية أنه اتجه بالطائرة إلى أعلى مرة ثانية. وأيضا لم تثبت التسجيلات الصوتية التى اذاعتها الهيئة وجود أى محاولات من زملاء البطوطى لإبعاده عن مقعد القيادة، وبذلك تنتفى تماما نظرية محاولة الانتحار. وبعد ١٤ عامًا من الحادثة، حاولت جماعة الإخوان الإرهابية النيل من عبد الفتاح السيسى بادعاء أنه كان من المفترض أن يعود على متن نفس الطائرة إلا أنه تعلل ببعض الخصوصيات للبقاء فى أمريكا؛

وهو ما يؤكد حسب مزاعم لجانها الإلكترونية علمه المسبق بالحادث. إلا أن الحقائق أكدت وقتها تواجد السيسى فى القاهرة؛ وأنه لم يكن ضمن البعثة من الأساس، ولم يكن موجودا على قوائم المسافرين على الطائرة. كما مضى وقت طويل قبل أن أعرف السبب الحقيقى لإبعادى عن التعامل مع التلفزيون المصرى. فقد انجلت الصورة أكثر، بعد أن قرأت كثيرى عن واقعة القبض على رئيس قطاع الأخبار فى مكتبه بماسبيرو متلبسًا بالصوت والصورة وهو يتلقى رشوة من معد برنامج "صباح الخير يا مصر" لقاء ظهور أحد الأطباء فى البرنامج، فيما عُرفت آنذاك عن جدارة بفضيحة "صباح الفساد يا مصر" !





(٤٩)..... وردية الليل فى صوت أمريكا

منذ أن تجمد لعابى فى حلقى وأنا أقف على محطة الأوتوبيس بمنطقة أنانديل بولاية فيرجينيا فى يوم انخفضت فيه الحرارة إلى ما دون الصفر بكثير، قررت أنه لا قبل لى بالعمل فى وردية النهار بإذاعة صوت أمريكا، التى كانت تبدأ فى الثامنة والربع صباحًا لتنتهى فى الخامسة مساء. فقيادة السيارة للوصول إلى مقر العمل فى واشنطن تحول دونه عقبات كثيرة أقلها كثافة المرور وازدحامه وأصعبها محاولة العثور على موقف انتظار للسيارات. أما وردية الليل، التى أمضيت بها ثلاثة أرباع مدة خدمتى بالإذاعة، فكانت تبدأ فى الثامنة مساء لتنتهى فى الرابعة صباحًا. فمواقف انتظار السيارات كانت متوفرة وبالمجان أمام باب الإذاعة. ومن تعود مثلى على سهرات القاهرة لا يضيره تحمل البقاء يقظا حتى فجر اليوم التالى. وكان للعمل ليلا فوائد جمة، أولا: إضافة بدل" سهر" إلى الراتب. ثانيا قلة ساعات العمل إذ تقتصر على ثمانى ساعات فقط دون إضافة الثلاثة أرباع الساعة للغداء. ثالثا: خفوت النشاط الإخبارى أثناء الليل. رابعا: قلة عدد العاملين الذى لا يتجاوز رئيس التحرير وثلاثة أو أربعة من المذيعين المترجمين. وكنت أنا وزميلى عاطف كامل من رواد تلك الفترة حتى تركنا الإذاعة سويا عام ١٩٩٥. ويبدو أن الراحة المهنية، أو ربما الحافز المادى، كان وراء اجتذاب زملاء آخرين أرادوا مشاركتنا فى صفاء الجو والبعد عن الصخب والاسترخاء على الكراسى وقت "الهدوء" الإخبارى، والغفوة أحيانا. كانت الصحبة

تضم زملاء رائعين، فإلى جانب عاطف كامل، كان هناك حافظ الميرازى، ومحمد العلمى، وثابت البرديسى، ومحمد السطوحى، وحسن أبو ناصيف، وهالة عرفة، وجمال العدل، وصفية أبو شادى ويوسف سفرى. لم يقطع علينا هدوءنا فى العمل سوى انضمام نيقولا حنا إلينا لفترة مؤقتة. وبعد أن عاد أدراجه، ظل صوته الجهورى الذى كان يوقظ الموتى، يلاحقنا كالصدى. ومع ذلك كان له صوت جميل، لا سيما حين يفاجئنا ويشنف آذاننا ببعض المواويل أو حتى بترتيل بعض آيات من القرآن الكريم رغم أنه مسيحى! عيبه الوحيد أنه لم يكن يهدأ أو يغفو مثلنا فى غير أوقات الذروة ويظل يقظا حتى بعد أن تجحظ عيناه بالاحمرار. على العكس تماما من محمد العلمى الذى كان يقبع فى مكتبه يترجم الأخبار فى هدوء ولا تسمع له صوتا إلا ضحكة مفاجئة على نكته مصرية تقطع سكون الليل. كانت ترجمة العلمى، وأنا رئيس للتحرير، ملفتة للنظر ومختلفة عن ترجمات زملائه، وقلما وضعت فيها قلمى للتصحيح. لم تكن لغته الفصحى تشى فقط بإتقان لغوى وحسب، وإنما كان يجنح دوما إلى صياغة أقرب إلى النص الأدبى، المثير لإعجابى، علاوة على اتقانه اللغة الإنجليزية كأحد أبنائها. أما حافظ الميرازى، المعارض الأزلى لأى شىء وكل شىء، فكان فى حالة قلق دائم، لا يعجبه العجب ولا الصيام فى رجب! سيطرت عليه فكرة الانطلاق إلى آفاق أرحب، وانتهى به المطاف فى العمل مع قناة الجزيرة، التى حالما تركها إلى قناة العربية، ثم إلى قناة دريم، ثم قناة الحياة إلى أن حط رحاله، حاليا على الأقل، فى قناة الـ BBC.. وقبل هذه الرحلة تزاملنا فى تقديم برنامج تلفزيونى بالشبكة العربية الأمريكية ANA تحت عنوان" وجها لوجه" على غرار البرنامج الأمريكى Cross fire. وكان العيب الوحيد لعاطف كامل رفيق الرحلة من صوت العرب فى القاهرة إلى جزيرة رودس ثم إلى واشنطن، أنه من مؤيدى السادات بينما كنت أنا ولا زلت ناصريا حتى النخاع، ولم يفسد ذلك لصداقتنا الحميمة قضية، بل إنه انضم إلى معسكر الناصريين بعد ثورة ٢٥ يناير وتعززت ناصريته بعد سقوط حكم الإخوان، وقيام ثورة ٣٠ يونيو. من عيوبه الأخرى ذلك الضجيج الذى كان يثيره مع هالة

عرفة حول من عليه الدور لعمل الشاى، وهو أمر لا يهمنى فى قليل أو كثير لأننى أصلا لا أشرب الشاى ولا القهوة، وإنما أشرب "أزوزة"! ومع اكتظاظ صوت أمريكا بمذيعين محترفين من مختلف الدول العربية، كانت "هالة عرفة" إنتاجا محليا صرفا. فقد دخلت الإذاعة من واشنطن دون خلفية إذاعية سابقة، وتولى الزملاء تدريبها لتصبح فى وقت قصير جدا من أفضل مذيعات القسم العربى لغة وصوتا. ثابت البرديسى، كانت له معزّة خاصة فى قلبى، فعلاوة على كفاءته، كان متدينا ومتمسكا بأخلاق الإسلام الحميدة، وقد عاوننى أنا والزميل محمد الشناوى فى إقامة مصلى فى زاوية من غرفة "المونتاج"! كان ثابت شغوفا هو الآخر باحتساء الشاى طوال الليل لمساعدته على مغالبة النوم. ولكن ما لفت نظرى أنه كان يشربه فى "برطمان" رغم احتفاظه فى درج مكتبه بعدد من الأكواب، ولما سألته قال إن عليك أن تجرب لتتذوق الفرق بنفسك! وهو يعلم جيدا أننى لن أفعل. وكان زميلنا اللبنانى حسن أبو ناصيف لا يقطع الملل، مثلا، بالغفوة أو الكلمات المتقاطعة، وإنما فى "تفقية"، أى التهام، حصته الليلية من الجريب فروت! أما فى وردية النهار التى اضطررت إلى الفرار منها فى نهاية المطاف، فكانت معركتى مع مدخنين من أمثال فوزى البكرى ويوسف سفرى وعبد الرحمن زياد، الذين، كغيرهم من المدخنين، لا يراعون أمثالى ممن لديهم حساسية مفرطة ضد التدخين. ولطالما ضاقوا ذرعا بنصيحتى أن يقلعوا عن التدخين حفاظا على "صحتى"!. وقد أحسست بشماتة بالغة وأن أرى أولئك المدخنين يبتلعون دخانهم على قارعة الطريق، بعد أن حظرت الحكومة الأمريكية التدخين داخل بناياتها. وكان الزميل الفلسطينى ثابت صوان "يسمع" هذه المعركة فى هدوء يُحسد عليه. فقلما كان يرفع وجهه عن خبر يترجمه أو برنامج يعده، بكل كفاءة واقتدار. وهذا ليس غريبا عليه، فهو الذى تربى فى غرفة الأخبار بالإذاعة المصرية على أيدى كبار المحررين بالبرنامج العام، من أمثال إسحق حنا وإبراهيم وهبى وعبد الفتاح هلال. صاحبت أيضا محمد السطوحى ذلك المثقف الواعى، الذى تنبأت له بمستقبل إعلامى باهر حين كان يجرى معى مقابلات هاتفية من القاهرة لإذاعة

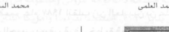
الشرق الأوسط، ولم يخيّب ظنى حتى بعد أن ترك صوت أمريكا واستقل بذاته.
أما أحدث مذيع وافد، جمال العدل، فقد كان بالغ الحماسة لتعلم فنون الترجمة مثلما أتقن فنون الشراء بأرخص الأسعار وقت التنزيلات. أذكر أنه تفاخر يومًا بشراء أكبر بطيخة فى السوق، ولكن ذلك كلفه السقوط فى قاع حاوية البطيخ وهو يناور للفوز بها! ولا أنسى الفترة التى عملت فيها مع رئيسة التحرير صفية أبو شادى إبنة أحمد زكى أبو شادى الشاعر والطبيب المصرى، الذى كان علما من أعلام مدرسة المهجر الشعرية، ورائدًا لحركة التجديد فى الشعر العربى الحديث، وإليه يُعْزَى تأسيس مدرسة "أبوللو" الشعرية التى ضمّت شعراء الرومانسية الوجدانية فى العصر الحديث. لم تكن شاعرة كأبيها، ولكنها كانت دقيقة فى عملها ولا تخفى إعجابها بترجمتى لا سيما حين كنت أقلب الجملة رأسا على عقب حتى تصبح عربية صرفة ولا يحس المستمع أنها مترجمة. كانت دمثة الخلق، ولم تشأ الظروف أن تتزوج وعاشت وحيدة حتى فارقت الحياة وقد تخطت الثمانين من عمرها. كانت مهمومة دائما بالحياة بعد الموت، وحين حاولت مداعبتها بمقولة الملحدين بأنه "لا حياة بعد الموت" كان ردها العفوى: " يا لهوى.. ده يبقى مقلب"!. ولكنى ذكرّتها بقول أبو العلاء المعرى:

قال المنجم والطبيب كلاهما .... لا تُحشر الأجسادُ قلت : إليكما
إن صحّ قولكما فلستُ بخاسرٍ........ أو صحّ قولى فالخسار عليكما

رحمها الله. ومن شخوص صوت أمريكا التى يجب أن تُنسى، أفيفا أدير، التى اختارت لنفسها اسم فايزة، تلك المذيعة اليهودية من أصل عراقى التى فرضتها الإدارة علينا بحجة تكافؤ الفرص أمام أى أمريكى ملم باللغة العربية. وقد حاول الجميع تحمل صفاقتها التى كانت تصل أحيانا إلى حد التشكيك فى مهنية زملائها. ولكنها هى نفسها لم تحتمل البقاء فى محيط رافض لوجودها بمثل رفض العرب لوجود إسرائيل ذاتها، فانسحبت من الإذاعة فى هدوء، ولعل إسرائيل تحذو حذوها! كما لا أنسى ذلك المذيع الأردنى الذى لا أذكر اسمه لأنه لم يمض معنا سوى بضعة أشهر. فقد كان ضابط شرطة قام قريب له بالسفارة

الأمريكية فى عمّان "بتغشيشه" امتحان الترجمة وأتاح له فرصة الالتحاق بصوت أمريكا. وكان رئيس القسم العربى سلمان حلمى هو المسئول عن توظيفة. وكنت أعايره دائما، وهو يمارس عادته فى حك ظهره بالحائط، ربما نتيجة مرض جلدى، بالقول" يا أستاذ سلمان إن المذيعين عملة نادرة لا يمكن العثور عليها فى محطات الأوتوبيس أو أقسام الشرطة"!





محمد العلمى

محمد السطوحى





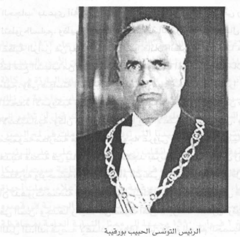
الشاعر أحمد زكى أبو شادى

(٥٠)... لكل أجل كتاب

فى أعقاب الاغتيال المفاجئ للرئيس الأمريكى جون كيندى عام ١٩٦٣، وهرولة وسائل الإعلام للتأريخ لفترة رئاسته القصيرة، صار من الأمور البديهية والضرورية إعداد ملفات أو "بروفايل" مسبقة عن الشخصيات البارزة فى كافة المجالات السياسية والاجتماعية والفنية، حتى إذا ما غابت واحدة من تلك الشخصيات عن الساحة تكون معلومات التأبين جاهزة، وذلك قبل أن تظهر إلى الوجود مواقع الإنترنت مثل الويكيبيديا التى توفر تلك المعلومات فى لمح البصر.
وفى السابع من نوفمبر عام ١٩٨٧ انقلب زين العابدين بن على، على الرئيس التونسى المخضرم الحبيب بورقيبة، فى خطوة قمنا فى إذاعة صوت أمريكا بتغطية شاملة لها. ورغم حجب أخبار بورقيبة عن وسائل الإعلام، حملت أجهزة "التيكرز" إلينا رسالة من بورقيبة سربها من مقر إقامته الجبرية فى قصره بالمنستير بتاريخ ٢ فبراير ١٩٩٠ وجهها إلى ممثل النيابة العامة بمحافظة المنستير يشكو فيها ظروف إقامته وعزله وحرمانه من التنقل والخروج من دون موجب قانونى. كما حملت إلينا محاولات بورقيبة المتكررة الانتحار فى مقر إقامته الجبرية. ورغم إنجازات بورقيبة فى مجال إصلاح التعليم وامتداده حتى إلى القرى النائية، فضلا عن تشريعاته لحماية المجتمع والأسرة، كانت له فى أواخر أيامه قرارات عجيبة تذكرنا بأوامر الحاكم بأمرالله الفاطمى الذى حرّم على المصريين أكل الملوخية والجرجير وأمر بقتل جميع الكلاب ماعدا كلاب

الصيد! ففى عام ١٩٦٢ أمر بورقيبة بمنع صيام العاملين فى الدولة لأنه يقلل الإنتاجية واقترح أن يعوّض الموظف أو العامل عن الأيام التى أفطرها عندما يحال إلى التقاعد أو فى غير أوقات العمل! وفى ٢٩ إبريل ١٩٦٤ حاول بورقيبة ثنى الحجاج التونسيين عن أداء مناسك الحج فى السعودية لما اعتبره إهدارا للعملات الصعبة التى تمس لها حاجة البلاد، ودعا بدلا من ذلك إلى التبرك بمقامات وأضرحة الأولياء. وفى عام ١٩٨١ أصدر قانونا يحظر على النساء ارتداء "الحجاب" بدعوى أنه يمثل مظهرا من مظاهر الطائفية وينافى روح العصر وسنة التطور السليم. وظهر بورقيبه على شاشة التلفزيون فى احتفال شعبى وهو ينزع أغطية الرأس عن بعض النساء قسرا قائلا "انظرى إلى الدنيا من غير حجاب". كما منع الشباب من أداء صلاة الفجر، وبدأت المخابرات فى ملاحقة من يصلون منهم. وفى سياسته الخارجية تحالف بورقيبة مع الغرب معتبرا أن نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية يشكل عنصر استقرار يحمى العالم من نوع من الأنظمة الاستبدادية. وكان هو أول من دعا إلى الاعتراف بإسرائيل. وعندما تسربت مجموعة معارضة مسلحة ذات توجه عروبى ومدعومة من ليبيا، وسيطرت على مدينة قفصة فى يناير ١٩٨٠، استنجد بفرنسا وأمريكا اللتين زودتاه بمساعدات عسكرية ولوجستية، مكّنت النظام التونسى من إنهاء التمرد بأقل التكاليف. وبعد أن تدهورت صحته نتيجة زوال السلطة واستمرار حبسه فى قصره، مع تقدمه فى السن، وجدها زميلنا فى صوت أمريكا يوسف سفرى، رئيس تحرير وردية الليل آنذاك، فرصة لإعداد "بروفايل" عن فترة الحكم الخصبة والمثيرة للجدل للحبيب بورقيبة يدرجه فى برنامج خاص يذاع لدى إعلان وفاته مباشرة، فيحقق بذلك سبقا على الإذاعات الأخرى. فأخذ يجمع أكبر قدر من الشرائط الصوتية لخطبه وأكبر قدر من المعلومات عن نشأته وحياته السياسية منذ استلامه الحكم عام ١٩٥٦ إلى تم عزله عام ١٩٨٧. وتمر الأيام والشهور والسنون والأخ يوسف لا يزال يجمع ويحضر للبرنامج الإذاعى الموعود الذى ستنفرد موجات صوت أمريكا ببثه لحظة إعلان الوفاة. وأصبحت حياة بورقيبة هاجسا يسيطر

على يوسف سفرى، لدرجة أننى قلت له مداعبا" لا تتعب نفسك، فلربما تموت أنت قبل أو يرحل هو عن الدنيا، وبالتالى يذهب كل جهدك هباء منثورا". وبعد هذه السنوات، لا أعرف مصير الشرائط والمواد الإذاعية عن حياة بورقيبة، ولا أظن أنها أذيعت على الإطلاق، فقد توفى بورقيبة فى ٦ إبريل عام ٢٠٠٠، بعد خمس سنوات من استقالتى من إذاعة صوت أمريكا، وربما بعد فترة من إحالة يوسف سفرى إلى التقاعد!



الرئيس التونسى الحبيب بورقيبة

(٥١) إعلام عربى يتبلور فى أمريكا!

بالنظر إلى أننى دخلت الإذاعة أول مرة من أصعب الأبواب وهو قراءة نشرات الأخبار على الهواء. ظل افتتانى بالعمل على الهواء يصاحبنى حتى بعد أن غادرت صوت العرب للعمل بإذاعة صوت أمريكا فى جزيرة رودس اليونانية عام ١٩٧٥ ثم إلى واشنطن عام ١٩٧٧. نعم قدمت فى القاهرة أول برنامج حوارى على الهواء،"من غير مونتاج"، ولكن قيوده كانت كثيرة، أهمها أن المتصل يقدم السؤال خارج الهواء مع مهندس الصوت الذى ينقله بدوره إلى أنا وزميلتى "أمانى كامل". لذلك حين سنحت الفرصة لتقديم برنامج إذاعى فى واشنطن على الهواء مع بث صوت المتصل فى دولة لا قيود فيها على حرية الإعلام، أمسكت بتلابيبها. بدأت القصة حين وصل من لندن الأستاذ محمد البدراوى، وهو رجل أعمال مهموم بالعمل الإعلامى داخل المهجر. اتصل بى دون سابق معرفة بتوصية من زميل فى إذاعة لندن. وناقش معى فكرة إقامة إذاعة عربية لتصل إلى المستمعين من أبناء الجالية العربية، كوسيلة لنشرة اللغة ولم شمل العرب الأمريكيين على قضايا مشتركة سواء أكانت داخلية أم خارجية تناقش كل ما يتعلق بأحداث الشرق الأوسط. وبعد إنشاء الإذاعة فى عام ١٩٩٢، وُلد برنامجى "لقاء على الهواء". وكانت تجربة ثرية إلى حد بعيد، حيث كان المستمعون يدلون بآرائهم بحرية طالما حلمت بها. وبعد أن نجحت الإذاعة فى ربط الجالية العربية، قرر البدراوى أن يتقدم خطوة أكبر نحو إنشاء محطة تلفزيون عربية تؤدى نفس الدور. وكان ميلاد

"الشبكة العربية الأمريكية " ANA عام ١٩٩٢. كانت تجربة تقديم برنامج حوارى لمدة ساعة على الهواء فى محطة تلفزيونية أكثر ثراء ورحابة. فعلى مدى سبع سنوات قدمت أكثر من ٣٥٠ حلقة استضفت فيها لفيفا متباينا من قادة الرأى وخبراء الاقتصاد ورجال السياسة والفن داخل الولايات المتحدة وخارجها، لعل من أبرزهم الدكتور إبراهيم عويس الذى درّس الاقتصاد للرئيس الأمريكى الأسبق بيل كلينتون، والمعارض الكردى هوشيار زيبارى الذى أصبح وزير الخارجية بعدغزو العراق، ونجوى إبراهيم، ووجدى الحكيم، وتوجان فيصل، والسفير أحمد ماهر السيد، وعبد الستار الطويلة، والدكتور رشدى سعيد، والمخرج الشهير مصطفى العقاد، والرئيس اللبنانى أمين الجميل، والداعية عمر عبد الكافى، وحسن كامى، ومارسيل خليفة، والدكتور كلوفيس مقصود، وياسر عرفات، والدكتور حيدر عبد الشافى، وهانى شاكر، والدكتور أحمد فتحى سرور، وزاهى حواس، ومحمود السعدنى، ومروان كنفانى، والزعيم السودانى الصادق المهدى، وآمال فهمى، والدكتور إدموند غريب، وألفريد فرج، والدكتورة حنان عشراوى ومئات غيرهم. ورغم المواقف المتباينة التى تعرضت لها بسبب العمل على الهواء من مشاهدين يملكون حرية النقاش فى أكثر القضايا حساسية مثلما يملكون حرية السباب والاعتراض والسفسطة أحيانا، خرجت من التجربة يحدونى أمل كبير فى أن تمتد إلى العالم العربى. والتقطت محطة MBC الخيط، وقدمت من خلالها البرنامج الحوارى الحى " من أمريكا"، الذى وصلت به إلى مشاهدى العالم العربى بأسره، ثم انتشرت مثل هذه البرامج فى جميع الفضائيات العربية كمسرى النار فى الهشيم، حتى أنك إذا فتحت حنفية المياه انطلق منها "توك شو" عربى!


CALL IN LINE
703-461-0400


لوس انجلوس
واشنطن



(٥٢) الفضائية المصرية تفشل فى ريادة السوق الأمريكية!

كان ذلك عام ١٩٩٥ حين طُلب منى، بصفتى مراسل التلفزيون المصرى فى واشنطن، توفير الاستشارة الفنية والبرامجية، مثل التعويض عن فروق التوقيت، والالتزام ببث النشرت الإخبارية والأحداث المهمة على الهواء مباشرة، وإعداد خطة دعائية للترويج للفضائية المصرية وخلافه، لشركة "ديناميك" التى أبرم معها اتحاد الإذاعة والتلفزيون، فى ظل رئاسة أمين بسيونى وبأمر من وزير الإعلام صفوت الشريف، عقدا لإعادة بث إرسال الفضائية المصرية فى الولايات المتحدة وكندا. وفى معرض التجهيز لاستقبال أول فضائية عربية يتشوق لها أبناء الجالية المصرية والعربية فى القارة الأمريكية، أشرفت بالفعل على المواد الدعائية للمحطة الجديدة، وجمعت آلافا من عناوين المصريين والعرب لنبشرهم بقدوم الوافد الجديد. كان الناس هنا فى لهفة غير عادية للاستمتاع بمشاهدة فيلم أو مسلسل مصرى أو متابعة أخبار وأحداث الوطن. وبعد أن رفضت شركات عدة استقبال الفضائية المصرية، قبلتها شركة "ألفاستار" للخدمات الفضائية وتابع المشاهدون فى أنحاء أمريكا وكندا لأول مرة إرسال الفضائية المصرية. لكن سرعان ما أعلنت الشركة إفلاسها وانسحبت من العقد. وكان على شركاء المشروع، السعوديان خالد وأسامة المدنى والمصرى محمد المقدم، أن يبحثا عن موزع آخر، فوجدا ضالتهما فى شركة إيكوستار للخدمات الفضائية المالكة لشركة التوزيع الكبرى DishNetwork. ولكن الشركة اشترطت أن يكون لدى الفضائية

المصرية ٤٠ ألف مشترك على أقل تقدير، وهو أمر كان مستحيلا والإرسال ما زال في بدايته، لا سيما أن نطاقه يغطى قارة بأسرها. وخلافا لما يروجه البعض من أن الشيخ صالح كامل كان شريكا في المشروع، فإنه كان منافسا، وحارب الفضائية المصرية بكل قوة على أكثر من جبهة، لأنه كان يريد لقنوات ART أن تصبح هي رائدة السوق الأمريكية. وحينما عرض قنواته على شركة DishNetwork طالبوه بنفس الشرط. ولعب المال دوره فوافق على أن يدفع لها مقدما مبلغا يغطى عدد الاشتراكات المطلوبة في السنة الأولى شريطة ألا تقبل الشركة أى فضائية عربية أخرى، يقصد الفضائية المصرية، إلا من خلاله. بل إن مندوبيه دأبوا على توزيع أطباق ال ART على أنها أطباق الفضائية المصرية. وقد كتبت خطابا إلى وزير الإعلام آنذاك صفوت الشريف، شرحت فيه بالتفصيل ما يحاك من شبكة راديو وتلفزيون العرب ضد الفضائية المصرية. لكنه أهمل تحذيرى تماما. كنت بهذا الخطاب، الذى تعمدت فيه فضح ألاعيب ال ART، أريد أن أختبر بنفسى إن كانت هناك شبهة فساد. وقد تأكدت بالفعل حين رفع مثقفون غيورون قضايا ضد صفوت الشريف متهمين إياه بالتفريط في بيع ٤٢٠٠ فيلم من التراث السينمائى بشكل ممنهج ومنظم من المكتبات الفيلمية بمبنى ماسبيرو إلى كل من الشيخ صالح كامل والوليد بن طلال ليصبح ثلث ذلك التراث بحوزة قنوات الأفلام بشبكة راديو وتلفزيون العرب، والثلثان بحوزة شركة روتانا. وكان تعاقد اتحاد الإذاعة والتلفزيون مع شركة ديناميك، قد جاء بعد أن تبين أن صاحب التلفزيون العربى الأمريكى" وحيد بقطر، فشل في الوفاء ببنود عقد مشابه وقعه عام ١٩٩٤ لإعادة توزيع إرسال الفضائية المصرية في أمريكا وكندا. ورفع الاتحاد دعوى ضده وطلب تعويضاً قدره ١٥,٩٠٩ مليون دولار أمريكى ولم يتمكن الاتحاد من تنفيذ الحكم الصادر لصالحه رغم استعانته بشركات متخصصة من خلال محامى الاتحاد بالولايات المتحدة، حيث لم تتبين أصول مالية مملوكة للتلفزيون العربى الأمريكى. ورغم ادعاء وحيد بقطر بعكس ذلك، فإن رئيس الاتحاد أمين بسيونى لم يخالف تعاقده معه لصالح ديناميك، ولكن

رئيس الاتحاد التالى عبد الرحمن حافظ، هو الذى خالف العقد الذى كان اتحاد الإذاعة والتلفزيون قد أبرمه مع شركة ديناميك فى ٨ يناير ١٩٩٥ ولمدة عشر سنوات، حين وقع عقدا مع شركة "كيلى" فى ١٩ نوفمبر ١٩٩٧ ينتهى فى ١٥ سبتمبر ٢٠٠٤، أثناء سريان عقد شركة ديناميك الذى يمنحها حق استقبال وإعادة بث القناة الفضائية المصرية فى قارتى أمريكا الشمالية والجنوبية مقابل الحصول على نسبة ٨٪ من الاشتراكات، وترويج وتوزيع قناتى النيل الدولية والنيل للدراما مقابل نسبة ٤٪، ٨٪ من إيراد القناتين على التوالى. إلا أن الشركة الأمريكية تعثرت فى الوفاء بالتزاماتها، فمنحها الاتحاد قرضاً بنحو ٢,٥٥ مليون دولار، ولكنها عجزت عن تغطية تكاليفها، فتوقفت عن البث نهائياً فى ٢ مايو ٢٠٠٠ مما أدى إلى نشوب نزاع قضائى بينها وبين الاتحاد حيث طالبت بدفع تعويض قدره ٥٠ مليون جنيه، ولكنها خسرت القضية أمام محكمة أمريكية. وتذاع الفضائية المصرية حاليا كواحدة من باقة قنوات راديو وتلفزيون العرب، فتحقق للشيخ صالح كامل ما أراده بأن يحرم الفضائية المصرية من حق الريادة، لتصبح مجرد تابعة لقنواته!







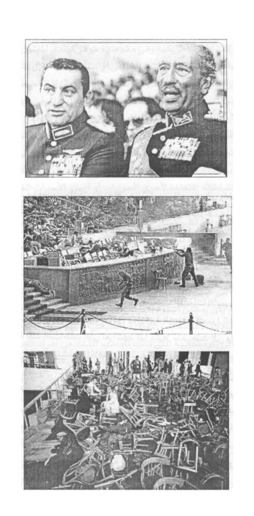
مع الزملاء ثابت البرديسى ومحمد عبد الكريم ومحمد الشناوى
فى حفل نهاية خدمتى بصوت أمريكا فى مارس ١٩٩٥

(٥٣).. حين اغتيل أنور السادات

لا تختلف غرفة الأخبار الرحبة فى إذاعة صوت أمريكا كثيرًا عن غرف الأخبار فى الصحف الكبرى، وإنما الاختلاف يكمن فيمن يعملون بتلك الغرفة. فهم مزيج عربى أشبه ما يكون بجامعة عربية مصغرة بكل تناقضاتها وتحزباتها وعصبياتها. ورغم ذلك كنا جميعا، مصريين، وفلسطينيين، وسودانيين، وأردنيين، ولبنانيين، وسوريين، ومغاربة، وعراقيين متجانسين مهنيا. لم تكن الخلافات فى توجهاتنا السياسية تؤثر على زمالتنا أو حتى علاقتنا الأسرية. كانت أخبار العالم تفد إلينا تباعا من خلال أجهزة "التيكرز" قبل عصر الكمبيوتر. وكان رؤساء التحرير، وأنا منهم، يقصّون الأخبار من الأجهزة ويوزعون المناسب منها على بقية المذيعين لترجمتها وصياغة نشرة أخبار على رأس كل ساعة. وفى ٥ سبتمبر ١٩٨١ أصابت كل من كانوا فى غرفة الأخبار حالة من الصدمة. فقد حملت "التيكرز" إلينا نبأ قيام الرئيس المصرى آنذاك محمد أنور السادات باعتقال ١٥٠٠ من كبار القيادات السياسية من مختلف المشارب الوطنية والشيوعية والإسلامية والناصرية، بمن فيهم الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل والقيادى الوفدى المخضرم فؤاد سراج الدين وقيادات أحزاب الوفد والتجمع وأعضاء جماعة الإخوان المسلمين والقطبيين والجماعة الإسلامية والجهاد والمستقلين. كان السادات قد ضاق ذرعا بمعارضى معاهدة السلام مع إسرائيل ومجمل سياساته الداخلية، فراح يهاجمهم بعنف، وكانت القشة التى قصمت ظهر البعير

تطاوله على رجال الدين، فقال عن الشيخ حافظ سلامة: "المجنون بتاع السويس" وقال عن الشيخ أحمد المحلاوى الذى كان من أشد منتقديه ومنتقدى دور زوجته جيهان فى الحياة العامة: "أهو مرمى فى السجن زى الكلب". وبينما أُودع المعارضون سجن استقبال طرة الذى كان أحدث سجون مصر حينئذ وأكثرها آدمية، أمر السادات بوضع الشيخ المحلاوى فى أسوأ مكان بسجن ليمان طرة وهو عنبر التأديب الذى لم يكن يضم سوى الخطرين من المجرمين وتجار المخدرات. وكانت حجة السادات أنه يريد أن يحافظ على استقرار البلاد إلى حين انسحاب إسرائيل من سيناء فى ٢٥ إبريل ١٩٨٢. وكالعادة اندلع نقاش فى غرفة الأخبار حول هذا التطور الخطير، فمن قائل إن هذه هى الطريقة المثلى للحفاظ على الأمن، ومن قائل إن مصر لاتحتمل أى اهتزازات يمكن أن تؤثر فى انسحاب إسرائيل، ومن قائل إنها حلقة فى مسلسل خيانة السادات التى بدأها بمعاهدة السلام مع إسرائيل. بينما توصلت أنا إلى قناعة بأن السادات قد فقد توازنه تماما وبات تجسيدا حيا لحكمة أن "السلطة مفسدة، والسلطة المطلقة مفسدة مطلقة". ومن ثم تنبأت بأنه قد وضع نهايته بيديه، ولن يستمر ليرى انسحاب إسرائيل من سيناء فى موعده. لم أكن أعرف حينئذ كيف سيتحقق ذلك، ولكن من فرط تحمسى كتبت نبوءتى فى "رزنامة" مكتبى، وأشهدت عليها الزميل عاطف كامل المؤيد للسادات، والزميل محمد الشناوى المعارض له. ولم أكن أتصور أن النهاية ستأتى بهذه السرعة أو على هذا النحو. فبعد شهر واحد، وفى السادس من أكتوبر ١٩٨١، التف كل من كانوا فى غرفة الأخبار حول جهاز التلفزيون لنشاهد الحادث الجلل: إحدى عربات الجيش المشاركة فى عرض انتصار العبور تقف فجأة أمام المنصة حيث كان السادات والقادة العسكريون يتابعون منها العرض. القناص حسين عباس يقف منتصبا عليها ويطلق دفعة من الطلقات، استقرت فى عنق السادات، بينما ينزل خالد الإسلامبولى مسرعاً من السيارة، ويلقى قنبلة ثم يعود ويلقف رشاش السائق ويخف مسرعاً إلى المنصة. كان السادات قد نهض واقفاً بعد إصابته فى عنقه وهو يقول عبارته الشهيرة

"مش معقول"، بينما اختفى جميع الحضور أسفل كراسيهم. وتحت ستار الدخان، يوجّه الإسلامبولى دفعة طلقات جديدة إلى صدر السادات، فى الوقت الذى ألقى فيه كل من عطا طايل بقنبلة ثانية، لم تصل إلى المنصة، ولم تنفجر، وعبدالحميد عبد السلام بقنبلة ثالثة نسى أن ينزع فتيلها فوصلت إلى الصف الأول ولم تنفجر هى الأخرى. بعدها يقفز ثلاثتهم وهم يصوّبون نيرانهم نحو الرئيس الملقى على وجهه مضرجاً فى دمائه. ورغم حقيقة أن السادات اغتيل بأيدى الجماعات الإسلامية التى أطلقها من عقالها للحد من نفوذ اليساريين المعارضين من ناصريين واشتراكيين وشيوعيين، لم تُجر تحقيقات جادة طوال ثلاثين سنة من حكم مبارك، الذى يتهمه البعض بأنه كان شخصيا ضالعا فى العملية، بعد أن أبلغه السادات بأنه سيعين الدكتور عبد القادر حاتم محله كنائب لرئيس الجمهورية. وهو ما أكدته السيدة رقية السادات ابنة الرئيس الراحل، حين أعلنت أن قرار إقالة حسنى مبارك من منصبه كنائب لرئيس الجمهورية كان مع السادات فى حقيبته الخاصة صباح يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١ حتى لحظة خروجه من القيادة العامة متوجهاً للمنصة للاحتفال بذكرى النصر، واختفت تلك الحقيبة كلها ولم يُعثر عليها بعد اغتياله، معتبرة أن هناك غموضا رهيبا مازال يحيط بمقتل أبيها وأطرافا كثيرة لديها مصلحة فى إخفاء الحقيقة. ومهما كان صحة هذا الادعاء من عدمه، فإن المفارقة الأكبر التى ستظل محفورة فى ذاكرة الشعب المصرى، هى أنه بينما خرج الملايين إلى الشوارع حزنا على وفاة زعيم مهزوم (عبد الناصر)، كان الناس فى حالة من الوجوم حين اغتيل الزعيم المنتصر أنور السادات!



(٥٤) أفراد ينهضون بدور المؤسسات

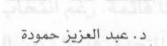
رغم وجود ما يسمى بالمكتب الثقافى والتعليمى المصرى فى واشنطن، فقد اقتصر نشاط ذلك المكتب على الجانب التعليمى وهو الإشراف على الدارسين المصريين فى الجامعات الأمريكية. وعادة ما يوفد الملحقون الثقافيون بالمكتب من قبل وزارة التعليم العالى. إلى أن حدث تغيير إيجابى لأول، وربما لآخر مرة، حين أرسلت وزارة الثقافة المصرية ملحقا إلى المكتب ليتولى النشاط الثقافى المصرى على الساحة الأمريكية. كانت تجربة محمد غنيم سالم فريدة فى نوعها. فقد حوّل المكتب الثقافى بالفعل إلى خلية ثقافية تعقد الندوات الأسبوعية وتقيم المهرجانات الثقافية، الأمر الذى حفزنى لأول مرة إلى نقل كاميرا التلفزيون إلى المكتب لتغطية تلك النشاطات التى لم أشهد لها مثيلا منذ جئت إلى واشنطن عام ١٩٧٧. كان وراء هذا النشاط اللافت لمحمد غنيم وزير شاب هو المرحوم محمد عبد الحميد رضوان الذى بدأ حياته السياسية نائبا فى مجلس الشعب عام ١٩٧٤ ثم أصغر وكيل برلمانى على مستوى العالم لمجلس الشعب إلى أن أصبح وزيرًا للثقافة فى سبتمبر عام ١٩٨١ حتى تم اختياره لمنصب وزير الدولة لشئون مجلسى الشعب والشورى فى نوفمبر عام ١٩٨٦. كانت فترة الثمانينيات تلك هى الشعلة الثقافية المصرية التى أنارت العاصمة الأمريكية. استطاع محمد غنيم بخلفيته اللغوية كخريج من قسم اللغة الإنجليزية بجامعة الإسكندرية وخبرته الميدانية الواسعة فى الحقل الثقافى، إقامة شبكة من العلاقات العامة مع

المؤسسات الثقافية الأمريكية وفى مقدمتها مركز كيندى للفنون الأدائية. كان يدرك جيدا قيود ميزانية المكتب الثقافى، واستطاع من خلال تلك الشبكة أن يستفيد من نظام التمويل الثقافى بالمؤسسات الأمريكية. إذ تخصص كل مؤسسة أو شركة كبرى ميزانية لدعم النشاطات الثقافية للمجتمع المدنى. ورغم أن المكتب الثقافى، لا يدخل فى إطار المجتمع المدنى الأمريكى، تمكن محمد غنيم بصلاته من إقناع شركات كبرى مثل كوكاكولا بتمويل بعض نشاطات المكتب، كأن تتكفل بتكاليف التجهيزات المسرحية مثلا لفرقة رضا للفنون الشعبية التى يكون محمد غنيم قد دبر استدعاءها لعرض فنونها على المشاهد العربى والأمريكى. كنت ألهث وراء نشاطاته المتعددة لأجرى الحوارات أو أصور الأحداث الفنية والثقافية التى كان يقيمها برعاية أمريكية. ولا أنسى فى هذا الصدد المهرجان الكبير الذى أقامه فى واحد من أكبر مسارح واشنطن وحضره لفيف متطوع من نجوم مصر الكبار لجمع التبرعات لسداد ديون مصر. كان هناك حسين فهمى وفريد شوقى وآثار الحكيم وإلهام شاهين وسمير صبرى وليلى طاهر وياسمين الخيام، وزاهى حواس علاوة على لفيف من كبار الصحفيين وفرق الفنون الشعبية. أما الندوات الأسبوعية التى كنت أواظب على حضورها لتسجيلها للإذاعة والتلفزيون، فحدث ولا حرج. لم يكن يمضى أسبوع إلا وكان هناك متحدثون أمريكيون ومصريون فى مختلف المجالات الاقتصادية والثقافية والسياسية، بل والدينية، حين حرص على إقامة الليالى الرمضانية التى كانت تجتذب المئات من أفراد الجالية المصرية والعربية. تحول المكتب الثقافى على يديه بالفعل إلى محفل ثقافى، لدرجة أن الوزير محمد عبد الحميد رضوان كلفه بالبحث فى واشنطن عن بناية مستقلة لتخصيصها للنشاط الثقافى والفنى وفصلها عن النشاط التعليمى، لتصبح على غرار الأكاديمية المصرية للفنون بروما. وقد رافقت محمد غنيم والوزير رضوان بنفسى فى بعض تلك الجولات للبحث عن البناية المناسبة. ولكن للأسف الشديد مات المشروع بموت الوزير الشاب. ولا أنسى كذلك العلاقات الوطيدة التى أقامها مع مركز كيندى للفنون الأدائية، حيث تبرع المركز بتخصيص واحد من مسارحه الكبرى لعرض مسرحية " الواد سيد الشغال" للفنان عادل إمام وتحويل ريعها

لسداد ديون مصر. لم يكتف محمد غنيم بذلك، بل حوّل بيته إلى منتدى ثقافى يلتقى فيه كبار الزوار من الأدباء والشعراء والفنانين أثناء زيارتهم للعاصمة الأمريكية، الأمر الذى أتاح لى إجراء لقاءات إذاعية معهم. وهو بذلك أعادنى إلى الجو الثقافى الذى افتقدته فى مصر حين بدأت رحلة الطائر المهاجر فى إبريل ١٩٧٥. ولكنه جو سرعان ما انقشع بانتهاء السنوات الأربع، المعتمدة لوجود الملحق الثقافى فى واشنطن. وهى تجربة لم تتكرر للأسف الشديد بعد رحيله. وإذا كان محمد غنيم قد شق طريقا حافلا بالنجاحات لدى عودته إلى مصر، كوكيل وزارة للشئون الثقافية والتى بلغت ذروتها بإشرافه على المتحف المصرى الجديد، فإن الراية لم تنتقل إلى أحد بعده، وعادت واشنطن إلى جدبها الفنى خالية من أى وجود ثقافى مصرى، وعادت مهمة المكتب الثقافى تنصب على رعاية الدارسين المصريين فى الجامعات الأمريكية. وهذه هى المعضلة، أن يعتمد النشاط الثقافى على أفراد متحمسين من أمثال محمد غنيم وليس على بناء مؤسسى يواصل نفس النشاط وبنفس القوة مهما تغير الأفراد. وهذا يذكرنى بتجربة الدكتور عبد العزيز حمودة أستاذ الأدب الإنجليزى بجامعة القاهرة، الذى أحدث زلزالا ثقافيا مدويا بتدشينه ملامح نظرية نقدية عربية حديثة فى ثلاثيته: المرايا المقعرة، المرايا المحدبة والخروج من التيه. فقد أحدث زلزالا مشابها حين رأس المكتب الثقافى فى واشنطن، واكتشف مخالفات فى نظام التأمين الصحى على الدارسين المصريين. فهو لم يكتف بإبلاغ مرءوسيه فى القاهرة بهذه المخالفات، بل ناطح شركات التأمين وكاد أن "يجرجرها" إلى أروقة المحاكم الأمريكية، لولا أن تلك الشركات وافقت على إعادة كل دولار أخذته من ميزانية المكتب بدون وجه حق، بمساعدة بعض الموظفين الفاسدين. وكانت تقدر بعدة ملايين من الدولارات. وبدل أن يعيدها إلى ميزانية الدولة اشترى بها بناية تاريخية وسط العاصمة الأمريكية صارت ملكية خالصة للدولة المصرية وصرحا مشرفا ودائما يليق بالمكتب الثقافى والتعليمى المصرى، موفرا على الدولة آلاف الدولارات التى كانت تدفعها كإيجار شهرى للمكتب. وأصبح غنيم وحمودة وجهين لعملة وطنية واحدة لا ترى حدودا للإخلاص فى خدمة الوطن!







د. عبد العزيز حمودة

محمد غنيم سالم





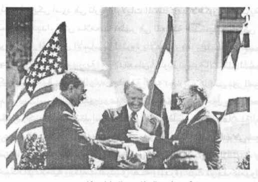
حفل سداد ديون مصر فى واشنطن

(٥٥) العنصرية والخداع الإعلامى!

أعتز كثيرًا بأننى كنت جزءا من التاريخ حين قمت بتغطية مراسم توقيع معاهدة السلام بين الرئيس أنور السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلى مناحيم بيجن فى البيت الأبيض فى ٢٦ مارس عام ١٩٧٩. ومن المفارقات أنه بسبب تلك المعاهدة، التى أُقرّت بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد فى ١٧ سبتمبر عام ١٩٧٨، أن تم تعليق عضوية مصر فى جامعة الدول العربية عشر سنوات من عام ١٩٧٩ إلى عام ١٩٨٩ وحصول السادات وبيجن على جائزة نوبل للسلام! وهى تقضى بانتهاء حالة الحرب بين الطرفين وسحب كافة القوات الإسرائيلية والمدنيين من سيناء إلى ما وراء الحدود، وإقامة علاقات طبيعية وودية بينهما. لم تكن قد مضت على، حينئذ، وعلى أسرتى سوى سنتين فى عاصمة القوة العظمى الوحيدة فى العالم. وكان العمل من داخل البيت الأبيض حلم أى إعلامى. وفى يوم توقيع المعاهدة شهدت المدينة إجراءات أمنية غير مسبوقة، حيث انتشر الآلاف من رجال الأمن فى شوارع واشنطن وأُغلق عدد كبير منها أمام حركة المرور، بينما كادت أصوات المتظاهرين الرافضين للمعاهدة أمام البيت الأبيض تغطى على مراسم التوقيع. احتشدت أطقم المصورين والمراسلين من مختلف دول العالم داخل حديقة البيت الأبيض لنقل المراسم التاريخية. وكعادة منظمى البيت الأبيض كانت الأولوية للشبكات التلفزيونية الأمريكية الكبرى تليها الشبكات الأجنبية وفى المؤخرة يأتى مراسلو شبكات بقية الدول بمن فيهم المراسلون العرب. وتلاحظ من

واقع هذا التنظيم مسحة من العنصرية التى يبدو أنها لم تندثر تماما فى الولايات المتحدة رغم الشوط الطويل الذى قطعته البلاد منذ خطاب داعية الحقوق المدنية الأسود مارتن لوثر كينج التاريخى "عندى حلم" "I have a Dream" فى ٢٨ أغسطس ١٩٦٣، ومنذ اغتياله فى ٤ إبريل عام ١٩٦٨. فرغم نجاح الأمريكيين السود فى القضاء على الرق والفصل العنصرى، مازالت الظروف المعيشية الصعبة للسود فى أمريكا قائمة، رغم انتخاب باراك أوباما كأول رئيس أمريكى أسود فى تاريخ الولايات المتحدة. قد لا تكون العنصرية جلية ضد السود تحديدا، ولكن ملامحها تظهر فى المعاملة التفضيلية للبيض الذين يسيطرون على المفاصل الأساسية للثروة والإعلام. ففى اللقاءات الصحفية المفتوحة مع رئيس الجمهورية، مثلا، تُعطى أولوية توجيه الأسئلة للشبكات الأمريكية الرئيسية. ويُزود الرئيس بقائمة أشبه بخارطة كراسى دور السينما، فيعرف الرئيس أسماء الصحفيين وهم فى مقاعدهم، ويبدو، حين يختار أحدهم، أمام الكاميرات وكأنه يحفظ أسماءهم عن ظهر قلب. خدعة إعلامية أخرى! ناهيك عن الخدعة الكبرى حين يبدو الرئيس وكأنه يرتجل الخطاب فى حين أنه يقرأه من الـ teleprompter أو"شاشة التلقين" الملحقة بكاميرات التصوير. وزيادة فى "الحبكة الإعلامية"، يتلفت الرئيس يمنة ويسرة، حيث توجد كاميرا على الناحيتين، ليبدو طبيعيا ويعزز مظهره الارتجالى. وقد برع باراك أوباما فى إلقاء خطبه على نحو يقنعك بفصاحته وبلاغته اللغوية. غير أن براعته خانته حين أُضطر إلى ارتجال كلمة فى تجمع انتخابى خلت فيه الكاميرات من "شاشة التلقين"، فبدا ضعيفا وركيكا. أما فى حالة توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية فى واشنطن عام ١٩٧٩ فلم يكن الأمر يحتاج إلى أى تلقين، فقد كانت كلمات الرؤساء الثلاثة جيمى كارتر وأنور السادات ومناحيم بيجن مسطورة حرفيا بعناية لدقة الظرف التاريخى، ولم يخرج أى منهم عن النص. أما الذى خرج عن النص فهو العبد لله الذى أوكلت إليه مهمة نقل خطاب الرئيس السادات وترجمته ترجمة فورية. وفقنى الله فى ترجمة الخطاب من الإنجليزية إلى

العربية، ولكن السادات كعادته اختتم خطابه بآيات من القرآن الكريم، وحيث أننى كنت منساقا فى الترجمة الفورية "السماعية" التى أمارسها لأول مرة، حيث كنا متخصصين فى الإذاعة فيما يسمى بالترجمة الفورية "المرئية" أو sight-translation، تداركت الأمر متأخرا حين وجدت نفسى، دون أن أشعر، أترجم الآيات القرآنية إلى اللغة الإنجليزية!



توقيع معاهدة السلام بين السادات وكارتر وبيجن

(٥٦) الاشتغال فى الأزرق!

يعود الفضل فى حبى وإتقانى للغة العربية نحوا وإلقاء وجرسا، إلى هواية التمثيل فى الجامعة. فرغم أننى خريج قسم اللغة الإنجليزية بجامعة الإسكندرية وشاركت فى تمثيل وإخراج مسرحيات باللغة الإنجليزية مثل "بجماليون" و"ست شخصيات تبحث عن مؤلف" و" عزيزى بروتس" وغيرها، فإن العمل فى فريق التمثيل العربى بالجامعة، كان له أبلغ الأثر فى إعدادى لمستقبلى كمذيع، الذى لم يكن حلمه قد راودنى بعد. تعلمت فن الإلقاء وضبط مخارج الحروف، أولا على يد أستاذ اللغة العربية الدكتور محمد زكى العشماوى الذى كان مشرفا على فريق التمثيل بكلية الآداب. وازددت عشقا لهذا الفن على يد أساطين الإخراج المسرحى من أمثال الأستاذ فتوح نشاطى (الموت فى إجازة)، والأستاذ محمود مرسى (مذكرات محتال)، والأستاذ نور الدمرداش (جين إير)، الذين تناوبوا إخراج مسرحيات لنا فى فريق جامعة الإسكندرية. ورغم أننى كنت أصبو لأن أصبح مخرجا سينمائيا، فإن دخولى الإذاعة، بإلحاح من عمر بطيشة زميل الدراسة والعمل بشركة الملح والصودا بالإسكندرية، فتح أمامى باب الدراما على مصراعية. فالاهتمام بمخارج الألفاظ والنطق السليم والتمكن من قواعد الصرف النحو وراء الميكروفون حمل فى طياته كل عناصر التصوير الدرامى. تعلمت فى صوت العرب كيف يكون قارئ نشرة الأخبار حياديا فى نبرات صوته، ولكنى تعلمت أيضا حرفة استغلال موهبة الدراما فى التعليقات السياسية لكونها

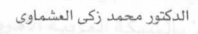
منحازة بطبيعتها لوجهة نظر معينة. وصرت بعد فترة أصبحت قارئ التعليقات المفضل للمعلق السياسى الراحل الأستاذ عبد الفتاح العدوى. كما كنت أتسابق لقراءة مقال "بصراحة" الأسبوعى لشيخ الصحفيين محمد حسنين هيكل، الذى كان يتيح للمذيع فرصة إظهار موهبته فى التلوين وتصوير المعانى والتعبير عنها صوتيا. أما فى نشرة الأخبار فكنت متأثرا بالأستاذ سعد زغلول نصار فى سرعته وحفاظه على خروج كل كلمة "مقلوظة"، لا يُضغم فيها أى حرف. فى تلك الأثناء كانت نشرة الأخبار تُكتب بخط اليد وأحيانا على الآلة الكاتبة. وكنا كمذيعين نتراهن على قراءة النشرة فى حدود الدقائق العشر المخصصة لها، ولم تكن هناك وسيلة لضبط النشرة لتخرج فى حدود هذه المدة، فى غياب جهاز كمبيوتر لإحصاء عدد الحروف أو الأسطر بالنسبة لسرعة المذيع. وحين كان يأتى إلى المحرر بالنشرة كنت أمسكها بيدى، فى شىء من التحدى المغلف بالغرور، وأبلغه بمدة قراءتها قبل أن أتصفحها، فإذا نقصت يضيف خبرا وإذا زادت يلغى آخر. كانت هناك ثلاث فئات من المذيعين: الإكسبريس، مثلى ورشاد أدهم وعبد الوهاب قتاية، والمعتدلون مثل محمود سلطان ومرفت رجب ومحمد الشناوى، والبطيئون مثل فاروق شوشة وصلاح مبروك. بيد أنه كانت هناك فئة رابعة من المذيعين الشديدى البطء بسبب طبيعة مهمتهم، هم مذيعو النشرة الإملائية. ففى عصر لم يكن قد شهد بعد ثورة اتصالات سلكية أو لاسلكية وفى غياب تكنولوجيا الفاكس، كانت الإذاعة تخصص قسما لإذاعة النشرات الإملائية للخارج كوسيلة لإطلاع سفاراتنا ومكاتبنا الإعلامية على أحدث المستجدات فى أرض الوطن. وكان هناك موظفون فى تلك السفارات والمكاتب كل مهمتهم أن يستمعوا على الموجة القصيرة للنشرة الإملائية ويكتبوها بخط اليد بينما "يرتلها" المذيع ببطء إملائى شديد. لم أتخل عن سرعتى "الإكسبرس" حين التحقت بالعمل فى إذاعة صوت أمريكا. بل إن مدير الإذاعة فى جزيرة "رودس" الأستاذ كامل الطويل، كان معجبا بهذه السرعة، إضافة إلى ما أعتبره قدرة منى على إضغام الأخطاء العفوية دون أن يشعر المستمع بها. ولكن الأمر اختلف، لسبب ما، حين انتقلنا

للعمل فى واشنطن عام ١٩٧٧، مع بداية استخدام الأقمار الصناعية فى الإرسال بدلا من محطات الإرسال التقليدية التى كانت مقامة فى رودس، وهو نفس ما فعلته هيئة الإذاعة البريطانية التى كان لها محطات إرسال فى قبرص، لقرب الجزيرتين، رودس وقبرص، من المنطقة المستهدفة، وهى العالم العربى. فقد وجد مدير صوت أمريكا أن ثمة اختلافات فى سرعات المذيعين، فقرر ما فشل غيره فى إنجازه، وهو "توحيد" سرعات المذيعين، غير مدرك، ربما لأنه لم يكن مذيعا قط، أن سرعة المذيع جزء من شخصيته. ولعل أبناء جيلى يذكرون مذيع هيئة الإذاعة البريطانية "محمد الأزرق" الذى أُشهر ببطئه الشديد إلى حد النوم فى تلاوة نشرة الأخبار. وقررت مع أول نشرة أقرؤها بالسرعة" الموحدة" أن "أشتغل فى الأزرق" لمدير صوت أمريكا، فقرأت النشرة بالطريقة الإملائية، حتى أنها امتدت ثلاث دقائق عن موعدها. وكانت تلك نهاية فكرة توحيد سرعات المذيعين، التى أُضطر عندها المدير للتسليم بعودة كل منا إلى سرعته!



محمود مرسى





الدكتور محمد زكى العشماوى



هيئة الإذاعة البريطانية

(٥٧) جواب... ورد غطاه فى حوارات الطرشان!

طالما حلمت منذ بداية عملى الإعلامى بصوت العرب بإدارة حوارات تضم الرأى والرأى الآخر، قبل سنوات طويلة من اتخاذ قناة الجزيرة هذه العبارة شعارا لها. وحاولت قدر المستطاع بعد تعدد ارتباطاتى الإعلامية من القاهرة إلى اليونان إلى واشنطن، أن أجمع بين الرأيين المخالفين حتى يمكن للمستمع أو المشاهد أن يخرج ربما برأى ثالث أو يقتنع، على أقل تقدير، بأحد الرأيين. حاولت أيضا تجنب صراع الديكة الذى اتسمت به حوارات الفضائيات العربية كوسيلة لجذب الانتباه أكثر من كونها وسيلة للاستنارة. نجحت قليلا وفشلت كثيرًا فى التوفيق بين مختلف الآراء. وخرجت بنتيجة مؤداها أننا لم نصل بعد إلى حد إقدام أحد الطرفين على الاعتراف بأنه اقتنع برأى الآخر، أو حتى بجزء منه. ومن لا يصدق ذلك، فليأتنى بمثال واحد فى أى "توك شو" فضائى انتهى فيه أحد الطرفين المتحاورين إلى الاقتناع برأى الطرف الآخر. فعادة ما تنتهى البرامج مثلما بدأت على خلاف لا يعرف للوسطية طريقا. وحتى برنامج Crossfire الأثير إلى نفسى فى شبكة CNN والذى طالما حلمت بمضاهاته فى برنامجى التلفزيونى "وجها لوجه" بالشبكة العربية الأمريكية ANA الذى شاركنى فيه الزميل الإعلامى حافظ الميرازى، لم يتمكن من تقريب وجهات النظر أو ينتهى باقتناع ضيف بوجهة نظر الضيف المخالف. كل ما هنالك أن البرنامج الأمريكى نجح فعلا، ربما لأسباب ثقافية وحضارية، فى ألا يحوّل الحوار إلى مباراة فى تبادل سيل من

السباب أو التنابذ، أو ضرب الكراسى فى "الكلوب"، كما شاهدنا فى عدد ليس بالقليل من برنامج "الطريق المعاكس" مفخرة قناة الجزيرة! فبرنامج CNN عادة ما ينتهى بالابتسامات والمصافحة وليس بتكسير العظام. وطالما تساءلت: لماذا إذن تقديم مثل هذه النوعية من البرامج؟ هل الغرض منها حقا أن تسود وجهة نظر على أخرى؟ أم أن الغرض الحقيقى هو أن تجمع القناة أكبر عدد من الإعلانات بالنظر إلى جو الإثارة الذى تشيعه الخلافات الحامية الوطيس؟ أعترف أنه فى ظل حكم الفرد لم تكن هناك فى مصر فرصة لطرح الأصوات المعارضة. ففى برنامج "حوار مفتوح" الذى قدمت بعض حلقاته فى صوت العرب، لم يكن الحوار مفتوحا ولا "دياولو". كان يُسمح لنا باستضافة ضيف واحد لمحاورته فى قضية قومية مثل الصراع العربى الإسرائيلى، أو التصدى للمؤامرات الاستعمارية أو القضايا الداخلية التى لا تثير صداما مع السلطة. وحينما حاول الإذاعى القدير طاهر أبو زيد أن يتجاوز الخطوط الحمراء ويقدم برنامج "توك شو" حقيقى فى التلفزيون المصرى على غرار ما تقدمه معظم الفضائيات اليوم، فإنه لم يصل إلى الحلقة الثالثة وانقطعت أخباره دون إبداء أسباب! وتعويضا عن هذا النقص فى البرامج الحوارية، كانت كل البرامج التى قدمتها خارج مصر، سواء فى شبكة ANA أو شبكة MBC، محاولة لإحياء فن "التوك شو" الذى وجدته سائدا فى عموم المحطات الإذاعية والتلفزيونية فى الولايات المتحدة. ومن خلال نحو ١٠٠ حلقة من برنامج "وجها لوجه" و٣٥٠ حلقة من برنامج "لقاء على الهواء"، و٥٣ حلقة من برنامج "من أمريكا"، استضفت مئات الشخصيات من مختلف المشارب والتخصصات من رجال سياسة وزعماء دول وخبراء اقتصاد واجتماع..إلخ ومن خلال متابعتى لموجة التوك شو التى اجتاحت الفضائيات العربية فيما بعد، توصلت إلى حقيقة مرة، مؤداها أنه ما من أحد، سواء فى برامجى أو برامج الفضائيات العربية، استطاع أن يقتنع بآراء مخالفة لمعتقداته. ودائما ما يُترك الحكم لمن يشاهد، هذا إن استطاع المشاهد أن يستوعب شيئا من وراء عويل وصيحات المتصارعين وتداخلات المذيع الذى يكون فى أغلب الأوقات سعيدا بما يجرى لجذب مزيد من الإعلانات! فهذه الحوارات تجعل كل طرف فى

موقف الدفاع عن النفس أمام تغول الطرف الآخر والبقاء للأعلى صوتا، وتصبح النتيجة مجرد تحصيل الحاصل أو الاكتفاء بجواب ورد غطاه. وأعترف أننى فعلت الشيء ذاته وأنا فى سن المراهقة حين كتبت خطابا لسلوى حبى الأول ذات الشعر الأصفر أبو "ديل حصان"! فبسبب عجزى عن الدخول معها فى حوار مباشر، تجرأت وبعثت لها خطابا مع خادمتها. وكان أن ردت هى على بكلمات مقتضبة تنصحنى فيها بأن ألتفت إلى دروسى، فحوّلت كلماتها وردى عليها إلى "جواب ورد غطاه" فى أول وآخر تجربة لى فى الشعر العامى، وباكورة لتجريتى فى البرامج الحوارية:

الجواب:

روح ذاكر إنت لسه صغيّر...وخليك فاكر إن وقتى قصيّر
و لايسمح بدى المهزلة............ولا يقبل كلام معيلة
جوباتك متهمنيش..............وأسلوبك ما يعجبنيش
ارجع لعقلك من فضلك وبالذوق...
وماتسوقش فيها أحسن لك وفوق
قلتلك وقتى من دهب.. ارجع لصوابك
والزم حدود الأدب..واسحب جوابك
لتقوم علىّ الجلالة.. وأجَر مندبة ودلاّلة
يسوقوا عليك الهبالة.. ويخلو حالتك حالة
ولو مرة قدام البيت.......... أخدت الشلة وعديت
راح أسحب طشت بفمين...وعلى راسك هيلا هوب
وجنابك فى غمضة عين.........ع الأرض تطب
وتجرجر نفسك يا ظريف..........قدام الناس
متبهدل وتقول يا لطيف......... أنا محتاس!!

رد غطاه:

ما كنتش منك أنتظر......الرد الجاف المعتبر
إللى الكلام فيه حكم.......وخلا الوسط انقطم

هو طبعا شىء معقول.....بس برده مبالغ فيه
بالضبط زى الفول.......اللى الملح زيادة عليه
وأرجع أقول إنك غلطانة..ودماغك تعبانة...وقرصتك الدبانة
ومن غير سبب معقول عملت نفسك زعلانه
كان الأولى إنك تفهميه..بحسن نيه وتتمعنى فيه
حتلاقى إن قصدى شريف..وغرضى أسمى من كده
وقلبى أبيض ونضيف..وما يستهلش الرد ده!!!!









(٥٨) نبوءة مكوك الفضاء

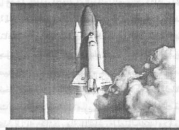
كانت إذاعة صوت أمريكا دوما هى السباقة فى نقل الأحداث المهمة المنطلقة من الأرض الأمريكية، وليس هذا غريبا فما أُقيمت الإذاعة نفسها إلا للترويج للقيم والإنجازات الأمريكية بكل تفاصليها السياسية والاجتماعية والفنية والعلمية، مثلها مثل بقية الإذاعات التى توجهها معظم الدول إلى العالم الخارجي. وكان من أبرز الأحداث العلمية التى تتباهى بها الولايات المتحدة فى سباقها الفضائى، انطلاق برنامج مكوك الفضاء كمشروع رئيسى لوكالة ناسا فى أواخر السبعينيات والفترة التى تلتها فى الثمانينيات. ويرجع هذا الاهتمام إلى أن فكرة وطريقة عمل مكوك الفضاء تتيح إمكانية إعادة استخدامه وإطلاقه بدون الحاجة إلى إجراء الكثير من الإصلاحات. وفى ١٢ إبريل عام ١٩٨١ كان القسم العربى بإذاعة صوت أمريكا أول من نقل على الهواء انطلاق المكوك كولومبيا كأول "أوتوبيس" فضائى مأهول، فى حدث تابعه العالم أجمع بكل اهتمام. وتوالت بعد ذلك الرحلات الفضائية للمكوك تشالنجر ثم المكوك ديسكفرى. وبمرور الوقت وتكرارها لم تعد تلك الرحلات تحظى بنفس الاهتمام الذى حظى به انطلاق أول مكوك إلى الفضاء الخارجي، أو بنفس القدر الذى حظى انطلاق المركبة الروسية فوستوك ١ إلى الفضاء بقيادة رائد الفضاء السوفيتى يورى جاجارين فى ١٢ أبريل من عام ١٩٦١ لتصبح أول مركبة فضاء تتمكن من اختراق الغلاف الجوى للأرض والاستقرار فى مدار حول الأرض، ذلك الحدث الذى أشعل سباق الفضاء

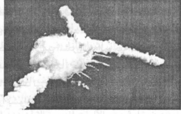
بين الولايات المتحد وروسيا، والذى فازت فيه الولايات المتحدة بإرسال أول إنسان إلى القمر فى ٢٠ يوليو ١٩٦٩. وفى يوم الثلاثاء الموافق ٢٨ من شهر يناير عام ١٩٨٦، قمنا فى صوت أمريكا بالاستعداد لتغطية رحلة المكوك تشالنجر الذى كان من المقرر أن يتصل بقمر صناعى ويجمع معلومات عن المذنب هالى، أثناء مروره بأقرب نقطة للشمس، حيث لا تتحقق هذه الفرصة إلا بعد ٧٦ عاماً هى مدة دوران المذنب هالى. واكتسبت هذه الرحلة أهميتها من أنها انطلقت بعد تأجيل ثلاث مرات، وكان على متنها هذه المرة سبعة من الرواد. تجمعنا فى غرفة الأخبار حول جهاز التلفزيون لنشهد الحدث على الهواء. وإذ بالزميل المغربى محمد ذو الرشاد يقول فجأة إن المكوك انفجر. واستغرب بقية الزملاء لأن المكوك لم يكن قد انطلق بعد. ثم انطلق المكوك بعدها، وبعد قطعه مسافة ثلاثة عشر كيلومتر فى ٧٣ ثانية حدث له انفجار مروع وتحول إلى كتل من الحديد والنار وسقطت بعض الأجزاء فى المحيط فى منظر يبعث على الحزن والألم الشديدين. كان أبشع حادث يقع فى تاريخ اكتشاف الفضاء، وهذا ما حدا بالرئيس الأمريكى رونالد ريجان إلى تشكيل لجنة لبحث سبب الحادث وقامت فرق الإنقاذ بانتشال الجثث وأجزاء المكوك من المحيط. وبعد البحث اتضح أن وكالة ناسا وقعت فى خطأ أثناء تصميم المكوك رغم تحذير المهندسين، حيث تم ربط أجزاء المكوك بدوائر من المطاط مما أدى إلى تفكك المكوك فى الجو بعد تشقق دوائر المطاط فى درجات الجو المنخفضة الحرارة واندفاع المكوك السريع. وبعد ذلك اتخذت ناسا سياسة استشارة المهندسين فى صلاحية المكوك من عدمه. وياليتها استشارت الزميل محمد ذو الرشاد الذى تنبأ بانفجار المكوك قبل انطلاقه! وحين سألته قال إنه شاهد الانفجار على شاشة التلفزيون قبل أن يقع. ولولا وجود جميع المذيعين والمذيعات فى غرفة الأخبار وسماعهم نبوءته لقلت إنه يخرف! ولكن تظل هذه هى الحقيقة التى لا أجد لها تفسيرا. لم تكن تلك الكارثة الفضائية الوحيدة. ففى ١ فبراير عام ٢٠٠٣ تحطم مكوك الفضاء كولومبيا بينما كان عائدا إلى الأرض أثناء محاولة دخول الغلاف الجوى فوق ولاية تكساس مما أسفر عن مقتل جميع أفراد طاقمه السبعة وذلك قبل دقائق من هبوطه فى مركز

كيندى للفضاء بولاية فلوريدا. وأسدلت وكالة ناسا الستار على برنامج مكوك الفضاء فى ٩ مارس ٢٠١١ بالمكوك ديسكفرى بعد أن قضى ٢٧ عامًا فى الخدمة!



محمد ذو الرشاد





المكوك تشالنجر قبل وبعد الانفجار

(٥٩) عار أم المعارك !

أسوأ ما فى السفر بالطائرات هو طول المسافة وشغل جميع المقاعد، فلا تجد لك متنفسا لإراحة الجسد بالغفو قليلا اللهم إلا إطلاق العنان لرأسك لتتأرجح يمينا وشمالا فى مقعد ضيق يصيب رقبتك بالتشنج، ويلقى بها من وقت لآخر على كتف جارك! لم أتحرر من ذلك الكابوس إلا مرة واحدة، حين سافرت على طائرة الإعلام التابعة للبيت الأبيض إلى السعودية فى نهاية عام ١٩٩٠ برفقة طائرة الرئيس جورج بوش الأب فى خضم الإعداد لحرب تحرير الكويت. كان برفقتى مراسل صحيفة الأهرام المخضرم حمدى فؤاد ـ رحمة الله عليه ـ حيث استمتعنا برحلة احتل فيها كل منا صفا من المقاعد. فكانت الطائرة تقل مراسلى ومراسلى كبريات وسائل الإعلام الأمريكية والعالمية، وكنت أنا ممثلا لإذاعة صوت أمريكا. كان هناك فائض من المقاعد يسمح لكل منا بالاسترخاء. أما خدمة الضيافة فحدِّث ولا حرج. لم تكن هناك أوقات محددة لتقديم الوجبات. ولكن كان من حق أى مسافر أن يستدعى المضيفة فى أى وقت ليطلب ما يشاء. ولكثرة ما طلب حمدى فؤاد من المشروبات الروحية قصدنى أن أطلب له باسمى، سامحنى الله، رغم أننى لا أشربها! حملتنا الطائرة إلى قاعدة أمريكية فى ألمانيا ثم إلى براغ حيث أُتيحت لى فرصة التجول فى شوارع تلك العاصمة التشيكية التى ذكرتنى كثيرًا بشوارع الإسكندرية فى الأيام الخوالى، ثم حلت بنا أخيرا فى الظهران بالسعودية. كان العالم يراقب رحلة الرئيس الأمريكى الذى نجح فى

جمع ائتلاف من مختلف الدول، من بينها مصر، لتحرير الكويت. وفى مدينة الخُبر أُقيم مركزى إعلامى ضخم يضم كافة إمكانيات الاتصال، ومن خلاله كنت وباقى الإعلاميين نرسل تقاريرنا إلى محطاتنا الإذاعية والتلفزيونية. جاءت هذه الاستعدادات ردا على ما فاجأ به الرئيس العراقى صدام حسين العالم فى ٢ أغسطس من عام ١٩٩٠، حين أطلق قطاعات كبيرة من مدرعات ودبابات الجيش العراقى لعبور الحدود الكويتية العراقية باتجاه مدينة الكويت، حيث توغلت فى العمق الكويتى وقامت بالسيطرة على مراكز رئيسية فى شتى أنحاء البلاد ومن ضمنها البلاط الأميرى. كما قام الجيش العراقى بالسيطرة على الإذاعة والتلفزيون الكويتيين، وتم اعتقال الآلاف من المدنيين الكويتيين بالإضافة إلى أعداد كبيرة من الأجانب الذين كانوا موجودين فى الكويت فى ذلك الوقت والذين تم استعمالهم كرهائن لاحقا. فى بداية الأمر صرح الرئيس الأمريكى جورج بوش الأب بأن الهدف من الحملة هو منع القوات العراقية من اجتياح الأراضى السعودية، وأطلق على الحملة اسم "عملية درع الصحراء"، وبدأت القوات الأمريكية بالتدفق إلى السعودية فى ٧ أغسطس من عام ١٩٩٠، وفى نفس اليوم الذى أعلن العراق فيه ضمه للكويت واعتبارها "المحافظة التاسعة عشرة، وصل حجم الحشود العسكرية فى السعودية إلى نصف مليون جندى. وفى مطلع فجر ١٦ يناير من سنة ١٩٩١، أى بعد يوم واحد من انتهاء المهلة النهائية التى منحها مجلس الأمن للعراق لسحب قواته من الكويت، شنت طائرات قوات التحالف حملة جوية مكثفة وواسعة النطاق شملت العراق كله من الشمال إلى الجنوب. وفى اليوم التالى قام الرئيس صدام حسين بإصدار بيان من على شبكة الإذاعة العراقية معلنا فيها أن "أم المعارك" قد بدأت. وفى ٢٦ فبراير سنة ١٩٩١ بدأ الجيش العراقى بالانسحاب بعد أن أشعل النار فى حقول النفط الكويتية وتشكل خط طويل من الدبابات والمدرعات وناقلات الجنود على طول المعبر الحدودى الرئيسى بين العراق والكويت، وقصفت قوات التحالف القطع العسكرية المنسحبة من الكويت إلى العراق مما أدى إلى تدمير مايزيد عن ١٥٠٠ عربة عسكرية عراقية. وبالرغم من ضخامة عدد الآليات المدمرة إلا أن عدد الجنود العراقيين

الذين قُتلوا على هذا الطريق لم يزد عن ٢٠٠ قتيل لأن معظمهم تركوا عرباتهم العسكرية ولاذوا بالفرار. سُمى هذا الطريق فيما بعد بطريق الموت أو ممر الموت. وفى اليوم التالى، أى ٢٧ فبراير، أعلن الرئيس الأمريكى جورج بوش الأب عن تحرير الكويت بعد ١٠٠ ساعة من الحملة البرية. كنا كمراسلين عرب واقعين بين شقى الرحى. فرغم معارضتنا الشديدة لاحتلال دولة عربية لشقيقة عربية أخرى دون إرادتها، كنا نتمزق ألمًا ونحن نرى الجيش العراقى يُدمر أمام أعيننا والعالم يصفق لذلك. ورغم أم المعارك التى أعلنها صدام حسين، انفطرت قلوبنا ونحن نرى الجنود العراقيين يستسلمون للغزاة الأمريكيين وهم فى حالة شديدة من البؤس. لقد اعتبر صدام حسين وهو يقف أمام حبل المشنقة أن ما يحدث له "هو إعدام العار"، وربما كان مصيبا فى ذلك، ولكن يظل العار الأكبر هو أنه حرم الأمة العربية من قوة عسكرية هائلة واستخدمها فى غير محلها حين احتل الكويت، وهى خطوة طائشة لا نزال ندفع ثمن تداعياتها إلى اليوم!



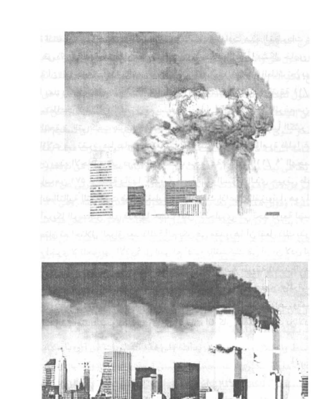


(٦٠) نظرية الأمن الأمريكى تنهار فى ١١ سبتمبر

كان ١١ سبتمبر ٢٠٠١ يومًا روتينيا فى عملى الإذاعى. فبينما كنت مشغولا ذلك الصباح بتصفح شبكة الإنترنت للاطلاع على أحدث الأخبار، تلقيت مكالمة من ابنى "تامر" يقول لى فيها إنه سمع فى راديو سيارته وهو متجه إلى عمله أن طائرة اصطدمت بأحد برجى مركز التجارة العالمى فى نيويورك. وعلى الفور فتحت التلفزيون، لأُصدم بحقيقة أن طائرة أخرى اصطدمت بالبرج الثانى. أيقنت ساعتها أنه ليس حادث اصطدام عاديا لطائرة ضلت طريقها، إذ يوحى تكراره فى البرج الثانى بأنه كان مدبرا. لم يمض وقت طويل فى ذلك الصباح حتى انجلت الصورة واعترفت أمريكا بأنها تعرضت لأعنف هجوم إرهابى منذ أن نسف اليابانيون أسطولها البحرى فى بيرل هاربر إبان الحرب العالمية الثانية. وشيئا فشيئا انهالت على طلبات من مختلف الإذاعات والمحطات الفضائية للتغطية. بيد أن الحقائق لم تكن متوفرة بالقدر الكافى واكتفيت بالإشارة إلى الرواية الرسمية التى تقول إن ١٩ شخصًا على صلة بتنظيم القاعدة شنوا هجمات باستعمال طائرات مدنية مختطفة، وانقسم منفذو العملية إلى أربع مجموعات ضمّت كل منها شخصًا تلقى دروسًا فى معاهد الملاحة الجوية الأمريكية. وقع الهجوم الأول حوالى الساعة ٤٦ : ٨ صباحًا بتوقيت نيويورك، حيث اصطدمت إحدى الطائرات المخطوفة بالبرج الشمالى من مركز التجارة العالمى. وبعدها بدقائق، فى حوالى الساعة ٠٣ : ٩، اصطدمت طائرة أخرى

بالبرج الجنوبى. وبعد ما يزيد على نصف الساعة، اصطدمت طائرة ثالثة بمبنى البنتاجون فى واشنطن. وكان من المفترض أن تصطدم الطائرة الرابعة بهدف رابع، ذُكر أنه ربما كان البيت الأبيض، لكنها تحطمت فى ولاية بنسلفانيا قبل الوصول للهدف. اتخذت موقعى أمام الهوة التى أحدثها ارتطام الطائرة فى جدار مبنى البنتاجون لأنقل الحدث مباشرة إلى تلفزيون الكويت. لم يكن لدى أى مصدر سوى الرواية الأمريكية التى أشارت بأصابع الاتهام إلى تنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن. وادعت القوات الأمريكية أنها عثرت فيما بعد على شريط فى بيت مهدم جراء القصف فى "جلال آباد" بباكستان فى نوفمبر ٢٠٠١ يظهر بن لادن وهو يتحدث إلى خالد بن عودة بن محمد الحربى عن التخطيط للعملية، وقوبل هذا الشريط بسيل من الشكوك فى مدى صحته. وفى ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٤، بث بن لادن تسجيلا مصورا قبيل الانتخابات الأمريكية أعلن فيه مسئولية تنظيم القاعدة عن الهجوم. وبحسب مكتب التحقيقات الفيدرالى FBI، فإن المصرى محمد عطا السيد المسئول عن ارتطام الطائرة الأولى بالبرج الأول، هو أيضا المخطط الرئيسى للعمليات الأخرى التى حدثت ضمن ما أصبح يُعرف بهجمات ١١ سبتمبر. وخلال متابعتى للحادث الجلل وتداعياته خلال السنوات التالية بدأت تتسرب إلى وسائل الإعلام نظريات مؤامرة تشى كلها بأن الحكومة الأمريكية كانت وراء تلك الهجمات بهدف شن حرب على الإرهاب فى الشرق الأوسط واحتلال منابع النفط. بدأت أولى هذه النظريات فى أوروبا بكتاب "٩ / ١١: الخديعة الكبرى"، للصحفى الفرنسى تييرى ميسان، وكتاب "السى آى إيه و١١ سبتمبر"، للكاتب الألمانى أندريه فون بولو. وانتشرت هذه النظريات فيما بعد فى الصحف الأمريكية وكان بعضها مأخوذا بشكل هزلى مما جعل الحكومة الأمريكية تحظر تداولها بحجة أنها "معادية للقيم الأمريكية". وحسب قول الرئيس الأمريكى آنذاك جورج بوش الابن فإنها "نظريات مؤامرة مهينة تحاول إبعاد اللائمة عن الإرهابيين بعينهم، بعيدًا عن الذنب." ومع حلول عام ٢٠٠٤ توطدت نظريات المؤامرة أكثر فى الشارع الأمريكى خاصة مع احتلال العراق

وإعادة انتخاب جورج بوش لفترة رئاسية ثانية. وازدادت هذه النظريات عام ٢٠٠٦ فى ذكرى الحادى عشر من سبتمبر. ويشكك مؤيدوها بشكل خاص فى حقيقة أن البرجين تداعيا بالفعل جراء احتراقهما بعد ارتطام الطائرتين بهما وانهارا بعد ذلك. وتعتقد مجموعة "معماريون ومهندسون من أجل حقيقة ١١/ ٩" أنها استطاعت إثبات أن البنايتين تم نسفهما بقنابل مزروعة. وعلى الرغم من أن لجنة التحقيق التى كُلّفت بتوضيح ملابسات الهجمات قد فنّدت رسمياً الكثير من التساؤلات فى تقريرها عام ٢٠٠٤، إلا أن مؤيدى نظرية المؤامرة ظلوا غير مقتنعين بهذه الإجابات إلى درجة أن وصفت مجموعة "حقيقة ١١/ ٩" الهجمات فى كتاب من ٥٧١ صفحة بأنها "أكذوبة طويلة". والسؤال الذى حيرنى طوال السنوات التالية التى قمت فيها بتغطية هذا الحدث إذاعيا وتلفزيونيا، هو: لماذا تطلق أمريكا الرصاص على قدميها حسب المثل الإنجليزى، كى تجد ذريعة لضرب أفغانستان ثم احتلال العراق بعد ذلك؟ ألم يكن فى مقدورها أن تفعل ذلك بذرائع وحجج أخرى لا تلحق بها الأذى؟ بل إننى لم أقتنع بالتشكيك فى أن بن لادن ليس وراء هذه الجريمة، وأن التسجيل الصوتى الذى يشرح فيه طريقة تنفيذ العملية مفبرك. فقد سمعت الشريط بنفسى مع مئات غيرى من الصحفيين والمراسلين ووسائل الإعلام. وأستطيع أن أجزم من واقع خبرتى فى العمل الإذاعى وتمييز الأصوات التى امتدت نحو نصف قرن من الزمان، أنه كان بالفعل صوت بن لادن!



(٦١) اللعب مع الكبار

كان محمد البدراوى يحلم دائما بإعلام عربى فى أمريكا، تلك الدولة التى تستقطب أخبارها الاهتمام على صعيد عالمى، فى حين يفتقر العرب داخلها إلى التحاور فيما بينهم أو إيصال أصواتهم إلى إدارة البيت الأبيض التى لها باع طويلة، ليس فى شئونهم الداخلية كمواطنين لهم نفس الحقوق وعليهم ذات الواجبات فحسب، وإنما أيضا فى شئون بلادهم الأم. وكان لتجربة "وجها لوجه" ثم "لقاء على الهواء" إذاعيا ثم تلفزيونيا، التى نهض بتكاليفها وتبعاتها رجل الأعمال السعودى، آثار بعيدة المدى على حياة العرب داخل الولايات المتحدة. نعم كانوا يشاهدون البرامج الحوارية الأمريكية التى تلمس قضايا المجتمع الأمريكى وتعودوا على أساليبها، ولكن حياتهم تغيرت كثيرًا مع ظهور هذا الإعلام العربى المحلى الوليد. ففيه سمعت الإدارة الأمريكية أصواتهم، وعن طريقه تعرفت على مشاكلهم، ومن خلاله بدأ الأمريكيون من أصول عربية يعبرون عن وجهات نظرهم ويحشدون قواهم السياسية، ووجدتها الجمعيات والمنظمات العربية فرصة ذهبية للوصول إلى الناخب العربى بعد أن ظلت سنوات تعتمد على المراسلات البريدية، بينما كان بعضها، فى أفضل الأحوال، يعتمد على استئجار ساعة أو ساعتين إرسال فى تلفزيون محلى. أما الشبكة العربية الأمريكية ANA التى أسسسها البدراوى فكانت تصل بإرسالها إلى كل بقعة فى القارة الأمريكية. من كندا إلى المكسيك، ومن المحيط الهادئ إلى المحيط الأطلسى. بل كان إرسالها

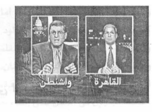
يصل أحيانًا إلى أمريكا الجنوبية. قد لا يكون هناك إحصاء علمى لمدى تأثير هذه المحطة "كلوبى" إعلامى للعرب الأمريكيين، ولكن التأثير ظل واضحا فى مجمل السياسات الأمريكية حيث اهتم البيت الأبيض لأول مرة بالعرب والمسلمين كقوة انتخابية يُحسب حسابها، وفتح أبوابه أمام الناشطين وزعماء الجالية العربية والإسلامية، وصرنا نشاهد الرئيس الأمريكى وهو يزور المراكز الإسلامية والمساجد ويقيم المآدب الرمضانية فى البيت الأبيض. ربما حدث خلل وتغول الإعلام اليهودى بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، ولكن القوة الانتخابية للعرب الأمريكيين ظلت تمثل عاملا لا يُستهان به على الساحة الأمريكية. وبعد نجاح تجربة البرنامجين الحواريين " وجها لوجه" الذى قدمت مع الزميل حافظ الميرازى نحو ١٠٠ حلقة منه عام ١٩٩٢، و" لقاء على الهواء" الذى قدمت أولى حلقاته منفردا فى ٢٢ يناير ١٩٩٣ ووصل إلى ٣٥٠ حلقة على مدى ٧ سنوات، لم يكن العالم العربى قد تعرَّف بعد على البرامج الحوارية، إلا بعدها بثلاث سنوات حين بدأ إرسال قناة الجزيرة القطرية عام ١٩٩٦ واقتبست فكرة البرنامج الأمريكى Crossfire فى شبكة CNN، ثم خرجت علينا ببرنامج "الطريق المعاكس". وفى حين حاولنا نحن فى شبكة ANA الاقتراب أكثر من النسخة الأمريكية التى كانت تعتمد على الحوار الموضوعى دون أن تجنح إلى الإثارة، وجدت الجزيرة ـ أو هكذا ظنت ـ أن صراع الديكة هو الأقرب إلى طبيعة المجتمع العربى. وربما نجح هذا المفهوم فى البداية، ولكن المشاهد بات يبتعد عن هذه النوعية من برامج ضرب الكراسى فى الكلوب، التى بدأت تأخذ بها، للأسف الشديد، بعض الفضائيات المصرية الخاصة! من هنا كنت أحلم بنقل تجربة "لقاء على الهواء" إلى العالم العربى. ولم تكن هناك طريقة سوى اللعب مع كبريات الفضائيات العربية. وكنت أفضل التعاون مع الفضائية المصرية، وقدمت مشروعا متكاملا ببرنامج إخبارى حوارى حى عبر الأقمار الصناعية لوزير الإعلام آنذاك صفوت الشريف، الذى رحَّب بالفكرة ولكنه أحالها إلى رئيس الاتحاد، وهو للأسف زميل دفعتى. وظل المشروع يتنقل مكوكيا بين الاثنين فى عملية تسويف

واضحة، إلى أن تلاشى من الذاكرة! وكالعادة كان غيرهم سباقا إلى احتضان الفكرة، بعد أن دخلت قناة MBC السوق الأمريكية بفضائيتها بصفتها أول قناة إخبارية فى العالم العربى، رغم أن إرسالها الفضائى بدأ بعد فترة قصيرة من انطلاق أول قناة فضائية عربية، وهى الفضائية المصرية عام ١٩٩٠. لم يكن الإعلام الأمريكى ممهدا لاستقبال قناة عربية على شبكة الكيبل، حيث فشلت الفضائية المصرية من قبل فى محاولة مماثلة، ومثلها مثل نظيرتها المصرية اضطرت ال MBC للدخول بالأطباق الفضائية. وكانت هذه أيضا دونها عوائق التصاريح والتخصيص الفضائى وشركات البث والتوزيع الفضائى المملوكة فى معظمها لرءوس أموال اليهود الذين لا يستحبون وجود إعلام عربى على الأرض الأمريكية. وخلصت من ثم إلى أن الوسيلة الوحيدة هى عن طريق شراء محطة تلفزيون محلية كى تصل إلى المشاهد العربى عبر القارة الأمريكية. وكان محمد البدراوى جاهزا لبيع محطته ANA بعد أن كثرت مديونياتها. قيل إنه باعها بمبلغ تراوح بين ثلاثة وعشرة ملايين دولار. لم تكن هناك أصول للمحطة باستثناء ما كانت تبثه من شرائط البرامج المحلية. فحتى أستديو الإرسال كان مستأجرا، وبالتالى فقد باع البدراوى مجرد "فكرة" وحصل على خلو الرجل الذى أرضاه. حافظت MBC على برنامجى " لقاء على الهواء"، ولكنها رأت أن تبثه تحت مسمى آخر، فاقترحت أنا على المسئولين " من أمريكا" عنوانا للبرنامج من حيث الشكل والمضمون، بحيث ينقل إلى العالم العربى مجريات الأحداث على الساحة الأمريكية بمشاركة ضيوف من داخل أمريكا وخارجها عن طريق الأقمار الصناعية، وبُثت الحلقة الأولى فى ١٤ إبريل عام ٢٠٠٠. وحقق البرنامج نجاحا لمدة سنة كاملة. ولكنها كانت محفوفة ببعض التعقيدات الفنية. فمقر ال MBC كان فى لندن، حيث كان هناك مخرج للبرنامج، إلى جانب مخرج الحلقات فى واشنطن، ولم يكن التواصل بينهما جيدا بسبب اختلاف أسلوب العمل. بل إننى شخصا صادفت بعض العقبات فى التعامل مع فريق لندن. ففى الوقت الذى كنت أدير فيه الحوارات دون الاعتماد على أسئلة معدة سلفا، على خطى المحاور

الإذاعي العظيم طاهر ابو زيد، والاعتماد فقط على دراسة الموضوع وسلاسة الحوار مع الضيف وبلورة الأسئلة من واقع إجاباته حتى أكون معبرا أكثر عما يدور في خلد المشاهد، كان فريق لندن يعتمد على تلقين المذيع الأسئلة في أذنه، الأمر الذي يشتت موضوع الحوار ويخرجه من السياق المنطقي السلس. وهذا هو الفرق بين ما يسمى بالإنجليزية Debriefing، أي استجواب الضيف، مثلما يحدث في عمليات الاستجواب الأمنية للمتهمين على شكل سؤال وجواب، وبين ال Interviewing، أي محاورته واستنباط أفضل الإجابات منه والأخذ والرد والتفاعل معه وملاحقته بأسئلة المتابعة. وأعترف بأنني خرجت لأول مرة عن هدوئي المعروف أمام الكاميرا، واضطررت في إحدى الحلقات إلى نزع السماعة من أذني حتى لا أسمع الأسئلة "التلميذية" الموجهة إليَّ من لندن!






القاهرة
واشنطن

عمّان
واشنطن



(٦٢)... "حتى لا ننسى"

حين دخلت الإذاعة عام ١٩٦٥ كان "راجى حبيب صهيون" قد أسس قبلها ببضعة أشهر إذاعة فلسطين، صوت منظمة التحرير الفلسطينية فى القاهرة. وحين ولدت عام ١٩٤١، كان هو قد بدأ حياته مذيعا بدار الإذاعة الفلسطينية، ثم أصبح فى العام التالى كبيرا للمذيعين، وأخذ يتدرج فى المناصب الإذاعية شغل خلالها عام ١٩٥٥ منصب مأمور إعلامى وإذاعى تابع للأمم المتحدة فى الشرق الأوسط، إلى أن انتهى به المطاف مستشارا إعلاميا لمنظمة التحرير الفلسطينية من عام ١٩٨٨ إلى عام ١٩٩١، وهى الفترة التى تعرفت فيها على الإذاعى الفلسطينى المخضرم فى واشنطن، وأجريت معه مقابلات عدة للإذاعة والتلفزيون. أول ما لفت نظرى هو لقبه "صهيون"، رغم أنه فلسطينى مسيحى. وقد فسّر لى ذلك بأن صهيون، ومعناها الحصن، هو واحد من التَّلّين اللذين كانت تقوم عليهما مدينة أورشليم القديمة، حيث أسس داوود عاصمته الملكية، وأن كثيرًا من الأُسر فى التاريخ الفلسطينى القديم كانت تتبرك بتلك المناطق، ومنها أسرته، قبل وقت طويل من استيلاء اليهود على التاريخ والأرض الفلسطينية وإطلاق مسمى صهيون على الحركة الصهيونية السياسية المعاصرة التى أسسها الصحفى اليهودى النمساوى تيودور هيرتزل. ففى عام ١٨٩٦ نشر هرتزل كتاب "الدولة اليهودية"، وأعلن تأسيس الحركة الصهيونية بعد انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة بازل السويسرية بين ٢٩ و٣١ أغسطس عام ١٨٩٧، وانتخابه

رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية. أما راجى، الذى يعتز بلقب صهيون رغم ما كان يلاقيه من منغصات بسببه، والمولود فى حيفا، فقد أُشتهر كوجه إعلامى بارز وأحد أهم المذيعين فى دار الإذاعة الفلسطينية، لكنه تشرد من وطنه عام ١٩٤٨ وأصبح لاجئا مع أفراد عائلته فى لبنان، حيث ما لبث بعد نشوب الحرب الأهلية اللبنانية أن هاجر إلى الولايات المتحدة. نشط راجى بعد عام النكبة مع عدد من الفلسطينيين فى العمل على إبقاء جذوة النضال من أجل العودة إلى الوطن وتحرير الأرض المحتلة حية. وفى نهاية حياته أصر على تسجيل ذلك النضال فى كتابه " حتى لا ننسى"، الذى ظل يروِّج له إلى أن وافته المنية فى إبريل عام ٢٠٠١.

كان راجى متحمسا لهذا الكتاب الذى اعتبره الدكتور كلوفيس مقصود قصة جيل فى حياة رجل، وقال فى معرض تقديمه للكتاب " هذه قصة راجى صهيون، لكنها أكثر من ذلك بكثير! فتى نشأ فى بيئة لم تعرف التزمت أو التعصب، وفى هذه اللحظة من عمره لا يريد راجى الاعتراف بها أو التعرف عليها. هذا دليل استمرار عافيته الفكرية برغم الأمراض السياسية التى تحيط بوطنه وأمته. وفى هذا الزمن الردىء حيث لم يعد للكلمة عند الكثيرين- حرمة، يصر كاتب هذه المذكرات الشيقة على تأكيد مسئولية الكلمة، وإبلاغ القارئ بأمانة صدق المعاناة ورجحان الأمل". كان راجى إلى جانب شفيق الحوت ونقولا الدر من مؤسسى أول تنظيم فلسطينى مسلح أطلق عليه اسم "حركة تحرير فلسطين" (ح.ت.ف) وذلك عام ١٩٦٠، لكن الظروف السياسية للمنطقة فى حينه لم تسمح باستمرار هذا التنظيم الذى شكل نواة لنشوء منظمة التحرير الفلسطينية لاحقا بقيادة أحمد الشقيرى. فانخرط راجى ورفاقه فى المنظمة وأصبحوا من نشطائها. لقد التقيت براجى صهيون فى المرحلة الأخيرة من حياته، ولكننى كنت أشعر فى كل مقابلة أجريها معه أننى أمام تاريخ النضال الفلسطينى مجسدا. لقد نجح بكتابه، "حتى لا ننسى"، فى تسجيل رحلة النضال الفلسطينية منذ نكبة ١٩٤٨ ابتداء برفع القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة، ومرورا بقيام منظمة التحرير الفلسطينية وإنشاء أول إذاعة تعبر عن صوت فلسطين، وانتهاء بمفاوضات السلام التى لم

يكن يعول عليها كثيراً بسبب التعنت الإسرائيلى، وترك عالمنا دون أن يتحقق حلمه فى دولة فلسطينية مستقلة. وكان يحلو له أن يردد قصيدة "تحية فلسطين" التى نظمها الشاعر الأخطل الصغير (بشارة الخورى)، وألقاها من محطة الإذاعة الفلسطينية فى القدس عام ١٩٤٢:

فلسطين أفديك من دمعة تهاوت على بسمة حائرة
تعانقتا فاستحال العناق لهيبا على شفة ثائرة
فلسطين يا حلم الأنبياء ويا خمرة الأنفس الشاعرة
حملنا لك المهج الظامئات وأصدية القبل الطاهرة
فلسطين يا هيكل الذكريات على جبهة الأعصر الغابرة
مضخمة بغبار الحروب مخضبة بالمنى الزاخرة
فلسطين يا جمحات الخيال مجنحة بالرؤى الساحرة
هناك على شرفات النجوم أرى مكة تلثم الناصرة
ألا قطرة عرس قانا الجليل ولو بين جدرانك الدائرة
ترد إلى الشعر وحى السماء فتلهمه الأنفس الكافرة !

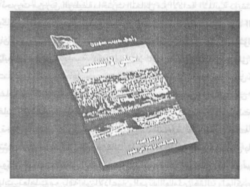
وكانت هذه هى الكلمات التى أهدى بها كتابه إلى شخصى المتواضع:

"الأخ الكريم الأستاذ عباس متولى..رمز احترام وتقدير..احترام لشخصك الكريم، وتقدير للرسالة النبيلة التى تحملها وتؤديها خير أداء بإخلاص.

المؤلف راجى حبيب صهيون، ١٢ أغسطس ١٩٩٧".




مع الأستاذ راجي حبيب صهيون



(٦٣) الإذاعة الألمانية.. والفضاء السيبرانى

بعد أن تركت إذاعة صوت أمريكا عام ١٩٩٥ فى واشنطن، وتفرغت لمراسلة محطات التلفزيون والإذاعة العربية، وتقديم برامجى الحوارية التلفزيونية والإذاعية على الشبكة العربية الأمريكية ANA، فُتحت أمامى أبواب محطات الإذاعة الدولية على مصاريعها. إذ لم يكن مسموحا قبل ذلك لموظفى الإذاعة بالتعامل مع ما تعتبرها محطات إذاعية منافسة. ومن بين العروض التى تلقيتها، بعد أن تحررت من ربق الوظيفة، اخترت التعامل مع الإذاعة الألمانية دويتشه فيله DW، وكان وراء هذا الجهد المذيع الشاب المصرى الموهوب شكرى عبد الحميد الذى كان يعمل بها. فبدون سابق معرفة بيننا، طرح اسمى على المسئولين من واقع متابعته لمسيرتى الإذاعية، لأكون مراسلا للإذاعة فى واشنطن. وعلى خلاف محطات أخرى اتسم التعامل مع دويتشه فيله بالدقة المتناهية سواء فى تحديد الموضوعات أو الالتزام بأوقات التسجيل ناهيك عن الوعى الإخبارى فى اختيار موضوعات الساعة على نحو يتسم بقدر كبير من الحرفية. ومثلما كانت صوت أمريكا تحفل بإعلاميين من مختلف الجنسيات العربية، كان الحال نفسه سائدا فى دويتشه فيله. لم يكن لى أى احتكاك بالمسئولين الألمان إلا فيما يتعلق بالشئون المالية. وكان النظام الألمانى الصارم يفرض نفسه على العاملين داخله من كافة الجنسيات. تعاملت مع باقة من الإذاعيين العرب العاملين هناك ولم أكن متلهفا للقائهم وجها لوجه وحسب، وإنما كنت أتوق أيضا لزيارة هذا البلد العظيم الذى

نهض من كبوته مرتين، الأولى بعد تدميره تماما فى الحرب العالمية الثانية، والثانية حين استعاد وحدته الترابية فى ٣ أكتوبر من عام ١٩٩٠ بعد أن انضمت جمهورية ألمانيا الديمقراطية، أو ما كان يعرف بألمانيا الشرقية، إلى جمهورية ألمانيا الاتحادية، أو ما كان يعرف بألمانيا الغربية. وفى عام ١٩٩٦ سنحت لى الفرصة لزيارة مقر الإذاعة فى كولونيا التى تأسست فى ٣ مايو ١٩٥٣ وبدأ إرسالها العربى فى ١ إبريل ١٩٥٩ قبل أن تنتقل إلى العاصمة القديمة بون عام ٢٠٠٣. أما النشاط التلفزيونى للمحطة فقد انتقل إلى العاصمة الجديدة برلين التى سقط جدارها الفاصل فى ٩ نوفمبر ١٩٨٩، بعد أن ظل يقسم شطرى ألمانيا لأربعين عاما. كانت جمهورية ألمانيا الديمقراطية قد أقامت سور برلين ليفصل شطرى برلين الشرقى والغربى والمناطق المحيطة فى ألمانيا الشرقية، بهدف تحجيم المرور بين برلين الغربية وألمانيا الشرقية. وسرعان ما أصبح الجدار رمزا للستار الحديدى بين أوروبا الغربية والكتلة الشرقية الدائرة فى فلك الاتحاد السوفيتى السابق، الذى ما لبث أن انهار هو الآخر بعد سنتين من سقوط الجدار. وكنا فى غرفة الأخبار بإذاعة صوت أمريكا فى واشنطن نتابع الرئيس الأمريكى رونالد ريجان باستخفاف وهو يطلق دعوته الشهيرة، إلى رئيس الاتحاد السوفيتى آنذاك ميخائيل جورباتشوف، بالقرب من الجدار عام ١٩٨٧ فى برلين الغربية: "يا سيد جورباتشوف، اهدم هذا الجدار!"، باعتبارها دعوة درامية من ممثل سابق! لم نكن نتصور آنذاك أن دعوته سوف تستجاب بهذه السرعة. كنت سعيدا ومتحمسا لزيارة ألمانيا الموحدة بقدر سعادتى وحماستى للوحدة اليمنية التى تحققت فى ٢٢ مايو ١٩٩٠ قبل نحو خمسة أشهر من الوحدة الألمانية. بل إن كوريا الجنوبية استبشرت آنذاك بالوحدة اليمنية وتطلعت إلى الوحدة مع كوريا الشمالية. ولكن الخلافات المتزايدة بين السياسيين اليمنيين دفعت الكوريين إلى القول بأن " أى وحدة وطنية تقوم لمنافع سياسية صرفة ومفتعلة لن تنجح ويجب أن تخضع لفترة انتقالية طويلة"، وهو نفس الخطأ الذى وقع فيه عبد الناصر حين استعجل الوحدة مع سوريا. غير أنه بالنسبة لمحاولات القذافى المستميتة

لإعلان وحدة فورية مع مصر، كنت كغالبية المصريين أتفق مع الرئيس السادات، وبعده مبارك، فى رفض مثل هذه الوحدة. ولكن تصوروا معى لو كانت هذه الوحدة قد تحققت بالفعل، وضعوا عشرين خطا تحت كلمة " لو"، لما سقطت ليبيا فى مستنقع التشرذم والتفكك الذى تشهده اليوم وبات يهدد الأمن القومى لمصر، ولظهرت أكبر دولة فى أفريقيا والشرق الأوسط، من حيث الإمكانيات المادية والكثافة السكانية والمساحة التى يدعمها التقارب الجغرافى، والتكامل الاقتصادى، ووحدة والفكر واللغة والمصير، ناهيك عن خلو شبه جزيرة سيناء مما تشهده اليوم من إرهاب نتيجة تهريب الأسلحة الليبية بعد انهيار نظام القذافى!
لم يسعفنى ضيق الوقت لزيارة برلين لأسترجع كل هذا التاريخ الذى عاصرته من واقع عملى كرئيس تحرير أخبار ومذيع بصوت أمريكا، واكتفيت بزيارة العاصمة القديمة بون ومدينة كولونيا التى تطل على نهر الراين حيث موقع دويتشه فيله. استقبلنى زميلى مراسل الإذاعة المصرية عبد الوهاب محمود المقيم فى ألمانيا فى مطار فرانكفورت واصطحبنى بسيارته إلى بون حيث استضافنى فى بيته لأقضى فى اليوم التالى واحدا من أفضل الأوقات فى ألمانيا بصحبته وصحبة الإذاعى النشط شكرى عبد الحميد الذى رتب لى زيارة لمبنى دويتشه فيله. وهو مبنى صغير أنيق لا يختلف كثيرًا عن مبنى صوت أمريكا فى واشنطن، يضم مكاتب المذيعين والإداريين فضلا عن الأستديوهات. لم تكن التكنولوجيا الحديثة قد اجتاحته بعد، وحين أجرى معى الزملاء مقابلة للإذاعة كانت كل الأدوات المستخدمة تذكرنى بأستديوهات ماسبيرو. بل إن حفاوتهم الزائدة وكرم ضيافتهم أشعرانى بأننى عدت إلى أجواء عملى السابق الأثير إلى نفسى بصوت العرب.
ظللت بضع سنوات أزود دويتشه فيله بالتقارير والتحليلات والمقابلات، إلى أن فرّقت بيننا تكنولوجيا الاتصالات والبريد الإلكترونى وتسجيلات الإنترنت والفضاء السيبرانى! فنظرا لأننى من أبناء المدرسة الإذاعية التقليدية، لم أكن ضليعا فى التعامل مع هذا الوافد الجديد فاعتذرت وتفرغت للعمل مع إذاعتى القاهرة والكويت اللتين لم ترغمانى، حتى الآن على الأقل، على التعامل الإلكترونى كبديل عن التسجيل التليفونى!



أمام مبنى ديوتشه فيله فى كولونيا



مع الزميلين شكرى عبد الحميد ومحمد المزيانى فى أستديو دويتشه فيله



مع الزميلين عبد الوهاب محمود وشكرى عبد الحميد فى بون

(٦٤) مراسل من داخل البنتاجون

كثيرة هى القصص التى تُروى عن مبنى البنتاجون بما يحويه من أسرار أقوى قوة عسكرية ضاربة فى العالم. وقد سُمى بالبنتاجون لشكله الخماسى الأضلاع الذى صممه المهندس المعمارى الأمريكى جورج بيرجستروم وبناه المقاول جون ماكشين، وتم افتتاحه فى ١٥ يناير عام ١٩٤٣ كواحد من أضخم المبانى المكتبية فى العالم. ومن المصادفات العجيبة أن حفر الأرض وتمهيدها لإنشاء المبنى كان قد بدأ فى ١١ سبتمبر ١٩٤١ أى قبل ستين عامًا بالتمام والكمال من تعرض جزء منه للتدمير فى هجمات سبتمبر ٢٠٠١ على الولايات المتحدة. كانت أولى تجاربى مع هذا المبنى الذى يتسع لنحو ٢٣ ألف موظف بين عسكرى ومدنى وحوالى ٣ آلاف متعاقد من خارجه، حين كلفنى تلفزيون الكويت بتغطية الحدث الجلل من أمامه. فقد اصطفت عربات البث التلفزيونى لعشرات المحطات التلفزيونية المحلية والعالمية على مسافة قريبة من الفتحة التى أحدثها ارتطام طائرة ركاب مخطوفة تابعة للخطوط الجوية الأمريكية رحلة رقم ٧٧ فى الجانب الغربى من المبنى، مما أسفر عن مصرع ١٢٥ موظفا بالإضافة إلى ركاب الطائرة ومن بينهم الخاطفون. لم نكن نتطرق فى تقاريرنا التلفزيونية آنذاك إلى ما أُثير بعد ذلك من جدل حول الفتحة التى أحدثها ارتطام الطائرة فى جدار البنتاجون وما إذا كانت قد نجمت عن اصطدام طائرة أو اختراق صاروخ، فقد كنا جميعا كمراسلين نولى اهتمامنا بتصريحات المسئولين وروايات الشهود وتعليقات وسائل الإعلام

باعتبار أن ماحدث للبنتاجون هو جزء لا يتجزأ مما حدث فى نفس الوقت تقريبا لبرجى مركز التجارة العالمى بنيويورك. ففيما بعد تسربت رويدا رويدا نظرية المؤامرة التى تشكك فى الرواية الرسمية لما حدث فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١، من خلال كتب عدة لعل أهمها كتاب (الخديعة الكبرى) لمؤلفه الفرنسى تيرى ميسان، الذى ذهب إلى أن تلك الهجمات التى هزت العالم تم التدبير لها من داخل أمريكا لأسباب عدة أهمها:

- زيادة نفقات النظام الجوى وتطويره.
- التمكن من إنشاء خط أنابيب يمر بأفغانستان وباكستان ويدر الربح.
- التمكن من الاستيلاء على الشركات التابعة للمليونير السعودى أسامة بن لادن وعائلته والتى يكون الرئيس بوش الأب شريكاً فيها.
- القضاء على كل شكل من أشكال الرفض للقيادة الأمريكية حول العالم.

ويتهم ميسان الجيش الأمريكى وما وصفه بحكومة (ظل) عسكرية داخل الولايات المتحدة يرأسها صقور الادارة الأمريكية بالتخطيط لتلك الهجمات من أجل دعم مؤسسات الصناعة العسكرية الأمريكية وإقامة ما أسماه "بالجيش الفضائى"، الذى يحقق هيمنة أمريكية مطلقة على العالم، ويؤكد أن الهدف الأبعد من هذه الآلية العسكرية الرهيبة هو إثارة صراع حضارات يضعون فيها العالم المسيحى واليهودى فى مواجهة مع العالم الإسلامى. وبعد أن انتهى مولد التغطية التلفزيونية من أمام البنتاجون، وبدأت تنسحب عربات البث التلفزيونى، فكر المسئولون فى تلفزيون الكويت فى أن أكون مراسلا دائما لهم داخل البنتاجون لا سيما بعد أن أعلن الرئيس جورج دبليو بوش الحرب على الإرهاب التى انتهت بغزو العراق بدلا من أفغانستان التى كان تنظيم القاعدة بقيادة بن لادن يحتمى بها. وكانت الفكرة أن أفغانستان لم يكن بها أهداف عالية الأهمية مثل العراق على حد ما جاهر به نائب وزير الدفاع آنذاك اليهودى بول وولوفيتز أحد أقطاب المحافظين الجدد. فقد تبين لوسائل الإعلام آنذاك من واقع تصريحات البيت

الأبيض والبنتاجون أن القضية لم تنته بأحداث سبتمبر وإنما بدأت بها لفرض أجندة أمريكية على العالم، لا سيما بعد نضوج فكرة محور الشر الذى استعمله الرئيس بوش لوصف العراق وإيران وكوريا الشمالية، ومن ثم نشوء فكرة الهجوم الاستباقى دفاعا عن النفس، وأن من ليس معنا فى هذه الحرب هو ضدنا! لم يكن دخول مبنى البنتاجون بالإجراء الهين فقد تطلب تحرير رزمة من الطلبات وتحريات أمنية دقيقة اجتزتها بنجاح فى آخر المطاف وتلتيت بطاقة الهوية التى تسمح لى بكشف غموض هذا المبنى ببواباته الخمس وطوابقه التى ترتفع فوق مستوى سطح الأرض وطوابقه أسفلها وممراته الحلقية الخمسة فى كل طابق التى يبلغ طولها الإجمالى نحو ٢٨ كيلومترا. يتوسط المبنى متنزه خاص فى الهواء الطلق يأخذ نفس الشكل الخماسى للمبنى ويستخدمه الموظفون والزائرون فى الاسترواح والاستمتاع بالطبيعة بنباتاتها وزهورها وأشجارها لا سيما وقت الغداء حيث تنتشر فى ربوعه الأرائك الخشبية وكبائن الوجبات السريعة. لم يكن هذا الاتساع هو الذى بهرنى عند دخول البنتاجون أول مرة. لم أر ما كنت أتصوره من مقرات عسكرية بأجهزتها وراداراتها وشاشاتها الإلكترونية للقيادة والمراقبة فى كل مكان، فقد علمت أن مثل هذه الغرف موجودة فى مكان ما تحت سطح الأرض ولا يعرف مكانها أو يصلها أو يقترب منها غير كبار جنرالات البنتاجون، واكتشفت بدلا من ذلك أننى داخل "مول" ضخم للتسوق أشبه بوسط أى مدينة كبرى. وجدت سلسلة من أشهر المطاعم ومتاجر الأغذية والملبوسات وصالونات التجميل التى توفر كل ما يخطر على البال، حتى إذا انعزل المبنى بمن فيه عن العالم الخارجى، يمكن أن يوفر جميع احتياجات رواده لعدة أشهر. بل إن هناك محطة للمترو تصل إلى داخل المبنى من الطابق السفلى. أما محاولة الوصول إلى المركز الإعلامى الذى تقام به المؤتمرات الصحفية التى يتحدث فيها وزير الدفاع وكبار الجنرالات أمام مراسلى وعدسات وسائل الإعلام الأمريكية والعالمية، فهى قصة أخرى. ففى أول يوم لى بعد اعتماد أوراقى كمراسل، حوصرت فى متاهات تلك الممرات والأروقة التى تحمل على جدرانها الجانبية صور الرؤساء والقادة

العسكريين الأمريكيين السابقين منذ الجنرال جورج واشنطن. نعم كان معى رقم الغرفة، ولكن البطاقة لم تحدد أى جناح من الأجنحة الخمسة للمبنى الضخم. وسرت هائما على وجهى أقطع مسافات قياسية لم أحققها فى حياتى، وكان علىَّ أن أسال المارة كالولد التائه! لم ينقصنى آنذاك سوى جهاز "النافيجيشين" الذى يحدد المواقع عالميا، غير أنه لم يكن قد أُخترع بعد! وحتى بعد أن تمكنت من الوصول إلى المركز الإعلامى، كنت أفكر دوما فى كيفية العودة إلى الباب الذى دخلت منه، وكنت أحسد حاسة الشم لدى الكلاب التى تعينهم بكل سهولة على العودة إلى أدراجهم وسط متاهات الطرق دون عناء يُذكر. ورغم ذلك، فقد أحببت كثيرًا العمل من داخل غرفة المؤتمرات الصحفية. فقد تم تخصيص كاميرا لى وسط عشرات الكاميرات التى يستخدمها غيرى من المراسلين، وفى مقدمتهم مراسلو السى إن إن الذين يحتفظون بمكتب دائم لهم داخل البنتاجون. وبمرور الوقت تعرفت على بعضهم وكانوا يزودوننى بما أحتاجه من معلومات. ومن أطرف ما كان يحدث داخل الغرفة هو هرولة كل المراسلين دفعة واحدة نحو الكاميرات، وأنا منهم، فى أعقاب مؤتمر صحفى مهم لنخرج جميعا على الهواء ونتحدث فى "نفس" واحد بمختلف اللغات، بينما يسمع كل منا حوار الآخر. وتدربت بالممارسة على إغلاق أذنى عما كان يجرى حولى من حوارات وتحليلات لأركز على أسئلة مذيع الأخبار الكويتى وأرد عليه بما تجود به القريحة وما أحصل عليه من معلومات. أما المعلومات التى ظلت غائبة خلال السنوات التى قضيتها مراسلا فى البنتاجون، والتى تزامنت مع عمليات إعادة بناء الجناح الذى دمره هجوم ١١ سبتمبر، فهى تتعلق بالرد على تساؤلات المشككين فى أن صاروخا هو الذى ضرب البنتاجون وليس طائرة. فكيف - كما ذهب المؤلف الفرنسى ميسان- تمكنت طائرة بيونج ٧٥٧ من قطع ٥٠٠ كيلومتر دون أن تكتشفها الدفاعات الجوية، إذ يستحيل، فى رأيه، أن تفلت طوال هذه المسافة من الرادارات المدنية والعسكرية وطائرات المطاردة والأقمار الصناعية، ولا يمكن أن تدخل المجال الجوى للبنتاجون دون أن تقصفها بطاريات الصواريخ التى تحمى

أهم مبنى عسكرى فى العالم. ولا أتصور أن نعرف الحقيقة قبل مرور عشرات السنين حينما يسمح القانون بالإفراج عن الوثائق السرية مثلما أفرجت القوات الجوية الأمريكية مؤخرا عن آلاف التقارير الخاصة بمشروع "الكتاب الأزرق"، الذى يكشف أسرار الأطباق الطائرة، وأصبحت متاحة للاطلاع على الإنترنت عبر موقع دار المحفوظات الوطنية فى واشنطن. وهى تتناول الظاهرة التى طالما أثارت جدلا كبيراً بين المؤيدين والمعارضين لوجودها، على غرار نفس الجدل الدائر اليوم حول ما إذا كان أسامة بن لادن فعلا وراء هجمات سبتمبر، أم كان مجرد ستار لمؤامرة داخلية للسيطرة على العالم!



البنتاجون

(٦٥) اللوبى العربى والإعلام الفضائى فى أمريكا

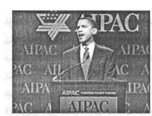
ما أسهل علينا أن نتحدث أحيانا عن الحاجة الماسة إلى لوبى عربى لمواجهة نفوذ اللوبى الصهيونى على الساحة الأمريكية، دون أن تكون لنا القدرة أو حتى الرغبة فى المساهمة فى جعل إنشاء مثل هذا اللوبى حقيقة واقعة. ومما يثير الدهشة أن هذه النداءات التى تصدر فى معظمها من داخل عالمنا العربى لا تكاد تستوعب الفكرة جيدا وتتعامل معها باعتبار أن هذا اللوبى يمكن أن يهبط علينا من السماء كظاهرة طبيعية من أجل سواد عيوننا أو كأن غياب هذا اللوبى هو نتيجة تقصير من جانب عرب أمريكا وأنصارهم. وحتى لو أخذنا بالفرضية الأخيرة، فإن تجربتى الشخصية فى برامجى التلفزيونية "وجها لوجه" عام ١٩٩٢، بالاشتراك مع حافظ الميرازى، أو "لقاء على الهواء" الذى كان يبث إرساله فى أنحاء الولايات المتحدة وكندا من عام ١٩٩٣ إلى عام ٢٠٠٠ على شبكة ANAأو من خلال برنامجى الآخر " من أمريكا " الذى بثته شبكة MBC إلى العالم العربى من عام ٢٠٠٠ إلى عام ٢٠٠١ بعد أن اشترت محطة ANA، وقبل أن تقرر الشبكة العالمية وقف جميع برامجها المحلية داخل الولايات المتحدة اكتفاء بما تبثه من لندن ثم من دبى، هذه التجربة أسهمت ولو بطريق غير مباشر فى زرع أول بذرة إعلامية فى شجرة اللوبى العربى التى نحلم بأن ترتفع إلى عنان السماء. فقد أتاحت الـ ANA التى أسسها رجل الأعمال السعودى الراحل محمد البدراوى من خلال منبر "لقاء على الهواء"، الفرصة للمنظمات والجمعيات العربية للوصول

إلى الإنسان العربى الأمريكى من المحيط إلى المحيط ومن كندا إلى المكسيك حيث ناقش ممثلو تلك الجمعيات مختلف القضايا الداخلية من الانتخابات إلى قوانين الهجرة، ومن كيفية التصدى لتشويه صورة العربى والمسلم فى أجهزة الإعلام الأمريكية إلى كيفية تفعيل دور العربى وتشجيعه على الانخراط فى معترك السياسة الداخلية. وكان صوت العربى الذى يتصل على الهواء مباشرة بمثابة الحلقة التى تكمل سلسلة الحوار الحر. فاستطاع البرنامج من خلال حرارة حواراته وتنوع شخوصه أن يجمع العرب فى أمريكا على قلب رجل واحد بصرف النظر عن اختلاف العقيدة أو التوجه السياسى، لا سيما حين تجمعهم قضية مشتركة كتحريات ال FBI فى المطارات وعمل ملفات تستهدف العرب والمسلمين دون غيرهم، والأدلة السرية التى تُطبق فى معظمها على المهاجرين من أصل عربى. كما استطاع أن يحث أبناء الجالية على التبرع للقضايا الإنسانية والوطنية، والانخراط فى السياسة الداخلية، بل والتجمع والتظاهر أمام البيت الأبيض احتجاجا على الجوانب السلبية من سياسات الحكومة الأمريكية التى يبدو فيها التحيز لإسرائيل سافرا. وبعد خبرة السنوات الثمانى للبرنامجين بدا جليا أن قضية واحدة لا تزال تحول دون نضوج اللوبى العربى وانتقاله من مرحلة الطفولة البريئة إلى عنفوان الصبا، وهى قضية التمويل. فمن المفارقات أن ميزانية المؤسسات العربية الأمريكية مجتمعة لا توازى عُشر ميزانية لجنة العلاقات العامة الأمريكية الإسرائيلية (إيباك) التى تمثل أكبر لوبى يعمل لصالح إسرائيل فى أوساط الحكومة والكونجرس ووسائل الإعلام الأمريكية. بيد أن ما يغفر للمنظمات العربية الأمريكية أن نشاطها الحقيقى لم يبدأ سوى قبل أربعين عامًا مقارنة بنظيراتها اليهودية التى نشطت مباشرة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية. ومن ثم فإن منظماتنا أحوج ما تكون إلى دعم من الجالية ومساندتها. ولكن مع اختفاء "لقاء على الهواء" و"من أمريكا" اختفت همزة وصل بالغة الأهمية كانت تربط أبناء الجالية العربية بقيادات المنظمات والجمعيات العربية وتعمّق التواصل فيما بينها. ولا يسعنا أن نغرق فى أحلام اليقظة ونتصور أن ثريا

أو رجل أعمال عربيا يمكن أن يخاطر برأسماله فى إنشاء محطة فضائية محلية تقصر إرسالها على أمريكا الشمالية. فتكاليف إنشائها باهظة وعائدها غير مضمون قبل مرور سنوات عدة. كما أن تجربة استئجار بعض الوقت فى محطات التلفزيون الأمريكية للبث باللغة العربية على نطاق محلى ضيق فشلت هى الأخرى فى أن يكون لها دور فاعل فى لمِّ شمل الجالية على امتداد رقعة الأرض الأمريكية. ولا بد والحال كهذه أن تتطلع الأنظار إلى محطات فضائية عربية تبث من الخارج ونستقبل نحن الأمريكيين العرب إرسالها بين ظهرانينا، مثل الفضائيات المصرية واللبنانية وقناتى العربية والجزيرة الإخباريتين ومجموعة قنوات ART. فهذه القنوات بات اليوم يشاهدها أكثر من مليون عربى من بين الثلاثة ملايين عربى التى تشير التقديرات إلى أنهم يقيمون فى الولايات المتحدة. ومما يشجع على النظر فى الاستعانة بتلك المحطات كمنبر للعرب الأمريكيين هو ميلها ذاتها فى الآونة الأخيرة نحو بث برامج محلية أمريكية، وإن كانت تظل مجرد برامج محدودة الأثر. نعم ربما تفتح مثل هذه البرامج نافذة أمام المشاهد العربى خارج أمريكا يطل منها على نشاط العرب الأمريكيين وترضى فضوله عن أسلوب الحياة فى أمريكا بصورة عامة. ولكنها لا تحقق الأثر المنشود فى تفعيل دور الجالية كمقدمة ضرورية ولبنة أساسية فى بناء صرح اللوبى العربى. وإذا كانت البرامج الحوارية قد أصبحت جزءا لا يتجزأ من برامج تلك الفضائيات الواردة من الخارج، فمن باب أولى أن تفسح المجال أمام برامج تتناول القضايا المحلية للعرب الأمريكيين، وتواصل رسالة "وجها لوجه"، و"لقاء على الهواء" و"من أمريكا"، فى العمل على تحقيق حلم اللوبى العربى داخل الولايات المتحدة!



اللجنة العربية الأمريكية لمكافحة التمييز ADC



لجنة العلاقات العامة الإسرائيلية الأمريكية (إيباك)



(٦٦) رمال أمريكا المتحركة.. والعودة إلى الوطن

كان الهدف من قبولى العمل فى إذاعة صوت أمريكا بجزيرة رودس اليونانية عام ١٩٧٥ هو الابتعاد عن المشهد الإعلامى والسياسى الذى اكتنفه كثير من البلبلة والغموض بعد أن أحكم الرئيس السادات قبضته على الحكم بتخلصه ممن وصفهم بمراكز القوى الذين حاولوا الانقلاب عليه، وبات تحقيق حلم عبد الناصر فى دولة الكفاية والعدل على المحك. ومن المفارقات أن نظام السادات نفسه الذى فتح الأبواب على مصاريعها أمام الغرب وخاصة أمريكا، هو الذى سمح لى بالعمل فى محطة كانت مصنفة فى عصر عبد الناصر بأنها إذاعة معادية لمصر. واعتبرت أو خططت لأن يكون مقامى فى تلك الجزيرة مؤقتا حتى تنتهى سنوات الإعارة الأربع، وربما تكون الأوضاع فى مصر قد تحسنت. ولكن شاءت الظروف أن نشهد فى الربع الأخير من القرن العشرين إرهاصات ثورة الاتصالات الجديدة. فبعد أكثر قليلا من عامين فى الجزيرة اليونانية قرر المسئولون عن الإذاعة فى واشنطن نقل المحطة بكل موظفيها إلى العاصمة الأمريكية بعد أن بدأ استخدام الأقمار الصناعية بدلا من الأبراج فى بث إرسالها. ولم يعد البقاء قريبا من المنطقة المستهدفة للإذاعة ذا معنى مثلما كان الحال خلال النصف الثانى من القرن العشرين. وتبدلت خطة البقاء أربع سنوات ليُعرض علىَّ وعلى بقية المذيعين الخيار بين الاستقالة أو الانتقال إلى واشنطن. لم تكن أمريكا فى حسابنا على الإطلاق. ففى تلك الفترة لم تكن القدم المصرية تطأ تلك القارة

المترامية الأطراف بالكثافة التى نشاهدها اليوم حين أصبح السفر إلى أمريكا "فركة كعب"! تداولت الأمر مع زوجتى واستقر بنا الأمر أن نقبل العرض لاستكمال مدة السنوات الأربع فى أمريكا على اعتبار أنها ستكون نزهة سياحية فى بلد لم نفكر يومًا فى زيارته لبعد المسافة وارتفاع أجرة السفر. وحينما وقّعت العقد مع الأستاذ كامل الطويل مدير صوت أمريكا آنذاك وأفضت إليه بنيتى تبسم وقال" لا أعتقد أن مقامكم سيكون مؤقتا. فخبرتى طوال سنواتى الطويلة فى المهجر تشهد بأن أرض أمريكا هى كالرمال المتحركة من يطأ عليها تجذبه إلى أسفل ولا يستطيع الفكاك منها"!. لم آخذ ملاحظته على محمل الجد وبدأنا رحلة التأقلم مع المجتمع الأمريكى الجديد.

لم تقتصر تطورات تلك الفترة على ثورة الأقمار الصناعية، ولكن رافقتها على مدى السنوات الخمس وعشرين التالية ثورة الألياف البصرية والحسابات الإلكترونية التى امتزجت بوسائل الاتصالات والإنترنت فى سياق ثورة المعلومات الأكبر، التى حملت فى طياتها انفجارا معرفيا متمثلا فى سهولة تواصل سكان الكرة الأرضية مع بعضهم البعض وحصولهم على كم هائل من المعرفة فى لمح البصر. وبعد أن كنا فى غرفة الأخبار بالإذاعة فى واشنطن نستخدم أجهزة "التكيرز" فى استقبال الأخبار المكتوبة، ونسجل برامجنا وتقاريرنا على أشرطة التسجيل الصوتى التقليدية حتى استقلت من الإذاعة عام ١٩٩٥، باتت كل الإذاعات اليوم تستعين بالكمبيوتر والإنترنت و"الهارد دسك" والبريد الإلكترونى فى تخزين المعلومات وتسجيل البرامج. لم أستفد من ثورة الاتصالات تلك التى انتهت حتى الآن بالهواتف الخلوية، أو النقالة، أو المحمولة وأجهزة تحديد المواقع عالميا "النافيجيشن"، إلا بعد أن تركت الإذاعة وصرت مراسلا للإذاعة والتلفزيون المصرى إضافة إلى إذاعة دويتش فيله وإذاعة وتلفزيون الكويت وتلفزيون تونس. وقد حررنى هذا التطور من البقاء حبيسا فى البيت إلى حين اتصال الإذاعة بى لأزودها بالتقارير السياسية عبر التليفون. وصرت أكتب التقرير وأمارس حياتى العادية و"الموبايل" فى جيبى، الذى صار مثله مثل بطاقة الائتمان" لا تستطيع

مغادرة البيت بدونه. وكان من نتيجة ذلك أن تراوحت أماكن قراءتى للرسائل الإذاعية بين جوانب الطرق السريعة، ومراكز التسوق، والمتنزهات، والمطاعم ومنازل الأقارب والأصحاب، أى فى أى مكان يكون فيه "الموبايل" السحرى رفيقى. هل فكرت فى العودة إلى مصر خلال تلك الفترة؟ نعم وكثيرًا. بل إننى، نزلت إلى القاهرة بعد مرور أول أربع سنوات لنا فى أمريكا لأبحث عن مدرسة لأسجل فيها ابنى الأكبر تامر. ونظرا لسكنى فى العجوزة طفت بجميع مدارس الزمالك لأبحث له عن مكان. وكان هناك قاسم مشترك واحد فى تلك المدارس: لا توجد ملاعب "للفسحة" والترويح فيما بين الدروس. فقد تحولت "أحواش" تلك المدارس إلى بنايات أسمنتية لإقامة مزيد من الفصول. وما زاد الطين بلة أنه لم يكن بتلك المدارس ما يكفى من المدرسين نظرا لهجرة المتميزين منهم إلى دول الخليج. وهكذا قررت أنا وزوجتى أن يستقر بنا المقام فى بلاد العم سام، حيث مجانية التعليم حتى الثانوية العامة، بما فى ذلك نقل التلاميذ من أمام بيوتهم بالأوتوبيسات، وحيث كثافة الفصول لا تتجاوز من عشرين إلى ثلاثين تلميذا، ناهيك عن المستوى الرفيع للتعليم. وحددنا لأنفسنا موعدا آخر للعودة لمصر: بعد أن يتخرج ابنى تامر وابنتى هدى من الجامعة. وهو موعد عجزنا أيضا عن الوفاء به، فقد تزوجا واستقر بهما المقام فى بلدهم الجديد ومنحانا أحفادا ملأوا علينا الدنيا بهجة وسعادة. وهكذا غاصت قدمانا فى رمال أمريكا المتحركة وانغرسنا فيها حتى الأذقان وبات حلم العودة أبعد منالا!



عباس متولى

إعلامى مصرى مقيم فى أمريكا

ليسانس فى اللغة الإنجليزية وآدابها من جامعة الإسكندرية

الوظائف والخبرات

١٩٦٥-١٩٧٠ مذيع وقارئ نشرة ومقدم برامج بإذاعة صوت العرب

١٩٦٧ مشرف عام على إذاعة "تعز" بالجمهورية العربية اليمنية

١٩٧٠ مراسل متجول لإذاعة صوت العرب فى "دولة الكويت

١٩٧٠-١٩٧٥ كبير مذيعى صوت العرب ومقدم برنامج " من غير مونتاج" أول برنامج حوارى على الهواء

١٩٧٥-١٩٧٧ مذيع ومترجم بإذاعة "صوت أمريكا" فى جزيرة رودس اليونانية

١٩٧٧-١٩٩٥ مذيع ومترجم ثم رئيس تحرير الأخبار بإذاعة صوت أمريكا فى واشنطن

١٩٩٥-٢٠٠٠ مراسل التلفزيون المصرى فى واشنطن

١٩٩٣-٢٠٠٠ مقدم البرنامج الحوارى الحى "لقاء على الهواء" على شبكة ANA الأمريكية التلفزيونية

٢٠٠٠-٢٠٠١ مقدم البرنامج السياسى الحوارى " من أمريكا" على شبكة MBC العالمية.

٢٠٠٢-٢٠٠٣ مراسل القناة السابعة لتلفزيون تونس فى واشنطن

٢٠٠٣-٢٠٠٦ مراسل تلفزيون دولة الكويت فى واشنطن

١٩٩٦- الوقت الحاضر مراسل ومحلل سياسى لإذاعات القاهرة وصوت العرب وألمانيا والكويت فى واشنطن

فهرس



هذا الكتاب:

يتناول رحلة مذيع مصرى امتدت خمسين عامًا لم تغب خلفيتها التاريخية عن سرد تجربته المهنية والإنسانية. التى بدأت فى صوت العرب عام 1955 . وشملت محطاتها العمل فى اليمن قبل نكسة 1967 مباشرة. وانتقلت إلى إذاعة صوت أمريكا فى جزيرة (رودس) عام 1975 . ثم إلى (واشنطن) عام 1977 .

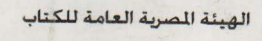
والكتاب يعبر عن هذه الفترة من منظور مهنى. وسياسى. وتاريخى. مثّل العمل الإذاعى فى صوت العرب بكل ثرائه وشخوصه التى تمثل علامات على طريق الفن الإذاعى . أما تجربة اليمن التى لم تستمر سوى سبعة أشهر عام 1967 . فكانت هى الأخرى ثرية بأحداثها وشخوصها. فى فترة بالغة الأهمية من التاريخ المصرى الحديث.

كما يتناول الكتاب العمل الإذاعى فى محيط يونانى بجزيرة (رودس). ويتطرق إلى صدمة الانتقال من جزيرة إلى قارة بالذهاب إلى (واشنطن) عام 1977 ؛ ليكون الكاتب أول مراسل للتليفزيون المصرى هناك.

والكتاب فى مجمله أشبه ما يكون بأدب الرحلات السياحية، ولكنها سياحة فى العمل الإعلامى فى مصر وأمريكا بكل خلفياته المهنية. والسياسية. والتاريخية.

تنفيذ الغلاف/عزيزة أبوالعلا







١٣ جنيهاً